المملكة العربيّة السعوديّة
وزارة الشّؤون الإسلاميّة
والأوقاف والدّعوة والإرشاد

التَّفْسِير البسيط للقرآن الكريم

الجزء الثّلاثون

بقلم
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فهذا تفسيرٌ مُبَسَّطٌ للجزء الثّلاثين من القرآن الكريم ، قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الأربعة عشر في سلسلة التّفسير البسيط للقرآن الكريم الّذي ساير الاحتفال الدَّوْليّ لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، الّذي تعقده المملكة العربيّة السّعوديّة سنويّاً في مكّة المكرّمة . لقد تفضّلت وزارة الحجّ والأوقاف ، مشكورةً بطبع تفسير أحد عشر جزءاً ، وتفضّلت وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، الّتي آل إليها القيام بهذا الاحتفال ، تفضّلت ، مشكورةً ، بطبع الأجزاء الثّاني عشر والثالث عشر والرّابع عشر . لقد كانت النّيّةُ متّجهةً للقيام بتفسير الجز الخامس عشر في سلسلة التّفسير البسيط ، ولكنّ ثمّة سببين اثنين استجدّا حملاني على القفز إلى القيام بتفسير الجزء الثّلاثين .

أمّا السّبب الأوّل فهو ما أبداه أحد الإخوة الأعزّاء العاملين في حقل الإعلام الإسلاميّ من استعداد لتسخير الوسائل الإعلاميّة السّمعيّة لتسجيل تفسيرٍ ميسَّرٍ للجزء الثّلاثين من القرآن الكريم يُعْمَل للنّاشئة ، بحيث يتسنّى للطّفل والطّفلة بإذن الله تعالى الإفادةُ القُصْوَى من أهمّ حاسّتين لتحصيل العلم ، وهماحاسّة السّمع ، عن طريق سماع القرآن الكريم مجوّداً ، والتّفسير متقنا ، وحاصّة البَصَر ، عن طريق المتابعة بقراءة المسموع .

وأمّا السّبب الآخر فهو ما أبداه أحد الإخوة الأعزّاء العاملين في حقل الدّعوة الإسلاميّة ، من حاجة إخواننا المسلمين في الدّول الإسلاميّة المستقلّة من الكابوس الشّيوعيّ الرّوسيّ لأبسط تفسير للجزء الثّلاثين من القرآن الكريم بحيث لا يتجاوز حجم التّفسير حجم الآيات الكريمات ذاتها لجهل المسلمين هنالك التّامّ بأبسط تعاليم الإسلام ، من أجل طبع جزء عمّ وتفسيره ، وبعض المعلومات الضّروريّة عن الوضوء والصّلاة وما إليهما ، في كتيّب يُتَرْجَم إلى جميع اللّغات لتلك الشّعوب الإسلاميّة المستقلّة .

لقد قمت ابتداءً بتفسير سورة "عمّ يتساءلون" وسجّلتها بصوتي وقدّمتها للأخ الكريم العامل في حقل الإعلام الإسلاميّ الّذي وقع العمل منه ومن كوكبةٍ من إخوته الكرام ، بحمد الله تعالى ، موقع الرِّضا . وطلب منّي الأخ الكريم إكمال العمل ، فأفصحت له بأنّ إكمال هذا النّوع من العمل يقتضي منّي عمل التّفسير البسيط أَوَّلاً ، لأنّ التّفسير البسيط يهدف إلى تقريب فهم القرآن الكريم عن طريق فهم ألفاظه وبعض تراكيبه بالقدر الضّروريّ الّذي يجعل القارئ لمعاني الألفاظ وما في حكمها مستعدّاً لقبول التّفسير الّذي تهيّئ له تلك المعاني للألفاظ وبَعْضُ التّراكيب . وكما يحتاج التّفسير الميسَّر للأطفال للتّفسير البسيط بين يديه ، كذلك يحتاج التّفسير المبسّط للشّعوب الإسلامية المستقلّة حديثاً .

لقد عكفت على التّفسير البسيط للجزء الثّلاثين من القرآن الكريم الأَيّامَ واللّيالى ، والتزمت بشأنه ما سبق أن التزمت بشأن تفسير الأجزاء الأربعة عشر السّابقة ، ومِنْ أَهمّ ما التزمت به ذِكْرُ المصادر والمراجع . وقد تفضّلت وزارة الشئون الإسلاميّة

والأوقاف والدّعوة والإرشاد بعد ذلك بطبع أجزاء التفسير الباقية . وهذا هو الجزء الثلاثون . ولله الحمد والمنّة .

ولا أملك إذ يطبع الجزء الثلاثون من التفسير البسيط للقرآن الكريم إلاّ أن أشكر لله تعالى نعمه العظيمة ، وآلاءه الجسيمة ، ثمّ وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، وعلى رأسها معالى الوزير فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمّد على آل الشّيخ على التفضل بطبع هذا الجزء وكل الأجزاء السّابقة ، سائلاً الله تعالى أن يجزل لمعاليه المثوبة ولكل العاملين آمين .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتفضّل بقبوله، وأن يَعْفُوَ عمّا بدر منّا من التّقصير ، وألاّ يحرمنا من الأجر ، إنّه جلّ وعلا جوادٌ كريم ، وسميعٌ عليم .

﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تَحْمِل علينا إصراً كما حملته عبى الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تُحَمِّلْنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين﴾

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الاثنين ١٤٢٤/١/٥هـ
الموافق ٢٠٠٣/٣/٨م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

التَّفْسِير

سورة النَّبَأ

سورة النَّبأ مِنْ آخرِ ما نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من المكّيّ من القرآن الكريم قبل الهجرة[١] جاء في الاتقان[٢] : "ثمّ عمّ يتساءلون ، ثمّ النّازعات ، ثمّ إذا السّماء انفطرت ، ثم إذا السّماء انشقّت ، ثمّ الرّوم ، ثم العنكبوت ، ثمّ ويلٌ للمطففين ، فهذا ما أنزل الله بمكّة" ومِحْوَرُ السّورة الكريمة البعث بعد الموت ، وهو النَّبَأُ العظيم الّذي يَسْأَلُ عنه بعضُ قريشٍ بعضَهُمُ الآخر ، والّذي هم فيه مختلفون بين مصدّقٍ ومكذّب. وبِقَصْد لفت الانتباه إلى قدرة الله تعالى المطلقة على الخلق مرّةً أخرى تطرح السّورة عدداً كبيراً من الأسئلة المتعلّقة بخلق الله تعالى تعالى الأحياء والأشياء أوّل مرّة . إنّ الجواب على كلّ تلك الأسئلة بأنّ الله تعالى هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي فعل كلّ ذلك ابتداءً ، دليلٌ على قدرة الله عزّ وجلّ على فعل ذلك مرّةً أخرى يوم القيامة ، الّذي يُعَبَّرُ عنه بأنّه يومُ الفصل بين الخلائق . ويَوْمَ الفصل الّذي لا يعلم وقتَه إلاّ اللهُ تعالى يَنْفُخُ إسرافيل فيه النّفخة الثّانية في الصُّور فتحيا الخلائقُ بإذن الله تعالى وتُلَبِّي النّداءَ جماعاتٍ جماعات ، وتُفْتَحُ أبوابُ السّماء لنزول الملائكة ، وتُنْسَف الجبالُ وتسيّر ، فتكونُ كالسّرابِ الّذي يظنّه من يراه ماءً ولا ماء هنالك ، وكذلك في الآخرة هنالك الهَباءُ وليس الجبال . وفي جهنّم يلبث الطّاغون ما لا نهاية له من الزّمن ، ولا يذوقون إلا الماءَ الشّديدَ الحرارة وصديدَ أهل النّار ، بسبب إنكار البعث والتّكذيب لآيات القرآن الكريم . وفي الجنّة يُنَعَمُ المتّقون بمختلف صور النّعيم ثواباً غَيْرَ ذِى حدودٍ من ربِّ

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآ للسّيوطي ص ٤٣/١

(٢) الإتقان ١/ ٤٣ وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦١ والجلالين والبحر المحيط ٨/ ٤٠٩ وتفسير القرطبي ٦٩٦٠

السّماوات والأرض رحمن الدّنيا والآخرة ، وفي ذلك اليوم يقوم جبريُ عليه السّلام والملائكةُ الكرام صَفّاً ، ولا يتكلّم الخلائقُ إلاّ مَنْ أَذِن له الرّحمنُ بالكلام وقال صواباً ، في الدّنيا بأن شهد لا إله إلاّ الله ، وفي الآخرة بأن شَفَعَ لمن قال لا إله إلاّ الله . إن المؤمن ينظر في ذلك اليوم ما قدّمت يداه من حسناتٍ يُسَرُّ بها ، أمّا الكافر فَيَتَمَنَّى لو كان في الحياة الدّنيا تراباً ، فلا يحاسَبُ في يوم القيامة ولا يُعَذَّب .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥

عمّ يتساءلون : عن أيّ شيءٍ[١] يسأل بعض قريشٍ بعضاً[٢] ويتساءلون بينهم[٣] وذلك أنّ قريشاً جعلت فيما ذُكِر عنها تختصم وتتجادل في الّذي دعاهم إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الإقرار بنبوّته ، والتّصديق بما جاء به من عند الله ، والإيمان بالبعث ، فقال الله لنبيّه : فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون[٤]

عن النّبأ : النّبأ هو الخبر الجديد المهمّ ذو الفائدة العظيمة العارِي عن الكذب[٥]

الّذي هم فيه مختلفون : ين مصدّقٍ ومكذّب[٦] قال قتادة وابن زيد : "النّبأ العظيم : البعث بعد الموت . وقال مجاهد : هو القرآن . والأظهر الأوّل لقوله : ﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾[٧]

كلاّ : ردع[٨] يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يَزْعُمُ هؤلاء المشركون الّذين ينكرون بعث الله إيّاهم أحياء بعد مماتهم[٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٢/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤/٤٦٢ .
(٢) الجلالين
(٣) تفسير الطّبري ٢/٣٠
(٤) تفسير الطّبري ٢/٣٠
(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نبأ" ٤٨١
(٦) تفسير الطّبري ٣/٣٠
(٧) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٢
(٨) الجلالين
(٩) تفسير الطّبري ٣/٣٠ .

سيعلمون : سيعلم هؤلاء الكُفّارُ المنكرون وَعِيدَ اللهِ أعداءَهُ ماالله فاعلٌ بهم يوم القيامة[1]

ثمّ كلاّ سيعلمون : تأكيد . وجيء فيه بـ "ثم" للإيذان بأنّ الوعيد الثّاني أشدّ من الأوّل

تسال الآية الكريمة الأولى ، على سبيل التّفخيم ، المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن الشّئ الّذي يسأل بعض قريشٍ بعضاً ويختصمون فيه .

وتجيب الآية الكريمة الثّانية بأنّ ذلك الشّيء ، هو الخبر الجديد الغاية في الأهمّيّة والجدّيّة والضّخامة . وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ النَّبَأَ العظيم هو البعث بعد الموت.

وتقرّر الآية الكريمة الثّالثة أنّ قريشاً أخذت تختلف فيما دعاها إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الإيمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء .

وتردع الآية الكريمة الرّابعة المنكرين بالبعث وتقول لأولئك المشركين : ليس الأمر كما تزعمون من إنكار بعث الله تعالى لكم أحياءً بعد مماتكم .

وتؤكّد الآية الكريمة الخامسة ذلك الإنكار والوعيد باستعمال حرف العطف "ثم" الّذي يفيد أساساً التّرتيب مع التّراخي ، ويفيد وراء ذلك أنّ الوعيد الثّاني أَشَدُّ قُوَّةً وأَبْعَدُ أثراً من الوعيد الأوّل .

---

(١) تفسير الطّبري ٣/٣٠

(٢) الجلالين . وانظر تفسير الطّبري ٣/٣٠ .

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

ألم نجعل الأرض مهادا : فراشاً كالمهد[١] وبساطا[٢]

والجبال أوتاداً : تثبت بها : الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد . والاستفهام للتّقرير[٣]

وخلقناكم أزواجاً : ذكوراً أو إناثاً[٤]

وجعلنا نومكم سباتا : راحةً ودَعَةً تَهْتَدُونَ به وتسكنون كأنّكم أموات لا تشعرون ، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح . والسَّبْتُ والسُّباتُ هو السّكون . ولذلك سُمِّي السَّبْتُ سَبْتاً لأنّه يَوْمُ راحةٍ ودَعَةٍ[٥]

وجعلنا اللّيل لباساً : ساتراً بسواده[٦]

وجعلنا النَّهار معاشاً : وقتاً للمعايش[٧] يقول : وجعلنا النّهار لكم ضياءً لِتَنْتَشِرُوا فيه لمعاشكم وتتصرّفوا فيه المصالح دنياكم وابتغاء فضل الله فيه[٨]

بقصد حمل الكافرين على الإيمان بالبعث تطرح الآيات الكريمات في أسلوب

---

(١) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ٣/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٢/٤ .
(٢) تفسير الطّبري ٣/٣٠
(٣) الجلالين
(٤) الجلالين
(٥) تفسير الطّبري ٣/٣٠
(٦) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ٣/٣٠
(٧) الجلالين
(٨) تفسير الطّبري ٤/٣٠ .

الاستفهام التّقريريّ مجموعةً من الأسئلة يَفْهَمُ منها المسئولون أنّ القادر على إيجاد كلّ شيءٍ من العَدَمِ ابتداءً قادرٌ على إيجاده مرّةً أخرى بعد موته أو فنائه بطريق الأَحْرَى والأَوْلى .

والآيات الكريمات تسأل عن أشياءَ قريبةِ التّناول لكلّ إنسان .

إنّ الآية الكريمة الأولى تسأل : ألم نجعل الأرض مِهاداً لكم أيّها النّاس وبساطاً كي تسهل حركتكم عليها .

والآية الكريمة الثّانية تسأل : ألم نجعل الجبال للأرض كالأوتاد للخيمة . فكما أنّ الخيمة تثبت بالأوتاد تثبت الأرض بالجبال ، فلا تتحرّك بإذن الله تعالى ولا تضطرب.

والآية الكريمة الثّالثة تسأل : ألم نخلقكم أزواجاً ونجعلْكُمْ ذكوراً وإناثاً ليسكن بعضكم إلى بعضكم الآخر ، ونجعلْ بينكم مودّةً ورحمة .

والآية الكريمة الرّابعة تسأل : ألم نجعل نومكم راحةً وسكينةً وَدَعة . ومن البيّن أنّ النّوم يكون في اللّيل غالِباً . وكأنّ السّكن بين الزّوجين أسلم إلى الرّاحة بالنّوم . وكأنّ النّوم الغالب ليلاً أسلم إلى الحديث عن اللّيل في الآية الكريمة التّالية .

إنّ الآية الكريمة الخامسة تسأل : ألم نجعل اللّيل لباساً يستركم بظلامه . والمعروف أنّ الرّاحة تكون في اللّيل غالباً . وإنّ الحديث عن اللّيل أسلم إلى الحديث عن النّهار في الآية الكريمة التّالية .

إنّ الآية الكريمة السّادسة تسأل : ألم نجعل النّهار معاشاً لكم تبتغون في أثنائه من فضل الله تعالى بالانتفاع بضوء شمسه وإيجابيّته .

إنّ الجواب عن كلّ هذه الأسئلة ، وكذلك الأسئلة التّالية الّتي تأخذ في التّحوّل من الأرض إلى السّماء واحدٌ ومعروفٌ وهو : بَلَى جَعَل الله تعالى الأرض مِهاداً . وهكذا . والمطلوب من الكافرين أن يبنوا على الجواب والعلم الصّحيحين الإيمان والعملَ الصّحيحين .

وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا
وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

وجعلنا سراجاً : يعني بالسّراج الشّمس[١] والسّراج الزّاهر بفتيلة ودهن . ويعبّر به عن كلّ مضئ[٢]

وهّاجاً : يعني وقّاداً مضيئاً[٣] يتلألأ[٤] والوَهَج حصول الضّوء والحرّ من النّار ، والوَهَجان كذلك[٥]

وأنزلنا من المعصرات: هي السّحاب الّتي تتحلّب بالمطر ولمّا تمطر ، كالمرأة المعصر الّتي قددنا أوان حيضها ولم تحض[٦] وقال الفرّاء : هي السّحاب الّتي تتحلّب بالمطر ولم تمطر بعد ، كمايقال امرأةٌ معصرٌ إذا دنا حيضها ولم تحض[٧] وقيل هي السّحائب الّتي تعتصر بالمطر أي تَصُبّ[٨]

ماءً ثجّاجاً : ماءً منصبّاً يتبع بعضه بعضاً كثجّ دماء البُدْنِ وذلك سفكها[٩] ومنه قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم : أفضل الحجّ العجّ والثّجّ.

---

(١) تفسير الطّبري ٤/٣٠
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهان : "سرج" ٢٢٩
(٣) تفسير الطّبري ٤/٣٠
(٤) تفسير الطّبري ٤/٣٠
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "وهج" ٥٣٣
(٦) تفسير الطّبري ٤/٣٠
(٧) تفسير ابن كثير ٤٦٢/٤
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عصر" ٣٣٦
(٩) تفسير الطّبري ٥/٣٠ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثج" ٧٩ .

يعني بالثّجّ صبّ دماء الهدايا والبدن بذبحها . يقال منه : ثججت دمه فأنا أثجّه ثجّا . وقد ثجّ الدّم فهو يثجّ ثجوجا[١] والعجّ : رفع الصّوت بالتّلبية[٢]

لنخرج به حبّا : الحبّ كلّ ما تضمّنه كِمام الزّرع تحصد وهي جمع حَبَّة[٣] كالحنطة[٤] والشّعير ونحوهما من المطعومات[٥]

ونباتا : أي خَضِراً يؤكل رطباً[٦]

وجنّاتٍ : وبساتين[٧]

ألفافاً : ملتفّة مجتمعة[٨] التفّ بعضها ببعضٍ لكثرة الشّجر[٩] وجمع لفيف كشريف وأشراف[١٠] ونصير وأنصار[١١]

بعد طرح الآيات الكريمات السّابقات مجموعة من الأسئلة المتعلّقة بأمورٍ قريبة التّناول يطرح السّياق مجموعةً من الأسئلة المتعلّقة بأمور أكثر بعداً . إنّها متعلّقةٌ في مجموعها بالسّماء وماي يرتبط بها من سحابٍ وماء إنّ السّياق يواصل الأسئلة المطروحة على منكر البعث .

---

(١) تفسير الطّبري ٥/٣٠
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثج" ٧٩ .
(٣) تفسير الطّبري ٥/٣٠ والكِمام بكسر الكاف : غطاء الزّهر ووعاء الطّلع .
(٤) الجلالين
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حب" ١٠٥ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٦٢/٤ .
(٧) تفسير الطّبري ٥/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٢/٤ والجلالين
(٨) تفسير الطّبري ٦/٣٠
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "لفف" ٤٥٢
(١٠) انظر تفسير الطّبري ٦/٣٠ والجلالين .
(١١) لسان العرب : "لفف" .

إنّ الآية الكريمة الأولى تسأل : ألم نبن فوقكم سبع سماواتٍ شداد . ليس فيهنّ شقوقٌ ولا فطور .

وإنّ الآية الكريمة الثّانية تسأل : ألم نجعل سراجاً وهّاجاً هو الشّمس الواحدة التي تَمُدُّ الأرض كلَّها بالضّوء والدّفء . وهذا السّراج يمتاز بأنّه وهّاجٌ يَتَلَأْلَأُ ضَوْؤُه لأنّ السّراج مولّدٌ بطبعه للطّاقة

وإنّ الآية الكريمة الثّالثة تسأل : ألم ننزل من السّحاب الثّقال ماءً غزيراً متدفّقاً . ومعروفٌ أنّ نزول الماء من السّحاب ثمرةٌ للكثير من التّفاعلات الجوّيّة والأرضيّة .

وتعيّن الآيتان الكريمتان الرّابعة والخامسة أوضح الآثار لنزول المطر من السّماء وذلك بإحياء الأرض من بعد موتها بإخراج الحبوب والنّباتات وأنواع الأشجار الغزيرة الورق الكثيرة الثّمر الّتي يلتفّ بعضها على بعضها الآخر لتعانق الأشجار .

وكما كان الجواب على الأسئلة السّابقة : بلى : جعل الله تعالى كلّ ذلك ، يكون الجواب هنا . وكما كان المطلوب من الكافرين أن يبنوا على الجواب والعلم الصّحيحين هنالك الإيمان والعمل الصّحيحين يكون المطلوب هنا بأن يؤمنوا بأنّ بعد الموت بعثاً فحساباً فجزاءً وأن يعملوا في ضوء ذلك الإيمان .

وتتحدّث الآيات الكريمات التّاليات عن طبيعة يوم القيامة الّذي يشار إليه بأنّه يوم الفصل .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

إِنَّ يوم الفصل : يوم يفصل الله فيه بين خلقه فيأخذ فيه من بعضهم لبعض[١] .

كان ميقاتا : وقتاً للثّواب والعقاب[٢] مؤقّتاً بأجلٍ معدود لايزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التّعيين إلاّ الله عزّ وجلّ[٣] .

يوم ينفخ في الصّور : الصّور قَرْنٌ ينفخ فيه[٤] إسرافيل[٥]

فتأتون أفواجاً : زُمَراً زُمراً وجماعةً جماعة[٦] تأتي كلّ أمّةٍ مع رسولها كما قال : ﴿يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم﴾[٧]

وفتحت السّماء فكانت أبواباً : أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة[٨] .

وسيّرت الجبال فكانت سراباً : ونسفت الجبال فاجتثّت من أصولها فصيّرت هباءً[٩] منبثّاً لعين النّاظر كالسّراب الّذي يظنّ من يراه من بُعْد ماءً وهو في الحقيقة هَباء والسّراب اللّامع في المفازة كالماء

---

(١) تفسير الطّبري ٦/٣٠
(٢) الجلالين
(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٣/٤
(٤) تفسير الطّبري ٦/٣٠
(٥) الجلالين
(٦) تفسير الطّبري ٦/٣٠
(٧) تفسير الطّبري ٦/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٣/٢
(٨) تفسير ابن كثير ٤٦٣/٢ وانظر تفسير الطّبري ٦/٣٠ .
(٩) تفسير الطّبري ٧/٣٠

وذلك لانسرابه وذهابه في طريقه في مرأى العين . وكان السّراب فيما لا حقيقة له كالشّراب فيما له حقيقة[1] .

تشير الآية الكريمة الأولى إلى يوم القيامة بأنّه يوم الفصل ، ففي هذا اليوم يفصل الله تعالى بين الخلائق ويثاب المحسن ويعاقب المسيء . وتقرّر الآية الكريمة أن يوم الفصل وقتٌ للثّواب والعقاب ، ولا يعلمه على حقيقته إلاّ الله تعالى ، ولا يتقدّم عن موعده ولا يتأخّر .

والآية الكريمة الثّانية تقرّر أنّ من متعلَّقات يوم الفصل النَّفْخَ في الصّور . والّذي ينفخ في الصّور بإذن الله تعالى هو الملك إسرافيل ويُفْهَمَ من الآية الكريمة أنّ الخلائق يَحْيَوْن بإذن الله تعالى بفعل هذه النّفخة . والمعروف أنّ الخلائق تحيا بإذن الله تعالى بفعل النّفخة الثّانية ، في حين تموت بإذن الله تعالى . بفعل النّفخة الأولى . والمراد بالأفواج الأمم والجماعات الّتي تتبع كلٌّ منها نبَّها أو رئيسها .

ولمّا كانت جملة "أتى" تُسْتَعْمَل في القرآن الكريم للدّلالة على البعيد فذلك معناه أنّ كلّ الأمم والجماعات تستجيب للنّداء الّذي يصلها والّذي تأتي إليه من مكانها البعيد في هيئة الأفواج المتتابعة .

والآية الكريمة الثّالثة تقرّر أنّ أقطار السّماء تصبح بمثابة الأبواب المفتّحة لنزول الملائكة في ذلك اليوم المهيب

والآية الكريمة الرّابعة تقرر أنّ الجبال سوف تسيّر فتكون كالهباء المنثور ، أو السّراب الّذي يظهر وقت الظّهيرة في الأرض المنبسطة فيظنّه العطشان لشدّة الحرّ والكرب ماءً وإنّه سُرْعان ما يتأكّد أن ثمّة سراباً لا شراباً . وهكذا تغدو الجبال يوم القيامة أثراً بعد عين .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سرب" ٢٢٩ .

عن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : ما بين النّفختين أربعون . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ؟ قال أَبَيْتُ . قال : أربعون سنةً ؟ قال : أَبَيْتُ . قال : أربعون شهراً ؟ قال : أَبَيْتَ وَيبْلَى كلُّ شيءٍ من الإنسان إلاّ عَجْبَ ذَنْبه ، فيه يُرَكَّبُ الخلق[1] .

قوله : أَبَيْتُ ، بموحّدة ، أي امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنّه ليس عندي في ذلك توقيف[2] ومن وجهٍ ضعيفٍ من ابن عبّاس قال : ما بين النّفخة والنّفخة أربعون سنة[3] والعَجْب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحّدة ، وهو عظمٌ لطيفٌ في أصل الصُّلب، وهو رأس العُصْعُص ، وهو مكان رأس الذّنب من ذوات الأربع[4] وقوله : إلاّ عَجْبَ ذنبه ، أخذ بظاهره الجمهور فقالوا : لا يَبْلَى عَجْبُ الذَّنَب ولا يأكله التّراب[5] ويتحوّل الحديث إلى ما يصادفه منكرو يوم الفصل .[1]

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٥١ حديث رقم ٤٨/٤ وطرفه في ٤٩٣ وصحيح البخاري ٢٥/٦ .
(٢) فتح الباري ٥٥٢/٨ .
(٣) فتح الباري ٥٥٢/٨ .
(٤) فتح الباري ٥٥٢/٨ .
(٥) فتح الباري ٥٥٣/٨

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾
لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا
بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا
﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن
نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

إنّ جهنّم كانت مرصاداً : المرصاد يقال للمكان الّذي اختصّ بالتّرصّد. قال تعالى : ﴿إن جهنّم كانت مرصاداً﴾ تنبيهاً أنّ عليها مجاز النّاس . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلاّ واردها ﴾[1]

للطّاغين مآبا : منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه ومصيراً يصيرون إليه يسكنونه[2] ومأوى[3] .

لاثنين فيها أحقاباً : دهوراً لا نهاية لها[4] والأحقاب جمع حُقُب والحُقُب جمع حِقِبْة[5] والحِقبة ، بالكسر من الدّهر : مدّةٌ لا وقت لها[6]

لا يذوقون فيها برداً : لا يطعمون فيها برداً حرّ السّعي عنهم[7] إلاّ : لكن[8]

حميماً : ماءً حارّاً غاية الحرارة[9] قد أُغْلِيَ حتّى انتهى حرّه فهو كالمهل .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صدر" ١٩٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٧/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٧/٣٠ .
(٤) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ٤٦٣/٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٨/٣٠ في القاموس : "الحقب بضمّة وبضمّتين" .
(٦) القاموس المحيط : "الحقب" .
(٧) تفسير الطّبري ٩/٣٠ .
(٨) الجلالين .
(٩) الجلالين

يشوي الوجوه[١]

وغسّاقا : ما سال من صديد أهل جهنّم[٢]

جزاءاً وفاقا : موافقاً لعملهم[٣] وهو مصدر من قول القائل : وافق هذا العقاب هذا العمل وفاقاً[٤]

إنّهم كانوا لا يرجون حساباً : إنّ هؤلاء الكفّار كانوا في الدّنيا لا يخافون محاسبة الله إيّاهم في الآخرة على نعمه عليهم وإحسانه إليهم وسوء شكرهم له على ذلك[٥] وقيل: أي لم يكونوا يعتقدون أنّ ثمّ داراً يجازون فيها ويحاسبون[٦]

وكذّبوا بآياتنا كذّابا : وكذّب هؤلاء الكفّار بحججنا وأدلّتنا تكذيبا[٧] وهو مصدر من غير الفعل[٨]

وكلّ شيءٍ أحصيناه كتاباً : وكلّ شيءٍ أحصيناه فكتبناه كتاباً كتبنا عدده ومبلغه وقدره ، فلا يَعْزُبُ عنّا عِلْمُ شيءٍ منه . ونصب كتاباً لأنّ في قوله : أحصيناه مصدراً أثبتناه وكتبناه كأنّه قيل : وكلّ شيءٍ كتبناه كتاباً[٩]

وضبطناه كتباً في اللّوح المحفوظ[١٠]

---

(١) تفسير الطّبري ٩/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٩/٣٠ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ١١/٣٠
(٥) تفسير الطّبري ١١/٣٠ وصحيح البخاري ٢٠٥/٦ وانظر اللّسان : "رجا" .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٦٤/٤ .
(٧) تفسير الطّبري ١١/٣٠.
(٨) تفسير ابن كثير ٤٦٤/٤ .
(٩) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(١٠) الجلالين .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ جهنّم كانت مكان ترصّد وتربّص لكلّ ن يمرّ على الصّراط الممدود فوقها وإلى هذا المعنى أومأ قول الحقّ جل وعلا في سورة مريم[1] : ﴿وإن منكم إلاّ واردها . كان على ربّك حتماً مقضيّا . ثمّ ننجّى الّذين اتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّا﴾ إنّ المتّقين ينجّيهم الله تعالى فيعبرون الصّراط أمّا الظّالمون فإنّهم يقعون من على الصّراط في جهنّم جاثين على ركبهم .

وإنّ الآية الكريمة الثّانية تقرّر أنّ جهنّم منزلُ الطّاغين الّذين يرجعون إليه ومأواهم الّذين يصيرون إليه .

وإنّ الآية الكريمة الثّالثة تبيّن أنّ أولئك الطّاغين سوف يلبثون في جهنّم إلى مالا نهاية له من الدّهور والأحقاب.

وإذا كانت الآية الكريمة الرّابعة تقرّر أنّ الطّاغين لا يذوقون في جهنّم من الطّعام ما تبرد به أجوافهم لحرّ النّار ومن الشّراب ما يطفئ غليهم . فإنّ الآية الكريمة الخامسة على سبيل الاستهزاء بالطّاغين تستدرك على نفي ذوق الطّاغين البرد والشّراب بالقول : لكن يذوقون حميماً وهو أشدّ الماء حرارةً وغَلَياناً ، وغسّاقا وهو ما يسيل ما صديد أهل النّار . إنّ الحميم الغايةُ في الحرارة وإنّ الغسّاق النّهايةُ في النَّتْن[2]

وتقرّر الآية الكريمة السّادسة أنّ جزاء الطّاغين في جهنّم مواقفٌ لسوء عملهم في الحياة الدّنيا . إنّ ارتكابهم أكبر ذنبٍ لا يغفره الله تعالى وهو الشّرك ، وافقه أكبرُ صور العذاب بالنّار .

والآية الكريمة السّابعة تبيّن سبب طغيان الطّاغين وهو أنّهم لم يكونوا يخافون الحساب يوم القيامة بل إنّهم لم يكونوا يؤمنون به .

---

(١) سورة مريم ٧١ و ٧٢ .

(٢) النّتْن بسكون التّاء . انظر –مثلاً– لسان العرب : "نتن" .

وبسبب عدم إيمانهم يوم القيامة وبالتّالي عدم الخوف من عذابه وعدم الرّجاء لثوابه تقرّر الآية الكريمة الثّامنة أنّهم كذّبوا بآيات الله تعالى البيّنات تكذيباً شديداً .

ولمّا كان الطّاغون قد أصرّوا على طغيانهم وكفرهم إلى أن لقُوا الله تعالى فإنّ الآية الكريمة التّاسعة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى قد أحصى كلّ شيءٍ ودوّنه عزّ وجلّ في كتاب .

وتأكيداً لمعنى خلود الطاّغين في النّار تأمر الآية الكريمة العاشرة الطّاغين بأن يذوقوا الحميم والغسّاق وما شكلهما من أنواع العذاب ، فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يزيد الطّاغين إلا عذاباً في النّار وبئس القرار .

وبعد الحديث في عذاب الكافرين الطّاغين يأتي الحديث في ثواب المؤمنين المتّقين.

إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

مفازاً : أي فوزا ، أي مكان فوز[١] ومنجىً من النّار إلى الجنّة ومخلصاً منها لهم إليها وظفراً بما طلبوا[٢]

حدائق : الحدائق جمع حديقة وهي قطعةٌ من الأرض ذات ماء ، سمّيت تشبيهاً بحدقة العية في الهيئة وحصول الماء فيها[٣] والحدائق البساتين من النّخل والأعناب والأشجار المحوّط عليها الحيطان المحدقة بها . لإحداق الحيطان بها تسمّى الحديقة . فإن لم تكن الحيطان بها محدقة لم يقل لها حديقة . وإحداقها لها اشتمالها عليها[٤]

وأعنابا : يعنى وكروم أعناب . واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم[٥]

وكواعب : ونواهد في سنٍّ واحدةٍ[٦] الواحدة كاعب[٧] يعنون أنّ ثُدِيّهنَّ نواهد لم يَتَدَلَّيْنَ لأنّهن أبكار[٨]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "فوز" ٣٨٧ .
(٢) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهان : "حدق" ١١٠ .
(٤) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "كعب" ٤٣٢ .
(٨) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٥ .

أترابا : في سنٍّ واحدة[1] جمع تِرْب بكسر التّاء وسكون الرّاء[2] تنشّان معاً تشبيهاً في التّساوى والتّماثل بالتّرائب الّتي هي ضلوع الصّدر ، وواحدة التّرائب تَرِيبة[3] .

وكأساً : الكأس الإناء بما فيه من الشّراب[4]

دهاقاً : قال ابن عبّاس : مملوءة متتابعة[5]

لغواً : باطلاً من القول[6] وكلّ كلامٍ قبيح[7]

ولا كذّابا : لا يكذّب بعضهم بعضاً[8]

عطاءً حسابا : جزاءً كافيا[9]

إنّ للمتّقين لله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النّواهي فوزاً بالجنّة ونجاةً من النّار : ﴿إنّ للمتّقين مفازا﴾ وبالإضافة إلى الفوز بالجنّة ، للمتّقين حدائقُ خاصّةٌ بهم مقصورةٌ عليهم ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ، ورُمِز إلى ذلك بالأعناب وهي ضربٌ من الفاكهة . وإنّ وجود الفاكهة دليلٌ على وجود ما سواها من الغذاء الأساس في حياتنا الدّنيا فكيف بالآخرة : ﴿حدائق وأعنابا﴾ ويَكْمُلُ نعيم المتّقين في الجنّة بالحور العين اللّاتي وصفن بالتّشابه في .

---

(١) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٢) الجلالين .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "الشّراب" ٧٤ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "كأس" ٤٤٣ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٥ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "رهق" ١٧٣ .
(٦) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "لغا" ٤٥١ .
(٨) تفسير الطّبري ١٢/٣٠ .
(٩) صحيح البخاري ٦/ ٢٠٥ وفتح الباري ٨/ ٦٨٩ .

صغر السّنّ : ﴿وكواعب أترابا﴾ ومن متمّمات بهجة النّفوس وانشراح الصّدور احتساءُ خمرِ الآخرة الخالية من أذى خمر الدّنيا ، فهي لا تغتال العقول ، ولا تفسد النّفوس ، وهي لذيذة الطّعم للشّاربين . ويصف السّياق كئوسها بأنّها مُنْزَعَةٌ دائماً : ﴿وكأساً دهاقا﴾ ومن الأدلة على خلوّ خمر الآخرة من شوائب خمر الدّنيا أنّ شاربها لا يَسْمَعُ بعضهم من بعضٍ لغو القول وباطله ، ولا يكذّب بعضهم بعضاً . : ﴿لا يسعمون فيها لغواً ولا كذّابا﴾ وإنّ كلّ ذلك النّعيم المقيم إنّما هو جزاءٌ من ربّك الكريم على إحسانك في الدّنيا ، وعطاءٌ منه جلّ وعلا غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوع . وحسابٌ كافٍ وافٍ تجازى عليه الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فأكثر : ﴿جزاءً من ربّك عطاءً حساباً﴾ وإنّ هذا الرّبّ الجواد الكريم هو ربّ السّماوات والأَرض وما بينهما ، وهو رحمن السّماوات والأرض الّذي وَسِعَتْ رَحْمَتُه كُلَّ شيءٍ . وفي ذلك اليوم المجموع له النّاسُ المشهورُ يوم القيامة ، لا يملك أحدٌ من الخلائق ابتداء الكلام ، إلاّ من بعد أن يَأْذَن الله تعالى لمن يشاء ويَرْضَى ، على نحو ما سوف يتبيّن بصريح التّعبير في آخر أقسام السّورة الكريمة .

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ
أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

يوم يقوم الرّوح : جبريل عليه السّلام . قاله الشّعبيّ وسعيد بن جبير والضّحّاك ويستشهد لهذا القول بقوله عزّ وجلّ : ﴿نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾[1]

وقال صوابا : أي حقّا . ومن الحقّ لا إله إلاّ الله[2] وقال صواباً في الدّنيا فوحّد الله[3] عن ابن عبّاس قال : يشفعون لمن قال لا إله إلاّ الله[4]

مآبا : مرجعا ، وهو مفعل من قولهم : آب فلانٌ من سفره[5]

يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه : عن الحسن المرء المؤمن يَحْذَرُ الصّغير ويخاف الكبيرة[6]

في يوم الفصل الّذي ينكره كفّار قريش ، يقوم جبريل عليه السّلام والملائكة الأطهار صفّاً ، ولا يتكلّم أحدٌ منهم إلاّ من أَذِنَ له رحمن السّماوات والأرض بالكلام . وقال صواباً من القول في الحياة الأولى بشهادة التّوحيد وفي الآخرة بأن يشفع لمن قال

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٥ وتفسير الطّبري ٣٠/١٥ وتفسير القرطبي ٦٩٧٧ والآيتان ١٩٣ و ١٩٤ من سورة الشّعراء .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/١٦ .
(٤) تفسير القرطبي ٦٩٧٨ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/١٧ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/١٧ .

لا إله إلاّ الله .

إنّ ذلك اليوم هو اليوم الحقّ الّذي لا ريب فيه ، فمن شاء اتّخذ إلى ربّه جلّ وعلا مآباً ومرجعاً بأنْ آمن وعمل صالحاً .

وفي الآية الكريمة الأخيرة ينذر ربّ العزّة النّاسَ عذاباً قريباً ، لأنّه ستٍ ، ولأنَّ كلّ آتٍ قريبٌ ، لتحقّق وقوعه . وفي ذلك اليوم ينظر المرء المؤمن ما قدّمت يداه من أعمالٍ حسنةٍ يثابُ عليها أو أعمالٍ سيّئةٍ يُعاقَبُ عليها . وإنّما كانت نِسْبَتُه الأعمال إلى اليد لأنّ أكثر الأعمال إنما تُمارَسُ بها . ويدخل في ذلك بطبيعة الحال الأعمال الّتي تمارس بغير اليد . قال تعالى[1] : ﴿ يوم تجد كلّ نفسٍ ما عملت مِنْ خيرٍ مُحْضَراً وما عملت من سوءٍ تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيدا﴾

أمّا الكافر فإنّه حينما يرى ثواب المؤمنين المقيم ، وعفا الكافرين الأليم ، يتمنّى لو أنّه كان في الحياة الدّنيا تراباً ، وبالتّالي لا سؤال في الآخرة ولا حساب ، لا ثواب ولا عقاب .

---

(١) سورة آل عمران ٣٠

سورة النّازعات

سورة النّازعات مكّيّة[1] وموضوعها الرّئيس البعث بعد الموت . وفيها يُقْسِم ربّ العزّة بالملائكة الّتى تَنْزِعُ بِشِدَّةٍ أَرْواحَ الكافرين ساعة الموت ، وتَسْتَلُّ بِرِفْقٍ أرواحِ المؤمنين ، وتَسْبَحُ سبحاً بين السّماء والأرض ، وتَسْبِقُ سبقاً ، وتدبّر بإذن الله تعالى أمراً وجواب القسم محذوفٌ تقديره لتبعثنّ أيّها الكافرون ولمّا كان النّزْعُ غَيْرَ النَّشْط ، وهما غير السّبح كان ثمّة عطفٌ بالواو الّتي تدلّ على مطلق الجمع إيماءً إلى أنّ حبّات المعاني جائزة الانفصال . ولمّا كان السّبح يترتّب عليه السّبق وكان تدبير الأمر مرتّباً عليهما كان ثمّة عطفٌ بالفاء الّتي تدلّ على التّرتيب مع التّعقيب . ولمّا كان من مات في حكيم من قامت قيامته فقد أَسْلَمَ نَزْعُ أرواح الكافرين بعنف واستلال أرواح المؤمنين برفق إلى يوم القيامة بنفختيه ، النّفخة الأولى الرّاجفة الّتي يموت بإذن الله تعالى الخلائق بسببها ، والنفخة الأخرى الرّادفة الّتي يَحْيَاَ بإذن الله تعالى الخلائق بسببها . إنّ قلوبَ منكرى البعث يومئذٍ واجفةٌ مضطربة ، وأبصارَ أصحابها خاشعةٌ ذليلة ، لقد كانوا ينكرون أن يُرَدُّوا في الحافرة وإلى الحياة مرّةً أخرى ، خاصّةً بعد أن كانت عظامهم نخِرَةً متفتّتةً قد تمكّن منها البِلى ، وكانوا يقولون إنّ البعث بعد الموت لو تحقّق فإنّ كرّتهم وعودتهم إلى الحياة خاسرة لذا هم يستهزئون بيوم القيامة . إنّ القيامة لا تحتاج إلى غير زجرةٍ واحدةٍ هي صيحة إسرافيل في الصّور للمرّة الآخرة فإذا الخلائق بالسّاهرة وفوق الأرض لفصل الحساب . ويتحوّل السّياق إلى ذكرٍ طرفٍ من قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون

---

(١) انظر –مثلا– الإتقان ٤٣/١ وتفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ وتفسير القرطبي ٦٩٨١ والبحر المحيط ٤١٦/٨ .

الطّاغية الّذي كان هو وآله أَشَدَّ قُوَّةً وبطشاً من كفّار مكّة وقد أخذه الله تعالى هو وآلَهُ أخذ عزيزٍ مقتدر . إنَّ السّياق يسأل الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم : هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم حديث موسى كبير أنبياء بني إسرائيل وخيره عليه السّلام إذ ناداه ربّه جلّ وعلا بالوادي المقدّس المطهّر المبارك طوى في شبه جزيرة سَيْناء وقال له : اذهب إلى فرعون مصر ، إنّه طغَى وبَغَى فقل له هل لك استعدادٌ إلى أن تتزكّى وتتطهّر من الشّرك والذّنوب ، وأهديك إلى ربّك جلّ وعلا فتخشاه وتخافه . فأراه موسى عليه السّلام آيته الكبرى وهي العصا واليد من بين الآيات التّسع الّتي خَصَّ الله تعالى بها موسى عليه السّلام . فكذّب فِرْعَوْنُ موسى عليه السّلام وعَصَى رَبَّهُ جلّ وعلا ، ثمّ أدبر وأعرض يسعى في جلب كلّ شرّ فحشر قومه فنادى فيهم وهَذ : ﴿فقال أنا ربّكم الأعلى﴾ : ﴿كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا﴾ فأخذه الله تعالى فَأَغْرَقَهُ نَكالَ أُكْذُوبَتِهِ الآخرة وأُكْذُوبَتِهِ الّتي جاء على لسانه بشأنها قول الحقّ جلّ وعَلاَ في الآية الكريمة الثّامنة والثّلاثين من سورة القصَص : ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ وبين الأكذوبتين أربعون سنةً فيما يقال . إنّ في تلك العقوبة المخوّفة للآخرين لَعِبْرَةً وعِظَةً لمن يخشى الله تعالى . فعلى كفّار مكّة أن يأخذوا العظة والعبرة ، وإنّ السّياق لَيَسْأَلُهُمْ : أأنتم يا كفّار مكّة أشدّ خلقاً أم السّماء بناها جلّ وعلا فأحكم بناءها، ورفع سَمْكَها وسقفها فلا يرى النّاظر إلى أعلاه سوى السّماء العالية السماءة التّامّة الاستواء . وقد أظلم جلّ وعلا ليلها وأضاء ضحاها ونهارها . والأرض بعد خلق السّماء دحاها وبسطها وقد كان خلقها بغير دحو قبل السّماء . كما أخرج جلّ وعلا من الأرض ماءها ومرعاها . والجبال أرسها كيلا تضطرب الأرض . وكلّ هذه النّعم قد جعلها الله تعالى متاعاً لنا ولأنعامنا .

فإذا جاءت الطّامّة الكبرى الّتي تَطُمّث على غيرها من الدّواهي وتَطْغَى ، وهي النّفخة الآخرة ، يوم يتذكّر الإنسان ما سَعَى وعَمِل في الحياة الدّنيا . وبُرِّزت الجحيم وأَظْهَرت نار جهنّم بحيث تراها كلّ عين . فأمّا من طَغَى وبَغَى وآثر الحياة الدّنيا وفضّل مُتَعهاَ العاجلة الزّائلة فإنّ الجحيم هي مأواه ومثواه . وأمّا من خاف القايم بين يدي ربّه جلّ وعلا يوم الحساب ونَهَى النّفس عن الهوى في الحياة الدّنيا فإنّ الجنّة هي مأواه ومثواه . والعجيب بشأن كفّار مكّة أنّهم يُكْثِرُون من سؤال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن وقت قيام السّاعة وهم الّذين لا يؤمنون بها . ولمّا كان ربّ العزّة والجلال هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي يعلم ذلك الوقت فإنّ السّياق يسأل المصطفى صلّى الله عليه وسلمّ : في أيّ شيءٍ أنت من ذِكرَ السّاعة والعلم بوقت قيامها . كما أنّ السّياق يجيب : إنّ إلى ربّك جل وعلا منتهى العلم بوقت قيامها . وإنّما أنت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم منذر من يخشاها . وكأنّ أولئك المنكرين للبعث المستهزئين بالسّاعة يوم يرونها بسبب الكَرْب الّذي هم فيه لم يلبثوا في الحياة الدّنيا إلاّ عَشِيّة نهارٍ واحدٍ أو ضُحَى نهارٍ تلك العَشِيَّة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

والنّازعات غرقاً : الواو واو القَسَم ، والجارّ والمجرور متعلّق بفعلٍ محذوفٍ تقديره أقسم ﴿غرقاً﴾ مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو ملاقيه في المعنى[١] يقال : نَزَع الشّيءَ جذبه من مقرّه كنزع القوس عن كَبدِه[٢] والنّازعات : الملائكة[٣] تَنْزِعُ أرواح الكفّار[٤] ﴿غرقاً﴾ نزعاً بشدّة[٥] وهو كقولك : والنّازعات إغراقاً ، كما يُغْرِق النّازع في القوس[٦] و﴿غرقاً﴾ مصدر محذوف الزّيادة[٧] والمعنى : والنّازعات إغراقا[٨]

والنّاشطات نشطا : قال ابن عبّاس : يعنى الملائكة تنشط نفس المؤمن فقبضها كما يُنْشَط العِقال من يد البعير إذا حُلّ عنه[٩] يقول الفرّاء[١٠] : "يقال : إنّها تَقْبِضُ نفس المؤمن كما يُنْشَط العقال من البعير . والّذي سمعت من العرب أن يقولوا : أُنْشِطَتُ وكأنّما أُنْشِطَ من عقال . ورَبَطَها : نَشَطَها . فإذا رَبَطت الحبل في يد البعير

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٩/١٣ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نزع" ٤٨٧ .
(٣) تفسير الطبري ١٨/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ ومفردات الرّاغب الأصفهاني "نزع" ٤٨٨ .
(٤) الجلالين ومعاني القرآن للفرّاء ٢٣٠/٣ .
(٥) الجلالين .
(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٣٠/٣ .
(٧) هامش الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٩/١٣ .
(٨) تفسير الطّبري ١٩/٣٠ .
(٩) تفسير القرطبي ٦٩٨٢ وتفسير الطبري ١٩/٣٠ .
(١٠) معاني القرآن ٢٣٠/٣ .

فأنت ناشط . وإذا حللته فقد أنشطته ، وأنت مُنْشِط ، ومن العلماء من ذهب إلى أن نشط بمعنى أنشط[١] يقول القرطبيّ مثلاً[٢] "ويقال نشط بمعنى أنشط لغتان بمعنىً ، وعليه يصحّ قول ابن عبّاس المذكور أوّلاً " وكأنّ هذه اللّفظة مأخوذةٌ من النّشاطِ[٣]

والسّابحات سبحاً : الملائكة[٤] عن مجاهد : الملائكة تَسْبُح في نزولها وصعودها[٥] كما يقال للفرس الجواد إنّه لَسابِح إذا مرّ يُسْرِع[٦]

فالسّابقات سبقاً : الملائكة[٧] قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتّصديق به[٨]

فالمدبّرات أمرا : الملائكة . زاد الحسن : تدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ، يعني يأمر ربّها عزّ وجلّ ، ولم يختلفوا في هذا [٩]

وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثنّ أيّها الكافرون[١٠] إشارة إلى أنّه من ظهور

---

(١) البحر المحيط ٤١٧/٨ .
(٢) تفسير القرطبي ٦٩٨٣ .
(٣) البحر المحيط ٤١٧/٨ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٠/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ وتفسير القرطبي ٦٩٨٤ .
(٥) تفسير القرطبي ٦٩٨٤ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٠/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٠/٣٠ وتفسير القرطبي ٦٩٨٤ .
(٨) تفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ .
(٩) تفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ وانظر تفسير الطّبري ٢٠/٣٠ وتفسير القرطبي ٦٩٨٥ ومعاني الفرّاء ٢٣٠/٣ .
(١٠) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٩/١٣ .

العِلْم به ، بدلالة ما قبله وما بعده عليه ، في حدٍّ لا مزيد عليه ، فهو بحيث لا يحتاج إلى ذكره فحذفه كإثباته بالبرهان

يُقْسِم ربّ العزّة ، والله تعالى أعلم ، بالملائكة الّتي تَنْزِعُ بشدّة أرواح الكافرين ساعة الموت ، وتَسْتَلُّ بِرِفْقٍ أرواح المؤمنين فكأنّها تَحُلُّ أُنْشُوطَة ، والّتي تسبح بين السّماء والأرض سَبْحاً ، فتسبق إلى إلى تنفيذ ما تؤمر به سَبْقاً ، فتدبّر بإذن الله تعالى من السّماء إلى الأرض أمراً .

وممّا يلفت النّظر أنّ الآية الكريمة الأولى تبدأ بواو القسم ، ثمّ تُعْطف آيتان كريمتان بالواو الّتي تدلّ على مطلق الجمع ، وآيتان كريمتان بالفاء الّتي تدلّ على التّرتيب مع التّعقيب وكون السّابق سبباً في اللاّحق وكون اللاّحق مسبَّباً عن السّابق .

وحينما نتبين أنّ نزع ملائكته العذاب بشدّة أرواح الكافرين شيءٌ غَيْرُ سَلِّ ملائكة الرّحمة برفق أرواح المؤمنين ، وأنّ هذين المعنيين غير سبح الملائكة سبحاً بين السّماء والأرض ، نستطيع أن نتبيّن الحكمة من مجيء الواو الّتي تفيد مطلق الجمع ولا تدلّ على ترتيب . وحينما نتبيّن أنّ سبح الملائكة يترتّب عليه سبقها فتدبيرها الأمر بإذن الله تعالى نستطيع أن نتبيّن الحكمة من مجئ الفاء الّتي تدلّ على التّرتيب مع التّعقيب . والله أعلم .

وجواب القسم محذوفٌ تقديره لَتُبْعَثُنّ .

---

(١) نظم الدّرر ٢٢٠/٢١ .

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا
ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩

يوم ترجف الرّاجفة : عن ابن عبّاس ، قوله : يوم ترجف الرّاجفة ، يقول : النّفخة الأولى وقوله : تتبعها الرّادفة ، يقول النّفخة الثّانية[1] وعن مجاهد ، أمّا الأولى وهي قوله جلّ وعلا : يوم ترجف الرّاجفة فكقوله جلّت عظمته : يوم ترجف الأرض والجبال . والثّانية وهي الرّادفة فهي كقوله : وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدة[2] وترجف أي تضطرب . والرّاجفة أي المضطربة ، كذا قال عبدالرّحمن بن زيد ، قال : هي الأرض ، والرّادفة السّاعة . مجاهد : الرّاجفة الزّلزلة . تتبعها الرّادفة ، الصّيحة . وعنه أيضاً وابن عبّاس والحسن وقتادة : هما الصّيحتان ، أي النّفختان . أمّا الأولى فتميت كلّ شيءٍ بإذن الله تعالى . وأمّا الثّانية فتحيي كلّ شيء بإذن الله تعالى . وجاء في الحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : بينهما أربعون سنة[3]

قلوبٌ يومئذٍ واجفة : أي خائفة وجلة . قاله ابن عبّاس وعليه عامّة المفسّرين[4] وَجَفَ القَلْبُ وَجِيفاً اضطرب من شدّة الفزع . وكذلك وَجَبَ وَجِيباً . وفي كتاب لغات القرآن المرويّ عن ابن عبّاس ، واجفة خائفة بلغة همدان[5] يقول تعالى ذكره : قلوب خلقٍ من خلقه يومئذٍ خائفةٌ من عظيم الهول

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٦/٤ وتفسير الطّبري ٢١/٣٠ .
(٣) تفسير القرطبي ٦٩٨٦ .
(٤) تفسير القرطبي ٦٩٨٧ وتفسير الطّبري ٢٢/٣٠ .
(٥) البحر المحيط ٤١٧/٨ .

النّازل[1]

أبصارها خاشعة : أبصار أصحابها ذليلةٌ ممّا قد علاها من الكآبة والحزن ، من الخَوْفِ والرُّعْب الّذي قد نزل بهم من عظيم هول ذلك اليوم[2] وإنّما أضيف إليهَا لِلْملابَسَة[3]

في يوم القيامة تَرْجُفُ الرّاجفة حينما ينفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النّفخة الأولى الّتي ترجف بإذن الله تعالى وتضطرب بسببها الأرض والجبال وتموت الخلائق إلاّ من شاء الله تعالى من الملائكة والحور والولدان ، وتتبع النّفخة الرّاجفة النّفخةُ الثّانية الرّادفة الّتي تردف الأولى وتتبعها حينما ينفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النّفخة الأُخْرى الّتي تُحْيي بإذن الله تعالى الخلائق . وبين النّفختين أربعون سنةً فيما قيل ، والله أعلم . وفي يوم البعث والقيامة قلوبٌ واجفةٌ مضطربة بسبب ما انتابها من الفزع ، وأبصار أصحابها خاشعةٌ ذليلة بسبب الكفر وإنكار البعث وعدم الاستعداد لذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٢/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٢/٣٠ ونظم الدّرر ٢٢٤/٢١ ومعاني الفرّاء ٢٣/٣ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٤ .

يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾

يقولون أئنّا لمردودون في الحافرة : يقول هؤلاء المكذّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم إنّكم مبعوثون من بعد الموت أئنّا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات فراجعون أحياءً كما كُنّا قبل هلاكنا وقبل مماتنا . وهو من قولهم : رجع فلانٌ على حافرته إذا رجع من حيث جاء[1] ورجع فلانٌ في حافرته أي في طريقه الّتي جاء منها فحفرها أي أثّر فيها بمشيه فيها . جعل أثر قدميه حفراً .

وتوقعها العرب على أوّل أمرٍ يرجع إليه من آخره[2]

أئذا كنّا عظاماً نخرة : اختلفت القرّاء في قراءة ذلك . فقرأته عامّة قرّاء المدينة والحجاز والبصرة نَخِرَة بمعنى بالية . وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة ناخرة بألف بمعنى أنّها مجوّفة تنخر الرّياح في جوفها إذا مرّت بها[3] والنّخرة البالية المتعفّنة الصّائرة ميما[4] يقال : نَخِر العظم بالكسر أي بَلِيَ وتفتّت[5] وأفصح اللّغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية . غير أنّ رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إليّ لذلك أن تلحق ناخرة بها ليتّفق هو وسائر رءوس الآيات ، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها[6]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٢/٣٠ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حضر" وتفسير القرطبي ٦٩٨٧ .
(٢) البحر المحيط ٤١٧/٨ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٣/٣٠ .
(٤) البحر المحيط ٤١٧/٨ .
(٥) تفسير القرطبي ٦٩٨٨ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٣/٣٠ وانظر الإتقان ٢٨١/١ وميل بعض العلماء عن التّرجيح والاكتفاء بتوجيه القراءة .

قالوا تلك إذن كرّة خاسرة : قالو تلك ، يعنون تلك الرّجعة أحياء بعد الممات . إذن : يعنون الآن . كرّة ، يعنون رجعة . خاسرة ، يعنون غابنة[1]

من مظاهر إنكار الكافرين للبعث قول كفّار مكّة حينما يقال لهم إنّهم مبعوثون من بعد الموت : أئنّا لمردودون في الحافرة وعائدون بعد الفناء وراجعون بعد البلى أحياءً كما كنّا قبل الهلاك والممات ! أئنّا لعائدون إلى الحالة الّتي كنّا عليها في الدّنيا وراجعون إلى الصّورة الّتي كنّا عليها بعد أن غدت عظامنا ناخرةً خاويةً تصفر فيها الرّياح ، ونخرةً باليةً متفتّتة ! إنّ تلك الرّجعة والكرّة مرّةً أخرى إلى الحياة ، إن صحّت في حقّنا نحن المنكرين للبعث ، إذن رجعة خاسرة ، وكرّة غابنة !

وبطبيعة الحال لم يصدّق كفّار مكّة أنّ بعد الموت بعثاً فحساباً فجزاءً ولذلك كانوا منكرين للبعث مستهزئين به .

وبشأن لفظة الحافرة في الآية الكريمة : ﴿يقولون أأنّا لمردودون في الحافرة﴾ سبق لنا أن بيّنّا الرّحلة الطّويلة الّتي مرّت بها اللّفظة حتّى أصبحت في الآية الكريمة تدلّ على العودة إلى الحياة مرّةً أخرى بعد الموت والبِلى[2] وإليك موجز الرّحلة المؤلّفة من أربع مراحل :

١- لفظة الحافرة وكذلك لفظة الحافر جزءٌ من المثل : النّقد عند الحافر ، والنّقد عند الحافرة . والمعنى وجوب دفع الثّمن نقداً للعربيّ وعلى الفور عند اضطراره لبيع فرسه الغالية عليه العزيزة عنده . ومعنى المثل : النّقد ودفع الثّمن على الفور عند بيع الفرس

(١) تفسير الطّبري ٢٣/٣٠ .
(٢) في كتاب تأمّلات في سورة النّازعات ٣٨-٤٢ مكّة المكرّمة ١٤١١هـ الطّبعة الثّالثة .

ذي الحافر ، والفرس ذات الحافرة ، والفرس الحافرة في الأرض حينما تسير . والفرس لفظٌ يطلق على المذكّر والمؤنّث .

٢- بعد أن كان المثل بصيغتيه خاصّاً بالفرس الّذي يضطرّ العربيّ لبيعه ولا يعزّيه سوى قبض الثّمن على الفور أصبح المثل عامّاً يُسْتَعْمَل عن اضطرار العربيّ لبيع أيّ شيءٍ عزيزٍ لديه .

٣- في المرحلة الثّالثة للمثل تمّ التّخلّص من ثلثه الأوّل أي من أولى الألفاظ الثّلاث بسبب كثرة استعمال المثل ودورانه على الألسنة ، مع دلالة ثلثي المثل على الفوريّة والأوّلية على نحو دلالة المثل في صيغته الكاملة . لقد أصبحت الصّيغتان ، عند الحافر ، وعند الحافرة ، تدلاّن على الفوريّة والأوّليّة في مثل قولهم : فعل كذا عند الحافرة والحافر ، والتقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة والحافر ، أي عند أوّل ما ٱلْتَقَوْا .

٤- في المرحلة الرّابعة والأخيرة للمثل تمّ التّخلّص من ثلثي المثل فلم تبق سوى لفظة الحافرة والحافر . ويلاحظ دور ظاهرة الاشتقاق في قدرة هذه اللّفظة على البقاء بسبب دلالتها على حفر الفرس في الأرض وارتباط الفوريّة والأوّليّة ببقاء أثر الفرس في الأرض التّرابيّة آنذاك دائماً وبعدم محو ذلك الأثر ، ويبدو واضحاً دور ظاهرة الاشتقاق الّتي تُعْرَف بها اللّغة العربيّة بشأن لفظتي الحافر والحافرة في دلالة كلٍّ من اللّفظتين على مشي الفرس على التّراب ، وعلى حفرها فيها ، من الاستعمالات المختلفة للفظة الحافرة والحافر الّتي تُتَوَّجُ باستعمال الآية الكريمة من سورة النّازعات للفظة الحافرة يقال جاء فلانٌ ثمّ رجع إلى حافره وحافرته وعلى حافره وحافرته إذا

عاد من ذات الطّريق الّذي جاء منه مستدلاً بحفر الفرس من الأرض قبل ذهاب الأثر دليلاً على العودة الفوريّة . وجاءت في الآية الكريمة لفظة الحافرة بالمعنى الّذي تبيّنّا وذلك في قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿يقولون أئنّا لمردودون في الحافرة﴾ .

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

فإنّما هي زجرةٌ واحدة :: فإنّما هي صيحةٌ واحدةٌ ونفخةٌ تنفخ في الصُّور[١] وهي النّفخة الآخرة[٢] أي فإنّما هو أمرٌ من الله لا مَثْنَوِيَّةَ فيه ولا تأكيد فإذا النّاس قيامٌ ينظرون والآخِرون قيامٌ بين يدي الرّبّ عزّ وجلّ ينظرون[٣] .

فإذا هم بالسّاهرة : قال ابن عبّاس : السّاهرة الأرض كلّها ، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح . وقال عكرمة والحسن والضّحّاك وابن زيد : السّاهرة وجه الأرض وقال مجاهد : كانوا بِأَسْفَلِها فأُخْرِجُوا إلى أعلاها[٤] ويقول الطّبري[٥] : "والعرب تسمّى الفلاة ووجه الأرض ساهرة . وأراهم سَمَّوْا ذلك بها لأنّ فيه نوم الحيوان وسهرها فوصف بصفة ما فيه" ويقول أبو حيّان[٦] : "والسّاهرة وجه الأرض والغلاة ، وُصِفَتْ بما يقع فيها وهو السَّهَر للخوف"

إنّ على منكري البعث ألاّ يستصعبوا قيام السّاعة فليست هي سوى زجرةٍ واحدةٍ وصيحةٍ لا تتكرّر ونفخةٍ في الصّور هي النّفخة الآخرة فإذا جميع الخلائق بالأرض الّتي يُعَبَّر عنها بالسّاهرة . إنّ الأرض وهي جمادٌ ساهرةٌ في الآخرة على إنبات الخلائق وذلك على غرار سَهَرِها في الدّنيا بإخراج النّبات فهل يليق بالجماد أن يكون في حكم السَّهْران والإنسان في حكم الوَسْنان!

---

(١) تفسير الطّبري ٢٣/٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٣/٣٠ .
(٦) البحر المحيط ٤١٧/٨ .

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ
نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ
رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ
﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

هل أتاك حديث موسى : هل أتاك يا محمّد حديث موسى بن عمران ، وهل سمعت خبره[1] وكلّ كلامٍ يَبْلُغُ الإنسانَ من جهة السَّمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث[2] ويدور الأصل اللّغويّ "حدث" حول الحدوث والجدّة . فالحُدوث كونُ الشّيء ووجودُه بعد أن لم يكن ، عَرَضاً كان ذلك أو جوهرا ، وإحداثه إيجاده[3] فمن معاني الحديث –مثلاً– الطّريّ من الثّمار[4]

إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس طُوى : هل سمعت خبر موسى بن عمران حين ناجاه ربّه بالواد المقدّس ، يعني بالمقدّس المطهّر المبارك[5] وعن مجاهد ، قوله : طوى ، اسم الوادي[6] .

إنّه طغى : عنا وتجاوز حَدَّهُ في العدوان والتّكبّر على ربّه[7] .

فقل هل لك إلى أن تزكّى : أدعوك[8] لطفٌ في الاستدعاء، لأنّ كلّ عاقلٍ يجيب

---

(١) تفسير الطّبري ٢٥/٣٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني " حدث " ١١٠ .
(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حدث" ١١٠ .
(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حدث" ١١٠ .
(٥) انظر تفسير الطّبري ٢٥/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٥/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٥/٣٠ .

مثل هذا السّؤال بنعم . وتزكّى تتحلّى بالفضائل وتتطهّر من الرّذائل . والزّكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى[١]

وأهديك إلى ربّك فتخشى : الهداية دلالةٌ بلُطفٍ[٢] وخُصَّ ما كان دلالةً بهديت وما كان إعطاءً بأهديت نحو أهديت الهديّة وهديت إلى البيت[٣] يقول تعالى ذكره لنبيّه موسى : قل لفرعون ، هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يُرْضِي ربّك عنك ، وذلك الدّين القيّم ، فتخشى ، يقول : فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه[٤] .

فأراه الآية الكبرى : كانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للنّاظرين ، وعصاه إذ تحوّلت ثعباناً مبينا[٥]

فكذّب وعصى : فكذّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة وعصاه فيما أمره به من طاعته رَبَّهُ وخشيته إيّاه[٦] .

ثمّ أدبر يسعى : ثمّ ولّى معرضاً عمّا دعاه إليه موسى من طاعته ربّه وخشيته وتوحيده يسعى ، يقول يعمل في معصية الله وفيما يسخطه عليه[٧] فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى : حشر قومه فنادى فيهم فلمّا اجتمعوا قال أنا ربّكم الأعلى[٨]

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٢١ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "هدى" ٥٣٨ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهان : "هدى" ٥٣٨ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .

فأخـذه الله نكـال الآخـرة والأولى : فعاقبـه الله نكـال الآخـرة والأولى . يقـول : عقوبة الآخرة من كلمتيه وهي قوله : أنا ربّكم الأعلى ، والأولى قوله : ما علمت لكم من إلهٍ غيري عن ابن عبّاس ، قوله : فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، قال : أمّا الأولى فحين قال : ما علمت لكم من إلهٍ غيري[1] . وأمّا الآخِرة فحين قال : أنا ربّكم الأعلى[2] عن مجاهد كان بينهما أربعون سنة[3] أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرةً ونكالاً لأمثاله من المتمرّدين[4] ونكّلت به إذا فعلت به ما يُنَكَّل به غيره ، واسم ذلك الفعل نَكال[5] والنِّكْل : قيد الدّابّة وحديدة اللّجام لكونهما مانِعَيْن والجمع الأنكال[6] وأخرج نكال الآخرة مصدراً من قوله :فأخذه الله لأنّ قوله : فأخذه الله ، نكّل به فجعل نكال الآخرة مصدراً من معناه لا من لفظه[7] .

إنّ في ذلك لعبرةً لمن يخشى : لمن يتّعظ وينزجر[8]

هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم حديث موسى بن عمران كبير أنبياء بني إسرائيل ، وهل سمعت خبره عليه الصّلاة والسّلام ، إذ ناداه ربّه جلّ وعلا بالوادي المقدّس المطهّر طوى في شبه جزيرة سَيْناء . لقد قال له ربّه جلّ وعلا : اذهب إلى فرعون حاكم مصر إنّه طغى وبغى . فقل له هل لك إلى أن تَزَكّى وإنّي أدعوك إلى أن

---

(١) تفسير الطّبري ٢٦/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٦/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٧/٣٠ وفي تفسير ابن كثير ٤٦٨/٤ أنّ هذا رأي ابن عبّاس أيضا .
(٤) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٤ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نكل" ٥٠٦ .
(٦) مفرادات الرّاغب الأصفهاني : "نكل" ٥٠٦ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/٣٠ .
(٨) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٤ .

تتطهّر من الشّرك والذّنوب . وأهديَك إلى سبيل ربّك جلّ وعلا فتخشاه جلّ وعلا وتراقبه في السّرّ والعلن . وأصرّ فرعون على كفره فأراه موسى عليه السّلام الآية الكبرى بشقّيها وهي العصا واليد من بين آيات موسى عليه السّلام التّسع ، فكذّب فرعونُ موسى عليه السّلام ، وعصى ربَّه جلّ وعلا . ﴿ثمّ أدبر يسعى﴾ وأعرض يجتهد في الكيد لموسى عليه السّلام بِجَمْعِ السَّحَرَة من كلّ حَدَبٍ وصوب ، وحشر قومه وجمعهم ونادى فيهم وقال ﴿أنا ربّكم الأعلى﴾ ﴿كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا﴾ فأخذه الله تعالى ونكّل به وجعله عبرةً لأمثاله من الطّغاة ، ونكالَ هذه الأكذوبة الآخِرَة ، وتلك الأكذوبة الأولى الّتي جاءت الإشارة إليها في قول الحقّ جلّ وعلا[1] : ﴿وقال فرعون يأيّها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري﴾ وبين الأُكْذُوبَتَيْنِ أربعون سنةً فيما يقال . والله أعلم . إنّ في ذلك الأخذ والإغراق لفرعون الطّاغية في البحر لعبرةً لمن يخشى الله تعالى وعظةً لمن يخاف الله تعالى ويتّقيه .

---

(١) سورة القصص ٣٨ .

ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ
سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا
﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾

رفع سمكها فسوّاها : أي جعل سمتها في جهة العلوّ رفيعاً[1] والسَّمْك سَمْك البيت ، وقد سمكه أي رفعه قال : ﴿رفع سمكها فسوّاها﴾ وقال الشّاعر :

إنّ الّذي سمك السّماء مكانَها[2]

وأغطش ليلها : عن ابن عبّاس : أظلم ليلها[3] أي ليل السّماء فأضاف اللّيل إلى السّماء لأنّ اللّيل غروب الشّمس ، وغروبها وطلوعها فيها ، فأضيف إليها لما كان فيها كما قيل : نجوم اللّيل ، إذ كان فيه الطّلوع والغروب[4]

وأخرج ضحاها : أنار نهارها[5]

والأرض بعد ذلك دحاها : المعروف من معنى بعد أنّه خلاف معنى قبل[6] دحاها : بسطها ومدّها ، لأنّ الدّحو إنّما هو البسط في كلام العرب والمدّ يقال منه : دحا يدحو دحواً ، ودَحَيْت أَدْحِي دَحْياً لغتان[7] عن ابن عبّاس : قوله حيث ذكر خلق

---

(١) الجلالين . وجاء في اللّسان : "سمك" والسَّمْك : القامة منْ كُلِّ شيءٍ بعيد طويل السّمك . والسّمك يجيء في مواضع بمعنى السّقف .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سمك" ٢٤٣ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/٣٠ وانظر الجلالين .
(٥) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٤ .
(٦) تفسير الطّبري ٣/٣٠
(٧) انظر تفسير الطّبري ٣/٣٠ .

الأرض قبل السّماء ثمّ ذكر السّماء قبل الأرض وذلك أنّ الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يَدْحُوَها قبل السّماء ، ثمّ استوى إلى السّماء فسواهنّ سبع سماواتٍ ثمّ دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : والأرض بعد ذلك دحاها[١]

والجبال أرساها : والجبال أثبتها فيها[٢] يقال : رسا الشّيءُ يرسو ثبت . وأرساه غيرُه[٣]

متاعاً لكم ولأنعامكم : الأنعام جمع النَّعَم – والنَّعَم مختصٌّ بالإبل . وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أَعْظَمَ نِعْمَة . لكنِ الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها أنعامٌ حتّى يكون في جملتها الأبل[٤]

بعد حديث الآيات الكريمات عن إهلاك الله تعالى فرعون وملأه الأشدّ قوّةً وبطشاً من كفّار مكّة يتحوّل الحديث إلى سؤال كفّار مكّة ومن شاكلهم في إنكار : أأنتم أشدّ خلقاً يا كفّار مكّة أم السّماء؟ والجواب معروف . إنّ خلق السّماوات والأرض أكبر من خلق النّاس . ويستمرّ الحديث عن السّماء والارض . إنّ الله سبحانه وتعالى بَنَى السّماء بإحكام ، بأن رفع سمكها وجعلها مستوية الأجزاء ، بحيث إنّك إذا نظرت إلى ارتفاعها متّجهاً بنظرك من أسفلها إلى أعلاها لا يقع طرفك إلاّ على جزءٍ عالٍ من أجزائها ، هذا إلى استوائها وملاستها . والله تعالى أغطش ليل السّماء وأظلمه ، وأخرج نور ضحاها وأظهر نهارها . وإذا كان الله تعالى قد خلق الأرض ابتداءً في يومين اثنين دون دحوٍ وبسط ، وخلق بعد ذلك السّماء في يومين اثنين ، فإنّه جلّ وعلا دحا الأرض بعد ذلك وبَسَطَها في يومين اثنين تمام ستّة أيّامٍ يعلم الله تعالى حقيقة طولهما .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "درسا" ١٦٩ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نعم" ٤٩٩ .

ونتيجةً لبسط الأرض وانحدارها المقدّرِ المضبوط ، وتقدير الله تعالى أَقْواتَها أخرج جلّ وعلا منها ماءها ومرعاها ، وكيلا تضطرب الأرض وتميد أرسى الله تعالى الجبال فيها . وكانت الثّمرة الشهيّة للعناية الفائقة بالأرض أن كان ما يخرج منها من ماءٍ وزروعٍ وما إلى ذلك متاعاً لنا نحن البشر ومتاعاً لأنعامنا من إبلٍ وبَقَرٍ وغَنَمٍ وسائر الحيوان .

ويُفْهَم من الآيات الكريمات ٩-١٢ من سورة فصِّلت أنّ الأرض كان من نصيبها أربعة أيّام وأنّ السّماء كان من نصيبها يومان اثنان ، تمام ستّة أيّام خَلَقَ الله سبحانه وتعالى السّماوات والأرض فيها .. والله أعلم .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

فإذا جاءت الطّامّة الكبرى : عن ابن عبّاس ، قوله : فإذا جاءت الطّامّة الكبرى، من أسماء يوم القيامة عظّمه الله وحذّر عباده[١] يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت الّتي تطمّ على كلّ هائلةٍ من الأمور فتغمر ما سواها بعظيم هولها[٢]

وبرّزت الجحيم لمن يرى : وأُظْهِرَتِ الجحيم وهي نار الله لمن يراها ، يقول : لأبصار النّاظرين[٣] والبَراز الفضاء ، وبرز حصل في بَراز[٤]

وأمّا من خاف مقام ربّه : وأمّا من خاف مألة الله إيّاه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه فاتّقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه[٥] وخاف حكم الله فيه[٦] والمقام يكون مصدراً واسم مكان القيام وزمانَه[٧]

فإذا جاءت الطّامّة الكبرى الّتي تطمّ على كلّ الطّامات والدّواهي وتَطْغَى عليها وهي النّفخة الأخرى الّتي يَحْيَا إِثْرَها الخلائق بإذن الله تعالى ويبعثون من أجل الحساب فالجزاء ، في ذلك اليوم يتذكّر كلّ إنسانٍ ما سَعَى في الحياة الدّنيا وعَمِلَ من خيرٍ أو

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٣١/٣٠ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "برز" ٤٣ .
(٥) تفسير الطّبري ٣١/٣٠ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٦٩/٤ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قوم" ٤١٧ .

شرّ، وبُرّزت الجحيم وأُظْهِرت لِكُلِّ من يَرَى ، وكَأنّها في البَراز وهو المكان المكشوف من كلّ الجوانب . فأمّا من طغَى وبَغَى وآثر الحياة الدّنيا وفضّل العاجلة على الآجلة فإنّ الجحيم والنّار المحرقة هي مأواها ومثواه . وأمّا من خاف مقام ربّه جلّ وعلا وخشي القيام بين يديه عزّ وجلّ يوم القيامة ونَهَى النّفس عن هواها في الدّنيا فإنّ الجنّة هي مأواها ومثواه .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ
أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

يسألونك عن السّاعة : الّتي تبعث فيها الموتى من قبورهم[١]

أيّان مرساها : متى قيامها وظهورها . وكان الفرّاء يقول : إن قال القائل : إنّما الإرساء للسّفينة والجبال الرّاسية وما أشبههنّ ، فكيف وصف السّاعة بالإرساء ؟ قلت : هي بمنزلة السّفينة إذا كانت جاريةً فَرَسَتْ ورسوّها قيامها . قال : وليس قيامها كقيام القائم ، إنّما هي كقولك قد قام العدل وقام الحقّ أي ظهر وثَبَتْ[٢]

فيما أنت من ذكراها : في أيّ شيءٍ أنت من ذكر السّاعة والبحث عن شأنها[٣] أي ليس عندك علمها حتّى تذكرها[٤]

إلى ربّك منتهاها : إلى ربّك منتهى علمها . أي إليه ينتهي علم السّاعة لا يعلم وقت قيامها غَيْرُه[٥]

كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّةً أو ضحاها : كأنّ هؤلاء المكذّبين بالسّاعة يوم يرون أنّ السّاعة قد قامت من عظيم هولها لم يلبثوا في الدّنيا إلاّ عشيّة يومٍ أو ضحى تلك العشيّة . والعرب تقول آتيك العشيّة أوغداتها ، وآتيك الغداة أو عشيّتها ، فيجعلون معنى الغداة بمعنى أوّل النّهار والعشيّة آخر النّهار . فكذلك قوله : إلاّ عشيّةً أو ضحاها ، إنّما معناه إلاّ آخر يومٍ أو أوّله[٦]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣١ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣١ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٣١ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٢ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٣٢ .

العجيب في شأن كفّار مكّة منكري البعث أنّهم يُكْثِرون من سؤال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن السّاعة متى قيامُها . ولمّا كان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ليس عنده علمٌ عن السّاعة فإنّ السّباق يسأل : في أيّ شيءٍ أنت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من ذكر السّاعة والبحث عن شأنها . إلى ربّك جلّ وعلا وَحْدَهُ لا شريك له منتهى علمها ووقتُ قيامها ، فإنّ الله تعالى لم يخصّ مَلَكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً بقوت قيام السّاعة فضلاً عمّن سوى هؤلاء . إنّما أنت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم منذرُ من يخشى السّاعة ، ويستعدّ لها بالعمل الصّالح ، ولا يكتفي بمجرّد السّؤال عنها وربّما بالاستهزاء بها ، مِثْلَ كفّار مكّة . إنّ كفّار مكّة ومن شاكلهم لفرط هول السّاعة ومشقّة قيامها على كلّ نفسٍ ، كأنّهم لم يلبثوا في الحياة الدّنيا ، وإن طالت أعمارهم ، إلاّ عشيّة نهارٍ واحدٍ ومساءَه ، أو ضحى تلك العشيّة وأوّل نهارها .

سورة عَبَس

سورة عبس مكّيّة[٢] تُعْنَى بأسس العقيدة ، ويدور محورها حول البعث بعد الموت . وتبدأ السّورة الكريمة بِعِتابِ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذ تجاوز الفاضل ، وهو إجابة الرّجل الأعمى الّذي جاء يسعى ويخشى الله تعالى عن سؤاله أن يعلّمه عليه الصّلاة والسّلام ممّا علّمه الله تعالى إلى المفضول ، وهو التّصدّى لمن استغنى بكفره وماله . لقد قبض وجهه عليه الصّلاة والسّلام ممّا علّمه الله تعالى إلى المفضول ، وهو التّصدّى لمن استغنى بكفره وماله . لقد قبض وجهه عليه الصّلاة والسّلام تكرُّهاً لإلحاح الأعمى في سؤاله ، وأعرض عليه الصّلاة والسّلام عنه ، فعاتبه ربّ العزّة ، لأنّ عليه صلّى الله عليه وسلّم البِلاغَ وَحْدَه ، ولأنّ النّاس جميعاً سواءٌ في حقّ البلاغ إنّ هذه السّورة الكريمة وسائر سور القرآن الكريم موعظةٌ وذكرى فمن شاء من عباد الله تعالى ذكره جلّ وعلا . وهذا القرآن الكريم مكتوبٌ في صحفٍ مُكَرَّمَةٍ مُوَقَّرة ، مرفوعةٍ في اللّوح المحفوظ في السّماوات العُلى ، مطهّرةٍ من أيّ دَنَس ، بأيدى ملائكةٍ كتبةٍ مؤتمنين على إبلاغ الوحي ، كرامٍ بَلَغُوا الغاية في بِرّ الله تعالى وطاعته . إنّ جنس الإنسان كافرٌ بل كفور للدّرجة الّتي يُتَعجَّب معها من كفره ، ويستحقّ أن يُدْعَى عليه بالقتل جزاءً وِفاقَ كُفْرِه . والعجيب في جنس الإنسان أنّه يكفر ويستكبر عن عبادة الله تعالى ويستهزئ وكأنّه لا يعلم الشّيء الّذي خَلَقَهُ الله تعالى منه . إنّ الله تعالى خلقه من نطفةٍ من ماءٍ مهين فقدّره أحوالاً حتّى غدا إنساناً يوياً . ثمّ يَسَّرَ الله تعالى له سبيل خروجه من

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٠ والجلالين والإتقان ١/٤٢ والبحر المحيط ٨/٤٢٥ وتفسير القرطبي ٧٠٠٢

بطن أمّه . ثمّ أماته جلّ وعلا وجعل له قبراً . ثمّ إذا شاء جلّ وعلا أنشره وبَعَثَهُ يوم القيامة . إنّ جنس الإنسان لم يقض حقّ الله تعالى عليه خلافاً لما يعتقد . وكي يعتبر الإنسان ويعود إلى بارئه جلّ وعلا عليه أن ينظر بعين البصر والبصيرة إلى طعامه . إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي صَبَّ الماءَ الفرات من السّحاب صَبّاً ، ثمّ شقّ الأرض بالنّبات شقّاً ، فأخرج بها أنواع النّبات من الحبوب ، والأعناب ، والبقول ، والزّيتون والنّخيل ، والحدائق الغلاظ الأشجار ، والفواكه الّتي يتمتّع بها النّاس ، والأَبّ بمعنى الأعشاب التي يتمتّع بها الأنعام . فإذا جاءت النّفخة الثّانية الّتي تَصُخّ الآذان وتَصُمُّها فإنّ المرء في ذلك اليوم يفرّ من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه . إنّ لكلّ إنسانٍ شأناً يغنيه وأمراً يكفيه . وفي ذلك اليوم وجوه المؤمنين مضيئة ، ضاحكةٌ لفرط الفرح ، مستبشرة لشدّة السّرور . أمّا وجوه الكافرين فإنّ عليها غَبَرَة الذُّلّ ، وقد عَلَتْها قَتَرَةُ الهوان وسَوادُه . إنّ أولئك هم الكافرة قلوبهم الفاخرة أعمالهم . [٢]

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ
يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾
فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن
جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾

سبب النّزول

من الّذين تحدّثوا في سبب النّزول الإمامان التّرمذيّ في سننه ومالك في موطّئه[1] وجاء في تفسير الطّبري[2] في سبب النّزول عن ابن عبّاس قال : بينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يناجى عُتْبَةَ بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان يتصدّى لهم كثيراً ويَحْرِصُ عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجلٌ أعمى يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم يمشى وهو يناجيهم ، فجعل عبدالله يستقرئ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم آيةً من القرآن وقال : يا رسول الله ، علّمني ممّا علّمك الله . فَأَعْرَضَ عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعَبَس في وجهه وتَوَلَّى وكَرِهَ كلامه وأقبل على الآخرين فلمّا قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره ثمّ خفق[3] برأسه ثمّ أنزل الله : ﴿ عبس وتولّى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعلّه يزّكّى . أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى ﴾ فلمّا نزل فيه أكرمه رسول الله صلىّ الله عليه وسلمّ وكلّمه وقال له : ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء؟ وإذا ذهب من عنده قال له : هل لك حاجةٌ في شيء؟ وذلك لمّا أنزل الله : ﴿أمّا من استغنى . فأنت له تصدّى . وما عليك ألاّ يزّكّى﴾

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٠ .
(٢) ٣٠/٣٣ .
(٣) خفق : نام .

ويصحّ أن تكون الآيات العشر كلّها نزلت في هذه المناسبة المعيّنة بسبب ترابط الآيات الكريمات . والله أعلم .

والآيات الكريمات في كتاب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم[١] فكان صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك يقول له إذا جاء : مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي ، ويَبْسُطُ له رداءه[٢] ورُوِيَ أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة في غزوتين غزاهما يصلّى بأهلها[٣] ورُوِيَ أيضاً أنّ ابن أمّ مكتوم جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقائده يبصر وهو لا يبصر ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشير إلى قائده يكفّ وابن أمّ مكتوم يدفعه ولا يبصر حتّى عَبَسَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعاتبه الله تعالى في ذلك[٤]

عبس : قبض وجهه تكرّهاً[٥] والعُبوس قطوب الوجه من ضيق الصّدر[٦] وتولّى : وأعرض[٧]

أن جاءه الأعمى : لأجل أن جاءه الأعمى[٨]

وما يدريك لعلّه يزّكّى : وما يدريك يا محمّد ، لعلّ هذا الأعمى الّذي عبست في وجهه يَزَّكّى : يقول : يتطهّر من ذنوبه[٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٣/٣٠ والجلالين .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٣٣/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٣/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٢/٣٠ .
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عبس" ٣٢٠
(٧) تفسير الطّبري ٣٢/٣٠ .
(٨) الجلالين وتفسير الطّبري ٣٢/٣٠ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٤/٣٠ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "روى" ١٦٨ .

أو يذّكر فتنفعه الذّكرى : أو يتذكّر فتنفعه الذّكرى ، يعنى يعتبر فينفعه الاعتبار والاتّعاظ[١]

أمّا من استغنى : بماله[٢] كعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة[٣]

فأنت له تصدّى : فأنت له تتعرّض رجاء أن يسلم[٤]

وما عليك ألاّ يزّكّى : وأيّ شيءٍ عليك ألاّ يتطهّر من كفره فيسلم[٥]

وأمّا من جاءك يسعى : وأمّا هذا الأعمى الّذي جاءك سعياً[٦]

وهو يخشى : وهو يخشى الله ويتّقيه[٧]

فأنت عنه تلهّى : فأنت عنه تُعْرِض وتَشاغل عنه بغيره وتَغافَل[٨] فيه حذف التّاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل[٩]

الآيات الكريمات في عتاب الله تعالى حبيبه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وينبغي أن يكون واضحاً في أذهاننا مستقرّاً في نفوسنا أنّ الله تعالى الّذي له وَحْدَهُ دون سواه الخَلْقُ والأَمْر ، هو الّذي يعاتب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . إنّ ربّ العزّة والجلال يعاتب حبيبه صلّى الله عليه وسلّم لأنّ الحبيب صلّى الله عليه وسلّم تجاوَزَ الفاضل عند الله تعالى وهو الاهتمام بالرّجل الأعمى الّذي يخشى الله تعالى ، إلى المفضول

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٩) الجلالين .

وهو الحرص على إسلام أساطين الكفر في مكّة والاهتمام بهم وبالتّالي الانشغال عن الأعمى المؤمن الّذي اطمأنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إلى إيمانه .

وإنّ أهمّ ما ينبغي التّنويه به في التّنبيه على رفيع منزلة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عند بارئه جلّ وعلا أَنّ الآيتين الكريمتين الأولَيَيْن الشّديدتي العتاب بالقياس إلى الآيات الكريمات الأخريات يجيء الحديث فيهما مستعملاً ضمير المفرد الغائب العائد إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . إنّ الآيتين الكريمتين لا يجيء الحديث فيهما مستعملاً ضمير المخاطب فلا يقال : عبست وتولّيت أنجاءك الأعمى ، إنّما الّذي يجيء : ﴿عبس وتولّى . أن جاءه الأعمى﴾ إنّ في استعمال ضمير المفرد الغائب العائد إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذي يَنْزِلْ عليه الوحي ، تنويهاً برفيع منزلة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عند بارئه جلّ وعلا ، وإيماءً إلى أنّ السّبب في التّصدّى للكافرين ، وهو الحرص على إسلامهم ، وفي الإعراض عمّن جاء يسعى ويخشى الله تعالى ، وهو الاطمئنان إلى إسلامه ، ليس كافياً لتجاوز الفاضل إلى المفضول .

يقول السّياق : عبس وجهه وأعرض بجانبه مِنْ أجل أن جاءه عليه الصّلاة والسّلام الرّجل الأعمى الّذي ألحّ في السّؤال عمّا ينفعه من العِلْم ، في وقت كان عليه الصّلاة والسّلام مهتمّاً فيه بدعوة بعض أساطين الكفر إلى الإسلام . وما يدريك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم لعلّه يتطهّر من ذنوبه بتعليمك إيّاه ، أو يتذكّر فتنفعه الذّكرى وتفيده الموعظة . والمعروف أنّ صيغة الزّمن المضارع : ﴿وما يدريك﴾ تفيد أنّ ذلك المعنى ممّا يصحّ أن يدركه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بإذنٍ من ربّه جلّ وعلا. وقد تبيّنّا أنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قد استخلف ذلك الرّجل الأعمى مرّتين

اثنتين في غزوتين غزاهما كي يصلّي بالمؤمنين . وذلك من الأدلّة على التطهّر من الذّنوب والتّذكّر ، ولله الحمد والمنّة . أمّا من استغنى عن الإيمان بالكفر والمال كأبيّ بن خلف فأنت له تتصدّى وتتعرّض كي يؤمن . وأيّ شيءٍ عليك ألاّ يتطهّر من كفره فيسلم وقد استحبّ العَمَى على الهُدَى ؟ وأمّا من جاءك ووصل إليك يسعى ويمشي سريعاً وهو يخشى الله تعالى في أعماقه فأنت عنه تتلهّى وتتشاغل بدعوة أولئك الّذين آثروا العاجلة على الآجلة .

قال ابن زيد : كان يقال ، لو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتم من الوحي شيئاً كتم هذا عن نفسه[1]

وجاء في المفردات بشأن القول : ﴿وما يدريك ﴾[2] : "وكلّ موضع ذُكِر في القرآن : ﴿وما أدراك﴾ فقد عُقِّب ببيانه ... وكلّ موضعٍ ذُكر فيه : ﴿ وما يدريك ﴾ لم يعقّبه بذلك" .

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٣ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "درى" ١٦٨ .

كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ
مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾

كلاّ : ردعٌ وزجرٌ وإبطالٌ لقول القائل،وذلك نقيض إي في الإثبات[١] والمعنى : مالأمر كما فعلت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من تجاوزك الفاضل إلى المفضول.

إنّها : أي السّورة أو الآيات[٢] أو الوصيّة بالمساواة بين النّاس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم[٣]

تذكرة : عظة وعبرة[٤]

فمن شاء ذكره : فمن شاء من عباد الله ذكره . يقول : ذكر تنزيل الله ووحيه في الهاء في قوله : إنّها ، للسّورة . وفي قوله : ذكره ، للتّنزيل والوحي[٥]

في صحفٍ مكرّمة : أي هذه السّورة أو العظة وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن في صحفٍ مكرّمة أي معظّمة موقّرة[٦] والصّحف جمع الصّحيفة الّتي يكتب فيها[٧]

مرفوعةٍ مطهّرة : يعني في اللّوح المحفوظ . وهو المرفوع المطهّر عند الله[٨]

بأيدي سفرة "يقول : الصّحف المكرّمة بأيدي سفرة ج مع سافر . واختلف أهل التّأويل فيهم ما هم ، فقال بعضهم : هم كتبة ... عن ابن عبّاس في قوله : بأيدى سفرة ، يقول : كتبة ... وقال آخرون : هم القرّاء ... وقال آخرون : هم الملائكة ...

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "كلا" .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٧ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤/٤٧ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صحف" ٢٧٥ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ .

عن ابن عبّاس ، بأيدي سفرة . كرامٍ بررة . يعنى الملائكة.... وأَوْلى الأقوال في ذلك بالصّواب قول من قال : هم الملائكة الّذين يسفرون بين الله ورسله بالوحي . وسفير القوم الّذي يسعى بينهم بالصّلح . يقال : سَفَرْتُ بين القوم إذا أصلحت بينهم . ومنه قول الشّاعر :

وما أدع السِّفارة بين قَوْمِي وما أَمْشِى بغِشٍّ إن مَشَيْتُ

وإذا وجّه التّأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الّذي قاله القائلون هم الكتبة ، والّذي قاله القائلون هم القرّاء ، لأنّ الملائكة هي الّتي تقرأ الكتب وتَسْفُر بين الله وبين رسله[1] وجاء في المفردات[2] : السَّفْر كشف الغِطاء . ويختصّ ذلك بالأعيان ، نحو سَفَرَ العِمامة عن الرّأس والخِمارَ عن الوجه .... والإسفار يختصّ باللّون نحو : ﴿والصّبح إذا أسفر﴾ أي أشرق لونه . قال تعالى : ﴿وجوهٌ يومئذٍ مسفرة﴾ و: أَسْفِرُوا بالصُّبحِ تؤجَروا ، من قولهم : أسفَرْتُ أي دخلت فيه ، نحو أصبحت . وسَفَرَ الرّجل فهو سافر ، والجمع السَّفْر نحو ركب . وسافر خُصَّ بالمفاعلة اعتباراً بأنّ الإنسان قد سَفَرَ عن المكان ، والمكان سفر عنه .... والسِّفر الكتاب الّذي يُسْفِر عن الحقائق وجمعه أسفار ... وقوله تعالى : ﴿ بأيدى سفرة . كرامٍ بررة﴾ فهم الملائكة الموصوفون بقوله : ﴿كراماً كاتبين﴾ والسَّفَرة جمع سافر ككاتب وكتبة . والسّفير الرّسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم من الوَحْشةِ ، فهو فعيلٌ في معنى فاعل . والسّفارة الرّسالة . فالرّسول والملائكة والكتب مشترِكةٌ في كونها سافرةً عن القوم ما استبهم عليهم"

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٤ تَسْفِرُ من باب ضَرَب . المصباح المنير : "سفر" .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سفر" ٢٣٣ .

كرامٍ بررة : بررة خُصّ بها الملائكة في القرآن من حيث إنّه أبلغ من أبرار فإنّه جمع بَرّ ، وأبرار جمع بارّ أبلغ من بارّ ،كما أنّ عدلاً أبلغ من عادل[1]

يُقَرّرُ الوحي أنّ الأمر ليس كما فعله المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من تجاوز الفاضل وهو إجابة السّائل الأعمى الّذي جاء يسعى وهو يخشى ، إلى المفضول وهو الاهتمام بالّذي يُطْمَعُ في إسلامه على حساب الّذي حَسُنَ إسلامه وحَرَصَ على زيادة إيمانه . إنّ هذه السّورة الكريمة وسائر السّور والآيات الكريمات تذكرةٌ وعظة ، فمن شاء من العباد ذِكْرَ ربّ العباد فنفعته العبرة والموعظة . وهذه التّذكرة مكتوبةٌ في صحفٍ مكرّمةٍ معظّمة موقّرة ، مرفوعةٍ في اللّوح المحفوظ ، مطهّرةٍ من الدَّنس والزّيادة والنّقص[2] بأيدي ملائكةٍ تَسْفِرُ بين الله تعالى وبين رسله الكرام من البشر ، وتنقل الوحي الّذي يَسْفِرُ عن القوم ما استبهم عليهم ، ويكشف للنّاس ما خفي عنهم . إنّهم الملائكة الكرام البررة ، الّذين فاضت أفعالهم في الخير ، والّذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "برّ" ٤١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤٧/٤ .

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ
مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ
فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾
ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

قُتِل الإنسان : لفظ قُتِل دعاءٌ عليهم . وهو من الله تعالى إيجاد ذلك[١] وأصل القتل إزالة الرّوح عن الجسد كالموت . لكن إذا اعتُبِر بفعل المتولّي لذلك يقال قَتْل . وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال مَوْت[٢] والمراد الإنسان الكافر[٣] المنكر للبعث والنّشور[٤]

ما أكفره : ما أشدّ كفره[٥]

من أيّ شيءٍ خلقه : استفهام تقرير[٦]

من نطفةٍ : النّطفة الماء الصّافي . ويعبّر بها عن ماء الرَّجُل[٧]

خلقه فقدّره : أحوالاً . نطفةً تارة ، ثمّ علقةً أخرى ، ثمّ مضغطة ، إلى أن أتت عليه أحواله وهو في رحم أمّه[٨]

ثمّ السّبيل يسّره : عن ابن عبّاس ، يعني بذلك خروجه من بطن أمّه يسّره له [٩]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قتل" ٣٩٣
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قتل" ٣٩٣
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٣٥ والجلالين .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٧١ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٧١ .
(٦) الجلالين .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نطف" ٤٩٦ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٣٥ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٣٥ .

ثمّ أماته فأقبره : ثمّ قبض روحه فأماته بعد ذلك[1] فأقبره : صيّره ذا قبرٍ[2] والقبر مقرّ الميّت ومصدر قبرتُه جعلتُه في القبر . وأقبرته جعلت له مكاناً يُقْبَر فيه ، نحو أسقيته جعلت له ما يُسْقَى منه[3]

ثمّ إذا شاء أنشره : ثمّ إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه . يقال : أنشر الله الميّت بمعنى أحياه . ونشر الميّت بمعنى حيي هو بنفسه[4] .

كلاّ لمّا يقض ما أمره :كلاّ ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنّه قد أدّى حقّ الله عليه في نفسه وماله . لمّا يقض ما أمره : لم يؤدّما فَرَض عليه من الفرائض رَبُّه[5]

على الرّغم من القرآن الكريم الموعظة والذّكرى الّذي أوحاه الله تعالى إلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ويسّره للذّكر فإنّ جنس الإنسان الكافر يستحقّ كلّ أنواع العذاب من الله تعالى إلى حدّ قتله وإزالة روحه عن جسده بسبب كفره . ما أشدّ كفره وسَتْرَهُ آياتِ الله تعالى وما أسوأ عمله خلاف مقتضاها وهي الّتي تَهْدِي للطّريقة الّتي هي أحسن .

إنّ هذا الإنسان الكافر الّذي يعترف بأنّ الله تعالى خلقه وهو مع ذلك يطغى ويَبْغَى ، من أيّ شيءٍ خلقه الله تعالى كي يعود إلى بارئه جلّ وعلا بعد أن يعرف حقيقة

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣٦ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قبر" ٣٩ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٣٦ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٦ .

قدره ؟ خلقه الله تعالى من نظفةٍ ، من ماءٍ مَهِين ، فقدّره أحوالاً وأطواراً في بطن أمّه حتّى غدا إنساناً كاملاً بإرادة الله تعالى ، ثمّ يسّر الله تعالى له سبيل الخروج من بطن أمّه كي يحقّق الهدف من خلق الله تعالى له وهو إفراد الله تعالى بالعبادة في هذه الحياة الأولى حياة العمل ولا جزاء ، ثمّ أماته جلّ وعلا بأن قَبَضَ روحه فأماته فجعل له مكاناً يُقْبر فيه إلى أن ينفخ إسرافيل عليه السّلام النّفخة الأولى في الصّور الّتي يموت بإذن الله تعالى الخلائق بسببها إلاّ من شاء ربّك ثمّ إذا شاء الله تعالى أنشر عَزَّ وجَلَّ ذلك الكافر وأحياه وذلك حينما ينفخ إسرافيل عليه السّلام النّفخة الأخرى في الصّور الّتي يَحْيَى بإذن الله تعالى الخلائق بسببها من أجل الحساب فالجزاء ، الثّواب والعقاب .

إنّ الأمر ليس كما يقول الإنسان الكافر الّذي لا يفرد الله تعالى بالعبادة . إنّه بَعْدُ لم يحقّق الهدف الّذي خلقه الله تعالى من أجله وهو توحيده فعلى جنس الإنسان الكافر أن يتحوّل مسلماً لله تعالى ربّ العالمين ، متّبعاً لخير الأنام صلّى الله عليه وسلّم ، ملتزماً بأحكام القرآن الكريم خير الكلام ، وسنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم خير الأنام .

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾
وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾
وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

فلينظر الإنسان إلى طعامه : فلينظر هذا الإنسان الكافر المنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبّره[١]

أنّا صببنا الماء صبّا : أنّا أننزلنا الغيب من السّماء إنزالاً وصببناه عليها صبّاً[٢]

ثمّ شققنا الأرض شقّا : ثمّ فتقنا الأرض فصدّعناها بالنّبات[٣]

فأنبتنا فيها حبّا : حبّ الزرع . وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب كالحِنْطَةِ والشّعير وغير ذلك[٤]

وعنباً : وكرم عنب[٥]

وقضباً : يعنى بالقَضْب الرَّطْبَةِ[٦] والقضيب نحو القضيب ، لكن القضيب يُسْتَعمل في فروع الشّجر ، والقضب يستعمل في البَقْل[٧]

وزيتوناً : هو الزّيتون الّذي منه الزّيت[٨] وهو أُدم وعَصِيرُهُ أُدْم ، ويُسْتَصْبَحُ به ويُدْهَنُ بِه[٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قضب" ٤٠٦ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٩) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٢ .

وحدائق غلبا : يعنى غلاظا . ويعني بقوله غلباً ، أشجاراً في بساتين غلاظ . والغلب جمع أغلب وهو الغليظ الرَّقَبَة من الرّجال[1] قال الحسن وقتادة : غلبا ، نخلٌ غلاظٌ كرم . وقال ابن عبّاس ومجاهد : كلّ ما التفّ واجتمع . وقال أيضاً : غلباً ، الشّجر الّذي يُسْتظَلُّ به . وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس:﴿وحدائق غلبا﴾ أي طوالا[2]

وفاكهةً وأبّا : وفاكهةً ، ما يأكله النّاس من ثمار الأشجار . والأبّ ، ما تأكله البهائم من العشب والنّبات[3]

إنّ على الإنسان الكافر أن يتفكّر في نِعَمِ الله تعالى كي يعود إلى بارئه جلّ وعلا يتوب إليه ويستغفره ويؤمن ويعمَل الصّالحات . ومن هذه النّعم نعمة الطّعام الّذي لاي عيش النّاس بدونه . إنّ على الإنسان الكافر أن ينظر بعين البصر والبصيرة إلى طعامه ويتدبّر هذه النّعمة العظيمة ويتفكّر كيف أنّ الله سبحانه وتعالى صَبَّ الماء الفرات من السّماء صَبّاً وسَكَبَهُ سكْباً ، فسلكه ينابيع في الأرض . ثمّ شقّ الله تعالى الأرض بالنّبات شقّاً . فأنبت فيها جنس الحبّ وهو الغذاء الرَّئيسُ للإنسان ، والعنب وهو من كريم النّبات عند العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم ، ويجمع بين كونه فاكهةً حينما يؤكل على الفور ، وغذاءً حينما يؤكل على التّراخى زبِيباً . وأنبت جلّ وعلا القَضْب وهي أنواع البقول والخضروات ، والزّيتون الّذي يتناوله الإنسان طعاماً رَئيساً ، والّذي يُنْتَفَعُ من كلّ شجرته بما في ذلك الخشب ، والنّخل وهو كذلك من كريم النّبات بين

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٢ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٣٨ .

العرب ويجمع بين كونه طعاماً وفاكهة . وأنبت جلّ وعلا الحدائق الغُلب وهي البساتين ذوات الأشجار الغلاظ الّتي من متقلّقاتها الارتفاع ، والكثرة فهي يلتفّ بعضها على بعض.ويذكر السّياق من أنواع النّبات أخيراً الفاكهة الّتي يتفكّه بها الإنسان ويتمتّع بها، والأبّ بمعنى العُشْب الّذي يأكله الحيوان ويتمتّع به . لقد بيّن السّياق كلّ هذه المعاني .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾

فإذا جاءت الصّاخّة : عن ابن عبّاس ، هذا من أسماء يوم القيامة عظّمه الله وحذّر عباده[١] والصّاخّة شدّة صوت ذي المنطق ، يقال : صخّ يَصِخّ صخّاً فهو صاخّ[٢] وهي النّفخة الثّانية[٣] وقال البغويّ : الصّاخّة يعني صيحة يوم القيامة . سمّيت بذلك لأنها تصخّ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتّى تكاد تَصُمُّها[٤]

وصاحبته : زوجته الّتي كانت زوجته في الدّنيا[٥]

يومئذٍ : يوم القيامة إذا جاءت الصّاخّة[٦]

شأنٌ يغنيه : أمرٌ يغنيه ويُشْغِلَهُ عن شأن غيره[٧]

فإذا جاءت النّفخة الثّانية الّتي تَصُخُّ الآذان وتبالغ في إسماعها حتّى تكاد تَصُحُّها وتذهب بها ، وإذا نفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النّفخة الأخرى الّتي تُحْيِ بإرادة الله تعالى من شاء جلّ وعلا من الخلائق يوم القيامة ، يومها يفرّ المرء لهول الموقف من أخيه ، ومن أمّه وأبيه ، ومن زوجته وبنيه . لكلّ امرىءٍ منهم في ذلك المشهد المهيب واليوم المجموع له النّاس المشهود شأنٌ يغنيه ،وأمرٌ يشغله عن أمر غيره ويكفيه ، ولو

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٣٩ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صخ" ٢٧٥ .
(٣) الجلالين
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٣ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٣٩ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٣٩ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٣٩ .

كان أحبّ النّاس إليه في الدّنيا .

لقد قدّم السّياق في الذّكر الأخ الّذي يكون يوم القيامة أوّل الفارّين من أخيه، لأنّ الأخ في الدّنيا يشد في العادة عَضُدَ أخيه على نحو ما بيّن القرآن الكريم . جاء خطاباً لموسى عليه السّلام قول الحقّ جلّ وعلا في سورة القصص[1] : ﴿قال سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما . بآياتنا أنتما ومن اتّبعكما الغالبون﴾ وقد جرت العادة بأن يكون الأخ غير بعيد السّنّ كثيراً من أخيه . والمعروف أنّ المرء أَكْثَرُ إِلْفاً لمن كان في مثل سنّه . إنّ الأخ الّذي تلك صفاته هو أوّل الفارّين يوم القيامة من أخيه .

وكما فرّ الأخر من أخيه رمز القوّة والوئام ، فرّ من والديه رمز الضّعف والحنان. ويقدّم السّياق الوالدة في الذّكر . وحينما يفرّ الابن يوم القيامة من والدته الأكثر ضعفاً والأشدّ حناناً ، من باب الأَوْلى أن يفرّ من والده : ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه﴾ وكما تمّ الفرار من الأخ رمز القوّة وشدّ العضد ، ومن الأمّ والأب ، رمز الضّعف والحنان ، تمّ الفِرارُ من الزّوجة الّتي يسكن إليها الزّوج في الدّنيا كما تسكن إليه. إنّ الموقف العصيب يوم القيامة أكبر من سكن أحدهما إلى الآخر ومن المودّة والرّحمة في الدّنيا . وكما تمّ الفرارُ يوم القيامة من الزّوج تمّ الفِرارُ من الثّمرة أعنى البنين، وليس وراء الفِرار من البنين وراءٌ في الدّلالة على ذلك اليوم المهيب والموقف العصيب ﴿وصاحبته وبنيه﴾ وكما فرّ المرء من هؤلاء فرّ هؤلاء منه . إن الجميع مشغولٌ

---

(١) الآية ٣٥ .

يوم القيامة بنفسه ، ولكلّ امرىءٍ أمرٌ يغنيه وشأنٌ يشغله ، ولهذا لا يهتمّ آنذاك أحدٌ بغير نفسه .

رَوَى النِّسائي عن ابن عبّاس ، قال ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : تُحشرون حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرْلا . قال : فقالت زوجته السّيّدة عائشة ﵂ : يا رسول الله ، ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : ﴿لكلّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾ أو قال : ما أَشْغَلَهُ عن النّظر[1] قال التّرمذيّ : وهذا حديثٌ حسنٌ صحيح[2]

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٣ و ٤٧٤ وتفسير الطّبري ٣٠/٣٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤ .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ
ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

وجوهٌ يومئذٍ مسفرة : عن ابن عبّاس ، قوله ، مسفرة ، يقول : مشرقة[1] مضيئة ، وهي وجوه المؤمنين الّذين قد ﷺ . يقال : أسفر وجه فلان إذا حَسُن . ومنه : أسفر الصّبح إذا أضاء . وكلّ مضيءٍ فهو مسفر[2] والإسفار يختصّ باللّون نحو : ﴿والصّبح إذا أسفر﴾ أي أشرق لونه[3]

ضاحكة : من السّرور بما أعطاها الله من النّعيم والكرامة[4]

مستبشرة : قد ظهر البشر على وجوههم[5] واستبشر إذا وجد ما يبشّره من الفرح[6] وتباشير الوجه وبِشْرُ ما يبدو من سروره. وتباشير الصُّبح ما يبدو من أوائله[7] ولكلّ ذلك علاقةٌ بالبَشَرة ، وهي ظاهر الجِلْد[8] والتّبشير بالخير السّارّ يبسط بشرة الوجه . وذلك أنّ النّفس إذا سُرَّت انتشر الدّم فيها انتشار الماء في الشّجر[9]

ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرَة : الغُبار ما يبقى من التّراب المثار . ومن الغبار

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٤٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٤٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سفر" ٢٣٣ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٤٠ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ضحك" ٢٩٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤ .
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "بشر" ٤٨ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "بشر" ٤٩ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "بشر" ٤٧ .
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "بشر" ٤٨ .

اشْتُقَّ الغَبَرَة ، وهو ما يعلق بالشّيء من الغبار وما كان على لونه . قال : ﴿ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبره﴾ كنايةٌ عن تغيّر الوجه للغمّ كقوله : ﴿ظلّ وجهه مسودّاً﴾[1]

ترهقها : تغشى تلك الوجوه[2] يقال : رَهِقَه الأمر أي غشيه بقَهْر[3]

قترة : سواد[4] والقَتَر الدّخان السّاطع من الشِّواء والعود ونحوهما . وقوله : ﴿ترهقها قترة﴾ وذلك شبه دُخانٍ يَغْشَى الوجه[5] وقال ابن عبّاس :﴿ترقها قترة﴾ أي يغشاها سواد الوجوه[6]

أولئك هم الكفرة الفجرة : أي الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿لا يلدوا إلاّ فاجراً كفّارا﴾[7]

وجوه المؤمنين يوم القيامة في الجنّة مضيئةٌ مشرقة ، ضاحكةٌ بسبب شدّة السّرور الّذي ملأ نفوسهم ، قد ظهر عليها البِشْر لفرط الفرح الّذي غمرهم ، والسّرور الّذي هجم عليهم .

أمّا وجوه الكافرين في يوم القيامة فإنّ عليها غبرةً بسبب الغمّ الّذي ملأ نفوسهم وطفح على وجوههم ، وتغشاها قترة الّذلّ ويعلوها سواد الهوان . إنّ غبرة الذّلّ وقترة الهوان بسبب قلوب المنكرين للبعث الكافرة ، وأعمالهم الفاجرة .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غبر" ٣٥٧ والجزئيّة من الآية ٥٨ من سورة النَّحْل .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٤٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "رهق" ٢٠٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤
(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهان : "قتر" ٣٩٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤ .
(٧) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤ والجزئيّة من الآية رقم ٢٧ من سورة نوح .

سورة التّكوير

سورة التّكوير المكّيّة[1] شأنها شأن سائر المكّيّ من القرآن الكريم . إنّها تُعْنى بقضيّة البعث بعد الموت وبالعمل ليوم القيامة باتّباع تعاليم القرآن الكريم وسنّة أشرف الأنبياء والمرسلين المبيّنة للقرآن الكريم . وقد أمكن تقسيم السّورة الكريمة إلى قسمين اثنين ، يتعلّق أحدهما بتبيين ملابسان يوم القيامة ، ويتعلّق آخرهما بالقرآن الكريم الّذي يهدي إلى الطّريقة الّتي هي أقوم والّتي تقود إلى الفلاح بإذن الله تعالى يوم يقوم النّاس لربّ العالمين .

وإنّ القِسْمَ الأوّل الّذي يتألّف من أَرْبَعَ عَشْرَةَ آيةً كريمة يقرّر أنّ الشّمس إذا ذهب ضوؤها فأظلمت ، والكواكب إذا تناثرت وانفرط عقدها ، والجبال إذا سُيِّرَتْ عن أماكنها وغدت هباءً منبثّاً ، والنّوق مضى على حملها عَشْرَةُ أشهر إلى تمام الحول فتضع ، إذا أهملها أبرابها وهي أعزّ ما يملكون لانشغالهم بأنفسهم ، والوحوش إذا حُشِرَت وجُمِعَتْ وكَتَبَ الله تعالى عليها الموت ، والبحار إذا اشتعلت نيراناً ، والنّفوس إذا قُرِنت بأجسادها بعد أن يَنْفُخَ إسرافيل عليه السّلام النفخة الأخرى الّتي تحيا الخلائق بها بإذن الله تعالى ، والموءودةَ إذا سئلت تطييباً لها وتبكيتاً لدافنها حيّةً في التّراب ، : ﴿بأيّ ذنبٍ قُتِلَتْ﴾ والصّحفَ المكتوبةَ فيها الأعمال إذا نُشِرت وكانت مطويّة والسّماءَ إذا كشِطت كما يُسْلَخُ الجلد عن الشّاة ، والجحيمَ إذا أوقدت مَرَّةً إثر أخرى لأجل الكافرين ، والجنّةَ إذا قُرِّبت وأُدْنِيَتْ لأجل المتّقين ، كلّ ذلك إذا حدث بإرادة الله تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤ والجلالين والإتقان ١/٤٢ وتفسير القرطبي ٧١٠٧والبحر المحيط ٨/٤٣٠ .

عَلِمَتْ كلّ نفسٍ ما أحضرت من عمل ، وقدّمت من حسناتٍ أو سيّئات .

وإنّ القِسْمَ الآخَر الّذي يتألّف من خَمْسَ عَشْرَةَ آيةً كريمةً ليرشد إلى مركب النّجاة بإذن الله تعالى ، إنّه القرآن الكريم . إنّ السّياق يقرّر أنّ القرآن الكريم الّذي يُرْضِي كلّ عقلٍ بِفُصُوصِ حِكَمِه ، ويُشْبِعُ كلّ نفسٍ بروعة نسجه ، ليس بحاجةٍ إلى أن يُقْسِمَ رَبّ العَزَّة والجلال ، دليلاً على رفيع شأنه ، بالنّجوم الّتي تُرْجِعُ القَهْقَرَى في أثناء جريها في مدارها حتّى تغيب وراء الأُفُق ، وباللّيل إذا أقبل بظلامه ، وبالصّبح إذا أسفر عن وجهه الوضيء ، وتنفّس بنسيمه اللّطيف ، ويلاحظ أنّ المقسم به ذو علاقَةٍ بما جاء في القِسْم الأَوّل من ذكر للشّمس والنّجوم ، ولكلٍّ منهما علاقةٌ وثيقةٌ بالنّهار واللّيل على التّوالي . إنّ القرآن الكريم ليس بحاجةٍ إلى أن يُقْسَم من أجل تقرير بعض نعوته . إنّه التّبْليغُ رسولٍ كريمٍ من الملائكة ، هو جبريل عليه السّلام ، إلى رسولٍ كريمٍ من البشر ، هو محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . وجبريل عليه السّلام ذو قوّةٍ لما يُطْلَب منه من أعمال ويُناطُ به من أحمال ، وذو مكانةٍ عند الله ذي العرش المجيد وهو مطاعٌ في السّماوات العلا من الملائكة ، أمينٌ على ما يؤتمن عليه من وحي . وإنّ صاحبكم محمّداً صلّى الله عليه وسلم وابن بلدكم يا أهل مكّة ليس بمجنون وليس القرآن الكريم بِهَذَيانِ مجنون . ولقد رأى محمّدٌ صلّى الله عليه وسلم جبريل عليه السّلام بالأفق المبين والجهة الشّرقية في ناحية أجياد من مكّة المكرّمة . وليس محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم على الغيب والوحي بِضَنينٍ ولا بخيل . وليس القرآن الكريم بقول شيطانٍ رجيم ملعونٍ مطرودٍ من رحمة الله تعالى . فأين تذهبون يا كفّار مكّة ويا ايّها النّاس في اعتقادكم وقولكم وفعلكم . ليس القرآن الكريم سوى ذكرٍ للعالمين وعظةٍ للثّقلين الإنس والجنّ ، لمن أراد من هؤلاء وهؤلاء أن يستقيم

على الصّراط المستقيم . وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله تعالى ربّ العالمين لكم تحقيق ما تشاءون . إنّه الفعّال في الأمور كلها هو الله تعالى وَحْدَهُ لا شريك له

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤

إذا الشّمس كوّرت: عن ابن عبّاس، يعنى أظلمت[١] وعن قتاد،ذهب ضوؤها[٢]

وإذا النّجوم انكدرت: وإذا النّجوم تناثرت من السّماء فتساقطت[٣] وانتشرت[٤]

قال تعالى[٥] : ﴿إذا السّماء انفطرت . وإذا الكواكب انتشرت﴾

وإذا الجبال سيّرت : وإذا الجبال سيّرها الله فكانت سراباً وهياءً منبثّاً[٦]

وإذا العشار عُطّلت : العشار جمع عُشراء ، وهي النّاقة قد أتى عليها عَشْرَةُ أشهر من حَمْلِها[٧] يقول تعالى ذكره : وإذا هذه الحوامل الّتي ينافس أَهْلُها فيها أُهْمِلَتْ فَتُرِكت من شدّة الهول النّازل فكيف بغيرها[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ٤١/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٧٥/٤ .
(٢) تفسير الطّبري ٤١/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٧٥/٤ .
(٣) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٧٥/٤
(٥) سورة الأنفطار ١ و ٢
(٦) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : "عشر" ٣٣٥وجاء في البحر المحيط ٤٣٠/٨ هذه الزيادة : " تمّ هو اسمها إلى أن تضع في تمام السّنة"
(٨) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .

وإذا الوحوش حُشِرت : عن ابن عباس قال :حشر البهائم موتها . وحشر كلّ شيءٍ الموت غير الجنّ والإنس فإنّهما يُقَفانِ يوم القيامة[١] وقيل حشرت بمعنى جُمِعَت[٢] والحشر إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها[٣] عن قتادة : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ إنّ هذه الخلائق موافية يوم القيامة فَيَقْضِي الله فيها ما يشاء[٤] ويقول الطّبري[٥] : "وأَوْلَى الأقوال في ذلك بالصّواب قول من قال : معنى حُشِرَتْ جُمِعَتْ فَأُمِيتَتْ لأنّ المعروف في كلام العرب من معنى الحشر الجمع . ومنه قول الله[٦] : ﴿والطّيرَ محشورة﴾ يعني مجموعة . وقوله[٧] : ﴿فَحَشَرَ فنادى﴾

وإذا البحار سجّرت : السَّجْر : تهييج النّار . يقال : سَجَرْت التّنّور ومنه[٨] : ﴿والبحر المسجور﴾ وقوله : ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ أي أضرمت ناراً عن الحسن . وقيل غيضت مياهها . وإنّما يكون كذلك لِتَسْجِير النّار فيه : ﴿ثمّ في النّار يُسْجرون﴾ [٩] نحو [١٠]: ﴿وقُودُها النَّاسَ والحجارة﴾[١١]

---

(١) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حشر" ١١٩ .
(٥) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٤٢/٣٠ .
(٧) سورة ص١٩ .
(٨) سورة النّازعات ٢٣ .
(٩) سورة غافر ٧٢ .
(١٠) سورة البقرة ٢٤ .
(١١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سحر" ٢٢٤ .

وإذا النّفوس زوّجت : عن النّعمان بن بشير قال : سئل عمر بن الخطّاب ﷺ عن قول الله : ﴿وإذا النّفوس زوّجت﴾ قال : يُقْرَنُ بين الرّجل الصّالح في الجنّة ، وبين الرّجل السَّوْء مع الرّجل السَّوْء في النّار[١] وعن عكرمة قال : الأرواح ترجع إلى الأجساد[٢] .

وإذا الموءودةُ سُئِلت:الموءودة المدفونة حيّة.وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها[٣]

وإذا الصّحف نشرت : وإذا صحف أعمال العباد نُشِرَتْ لهم بعد أن كانت مطويّةً على ما فيها مكتوبٌ من الحسنات والسّيّئات[٤]

وإذا السّماء كشطت: نزعت من أماكنها كما ينزع الجلد عن الشّاة[٥]والنّاقة[٦]

وإذا الجحيم سُعِّرَتْ : أوقد عليها فأُحْمِيَت[٧] والقراءة بتشديد العين بمعنى أوقد عليها مرّة بعد مرّة[٨]

وإذا الجنّة أزلفت : قُرِّبَتْ وأُدْنِيَت[٩]

علمت نفسٌ ما أحضرت : علمت نفسٌ عند ذلك ما أحضرت من خيرٍ فتصير به إلى الجنّة، أو شرّ فتصير به إلى النّار[١٠]وهذا جواب إذا أوّل السّورة وما عطف

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٤٤ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٤٥ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٤٦ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٤٦ .
(٥) الجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهاني : "كشط" ٤٣٢ .
(٦) مفردات الراغب الأصفهاني : "كشط" ٤٣٢ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٤٧ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٤٧ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٤٧ .
(١٠) تفسير الطّبري ٣٠/٤٧ .

عليها[1] أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذٍ تعلم كلّ نفسٍ ما عملت وأحضر ذلك لها[2] .

تتحدّث آيات هذا القِسْم عن بعض مُلابَساتِ يوم القيامة ابتداءً ببعض علامات قيام السّاعة وانتهاءً بعلم كلّ إنسان عن طريق كتاب أعماله بما قدّم من حسناتٍ تَهْدِى إلى الجنّة ، أو سيّئاتٍ تَهْوِى به إلى النّار . إنّه إذا الشّمس ذهب ضوؤها وأظلمت ، وإذا النّجوم انفرط عقدها وتناثرت ، وإذا الجبال سُيِّرت من أماكنها وصارت هباءً منثوراً ، وإذا أَكْرَمُ الأموال على العربيّ الّذي نزل القرآن الكريم بلسانه ، وهو النّوق الّتي مضى على حملها عَشْرَةُ أشهرٍ ، قد أهملها أربابها دليلاً على انشغال كلّ إنسانٍ بنفسه ، وإذا الوحوش أُخْرِجَتْ من أماكنها وجُمِعَتْ وأميتَتْ ، وإذا البحار أضْرِمَتْ نارا ، وإذا النّفوس بإجسادها من أجل الحساب ، وإذا المدفونة حيّةً سُئِلَتْ على جهة التّطييب لها والتّثبيت لوائدها : بأيّ ذنبٍ قُتِلَتْ تلك البنت البَرِيئَة ؟ وإذا الصّحف المكتوب فيها الأعمال نُشِرَت بعد طيّها ، وإذا السّماءُ نُزِعَتْ عن أماكنها وأزيلت ، وإذا نار جهنّم أوقد عليها مرّةً بعد مرّةٍ فتأجّجت ، وإذا الجنّة قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ ، علمت كلّ نفسٍ ما أحضرت من خير يستحقّ الثّواب ، أو شرٍّ يستحقّ العقاب . وهذا جواب إذا أوّل السّورة وما عُطِف عليها .

---

(١) الجلالين وتفسير ابن كثير ٤/٤٧٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٨ .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

فلا أقسم بالخُنَّس . الجوار الكُنَّس : الخُنَّس جمع خانس . والخُنُوس الانقباض والاستخفاء ، تقول : خنس بين القوم وانخس[١] وقوله تعالى[٢] : ﴿قل أعوذ بربّ النّاس . ملك النّاس . إله النّاس . من شرّ الوسواس الخنّاس﴾ أي الشّيطان الّذي يخنُس أي ينقبض إذا ذُكِرَ الله تعالى[٣] والخَنَس تأخّر الأنف عن الشّفة مع ارتفاع قليلٍ من ال[٤] وقوله تعالى : ﴿فلا أقسم بالخُنّس﴾ أي بالكواكب الّتي تخنُس في مجراها أي ترجع[٥] وهي النّجوم الخمسة ، زحل ، والمشتري ، والمرّيخ ، والزّهرة ، وعطارد . تخنُس بضمّ النّون ، أي ترجع في مجراها وراءها ، بينما ترى النّجم في آخر البرج إذا كرّ راجعاً إلى أوّله[٦] .

وهي النّجوم الدّراريّ الخمسة تخنس في مجراها فترجع[٧]

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٣٠ .
(٢) سورة النّاس ١-٤ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "خنس" ١٥٩ .
(٤) البحر المحيط ٨/٤٣٠ .
(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "خنس" ١٥٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٤٧ وثمّة اختلافٌ في أسماء هذه النّجوم .

الكُنَّس جمع كانس وكانسة . يقال : كنس إذا دخل الكِناس ، وهو المكان الّذي تاوى إليه الظِّباء[1] وتكنس بكسر النّون تدخل في كِناسها أي تغيب في المواضع الّتي تغيب فيها[2] وتكنِس بالنّهار فلا ترى[3] وهي النّجوم الدّراري الّتي تجري تستقبل المشرق . وقال بعض الأئمّة : إنّما قيل للنّجوم الخنّس أي في حال طلوعها ، ثمّ هي جوارٍ في فلكها ، وفي حال غيبوبتها يقال لها : كُنّس ، من قول العرب : أوى الظّبي إلى كناسه إذا تغيّب فيه[4] .

واللّيل إذا عسعس : إذا أقبل بظلامه[5]

والصّبح إذا تنفّس : وضوء النّهار إذا أقبل وتبيّن[6] والتّنفّس خروج النّسيم من الجوف ، واستعير للصّبح ومعناه امتداده حتّى يصير نهاراً واضحاً[7] وتنفُّسُ النّهار عبارةٌ عن توسّعه . قال : ﴿والصّبح إذا تنفّس﴾[8] ويقال للفَرَج نَفَس . يقال : اللهمّ نفِّس عنّي ، أي فرّج عنّي وتنفّست الرّيح إذا هبّت طيّبة . قال الشّاعر :

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفّسَتْ على نَفْسٍ مَحْزُونٍ تجلّت همومها[9]

---

(١) البحر المحيط ٤٣٠/٨ والكِناس بكسر الكاف .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٤٨/٣٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤٧٩/٤ .
(٥) انظر هنا تفسير الطّبري ٤٩/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٧٩/٤ والبحر المحيط ٤٣٠/٨ والجلالين .
(٦) تفسير الطّبري ٥٠/٣٠ .
(٧) البحر المحيط ٤٣٠/٨ .
(٨) مفردات الراغب الأصفهاني : "نفس" ٥٠١ .
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نفس" ٥٠١ .

والصُّبح والصّباح أوّل النّهار وهو وقت ما احمرّ الأفق بحاجب الشّمس[١] وقيل : صَبُح فلان أي وَضُو[٢]

إنّه لقول رسولٍ كريم:إنّ هذا القرآن لتنزيل رسولٍ كريم[٣]وتبليغ رسولٍ كريم ، أي مَلَكٍ شريف حسن الخلق بهيّ المنظر وهو جبريل عليه الصّلاة والسّلام . قاله ابن عبّاس[٤]

ذي قوّةٍ عند ذي العرش مكين : يعنى جبريل على ما كُلِّف من أَمْرٍ غير عاجزٍ[٥] وله مكانة عند الله عزّ وجلّ ومنزلة رفيعة[٦]

مطاعٍ ثَمَّ أمين : جبريل صلّى الله عليه وسلّم مطاع في السّماء تطيعه الملائكة ، أمين عند الله على وحيه ورسالته وغير ذلك ممّا ائتمنه عليه[٧]

وما صاحبكم بمجنون : وما صاحبكم أيّها النّاس محمّد بمجنون فيتكلّم عن جِنَّة ويهذى هذيان المجانين بل جاء بالحقّ وصدّق المرسلين[٨] .

ولقد رآه بالأفق المبين : لقد رأى محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم جبريل عليه السّلام الّذي يأتيه بالرّسالة عن الله عزّ وجلّ على الصّورة الّتي خلقه الله تعالى عليها[٩] والأُفْق بمعنى النّاحية والجمع الآفاق بمعنى النّواحي[١٠] وذلك من ناحية مطلع الشّمس من قِبَل

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صبح" ٢٧٣ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صبح" ٢٧٣ .
(٣) تفسير الطّبري ٥١/٣٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤٧٩/٤ .
(٥) تفسير الطّبري ٥١/٣٠ وتفسير ابن كثير ٤٧٩/٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٧٩/٤ .
(٧) تفسير الطّبري ٥١/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبري ٥١/٣٠ .
(٩) تفسير ابن كثير ٤٨٠/٤ .
(١٠) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "أفق" ١٩ .

المشرق[1] عن مجاهد بأفقٍ من نحو أجياد[2] والمبين ، أي البيّن ، وهي الرّؤية الأولى الّتي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في وقوله[3] : ﴿علّمه شديد القوى. ذو مِرّةٍ فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثمّ دنا فتدلّى . فكان قاب قوسين أو أدنى – فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[4]

وماهو على الغيب بضنين : وما محمّد على ما أنزله الله إليه[5] من قرآن[6] واختلف القرّاء في قراءة ذلك فقرأته عامّة قرّاء المدينة والكوفة بضنين ، بالضّاد ، بمعنى أنّه غير بخيلٍ عليهم بتعليمهم ما علّمه الله وأنزل إليه من كتابه . وقرأ ذلك بعض المكّيّين وبعد البصريّين وبعض الكوفيّين بظنين ، بالظّاء ، معنى أنّه غير متّهم فيما يخبرهم عن الله من الأنبياء[7] .

وما هو يقول شيطانٍ رجيم : وما هذا القرآن بقول شيطانٍ ملعونٍ مطرودٍ ولكنّه كلام الله ووجيه[8]

فأين تذهبون : فأين تذهبون عن هذا القرآن وتَعْدِلُونَ عنه[9] وأيّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه[10]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥١
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٥١ .
(٣) سورة النّجم ٥–١٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٠ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٠ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٠ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٥٢ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٥٢ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٥٣ .
(١٠) الجلالين .

إن هو إلاّ ذكرٌ للعالمين : ما هو إلا عظةٌ للإنس والجنّ[1]

لمن شاء منكم أن يستقيم : يتّبع الحقّ[2]

وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين : وما تشاءون أيها النّاس من الاستقامة على الحقّ إلاّ أن يشاء الله ذلك لكم[3]

يقرّر السّياق أنّ المُقْسَمَ عليه ، وهو القرآن الكريم ، المعجز بمعناه ومبناه ، لبلاغ حجّته ، ليس بحاجة إلى أن يُقْسَمَ بالنّجوم واللّيل والصّبح دليلاً على أنّه كلام ربّ العالمين . ومن البيّن علاقة النّجوم واللّيل والصّبح بتكوير الشّمس وانكدار النّجوم المشار إليهما في أوّل السّورة الكريمة .

إنّ السّياق يقرّر أنّ ربّ العزّة لا يقسم بالنّجوم الّتي تخنُس وتَرْجِع القَهْقَرى في أثناء جريها في مدارها حتّى تَكْنِس وتَكْنِس وتختفي وراء الأفق ، وهكذا تظهر تلك النّجوم وتختَفي ، تطلع وتغيب خلال جريها إلى الوراء الرّتيب .

كما لا يقسم ربّ العزّة باللّيل إذا أقبل بظلامه فلمعت النّجوم ، وبالصّبح إذا أسفر ضوؤه وتنفّس بهوائه العلي ونسيمه البليل ، فكأنّه الإنسان الّذي بعثه الله تعالى بعد نوم فاستنشق ذلك الهواء العليل والنّسيم البليل . ومن البيّن عَلاقَةُ اللّيل والنّهار بظهور النّجوم واختفائها وكأنّها تأوى كالظّباء نهاراً إلى كُنُسها .

أمّا المقسم عليه فإنّه القرآن الكريم ، تبليغ الرّسول الكريم من الملائكة

---

(١) الجلالين

(٢) تفسير الطّبري ٣/٥٣ .

(٣) تفسير الطّبري ٣/٥٣ .

وهو جبريل عليه السّلام عن ربّ العالمين إلى رسولٍ من البشر كريم هو محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . وجبريل عليه السّلام مَلَك ذو قوّة واقتدار ، وذو مكانةٍ رفيعةٍ عند ذي العرش مليك كلّ شيءٍ . وهو مطاعٌ في السّماء تطيعه الملائكة ، أمينٌ عند الله تعالى على وحيه ورسالته وكلّ ما ائتمنه الله تعالى عليه . وليس صاحبكم وابن بلدتكم محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم الّذي أوحيت إليه بالقرآن الكريم بمجنون وليس القرآن الكريم بِهَذَيان . ولقد رأى محمّد صلّى الله عليه وسلّم جبريل عليه السّلام بالأفق المبين والجهة الواضحة من المشرق ناحية أَجْياد على حقيقته الّتي خلقه الله تعالى عليها ، وتلك هي المرّة الأولى الّتي يرى فيها محمّد عليه الصّلاة والسّلام جبريل عليه الصّلاة والسّلام على حقيقته . أمّا المرّة الأخرى ففي السّماوات العُلا ليلة الإسراء والمعراج . وليس محمّد صلّى الله عليه وسلّم على الغيب الّذي خصّه الله تعالى به والقرآن الكريم الّذي أوحاه الله تعالى إليه بضنينٍ ولا بخيل . وليس القرآن الكريم بقول شيطانٍ رجيمٍ لعينٍ طريدٍ من رحمة الله تعالى بل تنزيل ربّ العالمين . فأين تذهبون يا أهل مكّة ويا أيّها النّاس يا من تفرّقت بكم السّبل عن سبيل الحقّ والصّراط المستقيم ، وتشتّت بكم طرائق القول ومذاهب الكذب عن طريق القول الفصل الّذي ليس بالهَزْل . إنّ القرآن الكرم ما هو إلاّ ذكرٌ للعالمين ، وعِظَةٌ للثّقلين الإنس والجنّ ، لمن شاء منكم أيّها الثّقلان أن يستقيم على المحبّة الواضحة والطّريق القويم والصّراط المستقيم . وعليكم جميعاً أن تعلموا أنّكم لستم أنتم الّذين تشاءون وتريدون ولو كان الّذي تشاءون وتريدون ولو كان الّذي تشاءون وتريدون الاستقامة على الطّريق القويم إلاّ أن يشاء ذلك ربّ العالمين ربّ الخلائق ، وإلاّ أن يريد ذلك تعالى الّذي بيده ملكوتُ كلِّ شيء .

سورة الانفطار

سورة الانفطار المكّيّة[1] تُعْنَى بقضيّة البعث والاستعداد لما بعد الموت ، شأنها في ذلك شأن سائر المكّيّ من القرآن . تقرّر السّورة الكريمة في قسمها الأوّل أنّ السّماء إذا انفطرت وانشقّت ، والكواكب إذا انتثرت وتساقطت ، والبحار إذا فُجِّرَتْ وامتلأت واختلط مالحها بِعَذْبِها ، والقبور إذا بُعْثِرَتْ وبُعِث من فيها من المَوْتَى لفصل الحساب إذا حدث كلَّ ذلك كلّ نفسٍ ما قدّمت وعملت من خيرٍ أو شرّ ، وما أخّرت وقصّرت وتركت من خير . ومن البيّن علاقةُ هذه الملابسات بالنّفختين الأولى والآخرة.

ولمّا كان الهدف من الحديث عن البعث حثّ الكفّار على الإيمان كان في القِسْم الثّاني تحوّلٌ إلى ذلك الكافر وسؤاله في إنكارٍ ، وهو الإنسان ، عن السّبب الّذي غرّه بربّه الكريم فقابل الإنعام بالكفر والكفران . إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي خلقه وسوّاه وجعله في أحسن تقويم ، وصوّره فأحسن صورته وهو جلّ وعلا القادر على تركيبه في أيّ صورة .

ولمّا كان الكافر لا جواب عنده على ذلك السّؤال فإنّ القسم الثّالث يقرّر حقيقة ذلك الإنسان الكافر الّذي ينكر البعث ويكذّب بيوم الدّين ويجهل أنّ لكلّ إنسانٍ ، بإذن الله تعالى ، ملائكةً حافظين كراماً كاتبين يعلمون ما يفعل ويقول ويَنْوِى ، لأنّ ذك الإنسان سوف يحاسب يوم القيامة على كلّ ذلك .

ولمّا كان النّاس فريقين من الدّعوة إلى صراط الله تعالى العزيز الحميد فإنّ آخر

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٠ والجلالين والبحر المحيط ٨/٤٣٥ والإتقان ١/٤٣ وتفسير القرطبي ٧٠٣٨

أقسام السّورة الكريمة يبيّن ثواب الأبرار الأتقياء في جنّات النّعيم وعقاب الكفّار الفجّار في نار الجحيم . ولمّا كان الطّابع الغالب على السّورة الكريمة هو الإنذار فقد كان ثمّة مواصلةٌ للحديث عن عذاب الفجّار الّذين يخلدون في النّار ، سؤالٌ يتكرّر عن يوم القيامة تعليماً لشأنه ، وتقريرٌ لعجز كلّ حميم عن نُصْرَةِ حَمِيمِه لأنّ الأمر كلّه يومئذٍ لله تعالى .

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥

إذا السّماء انفطرت : انشقّت[١] وأصل الفَطْر الشَّقُّ طُولاً . يقال : فطر فلانٌ كذا فطْراً ، وأفطر هو فُطوراً ، وانفطر انفطاراً[٢] وقيل للكمأة فُطْر من حيث إنّها تفطِر الأرض فتخرج منها[٣]

وإذا الكواكب انتثرت : تساقطت[٤]

وإذا البحار فُجِّرت : فَجَّرَ اللهُ بعضها في بعض فَمَلأَ جميعها[٥] عن قتادة فجّر عذبها في مالحها ومالحها في عذبها[٦]

وإذا القبور بعثرت : وإذا القبور أثيرت فاستخرج من فيها من الموتى أحياء . يقال : بعثر فلان حوض فلان إذا جعل أسفله أعلاه[٧] وقُلِبَ ترابها وأثير ما فيها[٨]

علمت نفسٌ ما قدّمت وأخّرت : علمت كلّ نفس[٩] قال ابن زيد : ما قدّمت عملت . وما أخّرت تركت وضيّعت وأخّرت من العمل : الصّالح الّذي دعاها الله

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥٤ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "فطر" ٣٨٢ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهان ي : "فطر" ٣٨٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٨ وتفسير الطّبري ٣٠/٥٤ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نثر" ٤٨٢
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٥٤ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٥٤ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٥٤ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "بعثر" ٥٣ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٥٤ .

إليه[1]

تجمع الآيات الكريمات بين بعض الملابسات لكلٍّ من النّفختين بواسطة إسرافيل عليه السّلام ، الأُولى الّتي تميت الخلائق بإذن الله تعالى إلاّ من شاء ربّك ، والأخرى الّتي تُحيي الخلائق . إنّ السّماء إذا انفطرت وانشقّت والكواكب إذا انتثرت وتساقطت ، والبحار إذا فُجِّر بَعْضها في بعض فامتلأت جميعاً واختلط ماؤها المِلْح وحلوها ، والقيور إذا أثيرت وقُلِب ترابها وبُعِث من فيها من الموتى أحياء ، إنّ كلّ ذلك إذالا حَدَثَ عَلِمَتْ كلّ نفسٍ ما قدّمت عن عمل صالحٍ أو طالح ، وما أخّرت وتكرت وضيّعت من العمل الصّالح الّذي دعاها الله تعالى إليه .

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥٥ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨

يا أيّها الإنسان : الكافر[1]

ما غرّك : أيّ شيءٍ غرّك[2] يقال : غررت فلاناً ، أصبت غِرَّتَهُ ونِلت منه ما أريده . والغِرّة غفلةٌ في اليقظة . وغَرُّ الثّوب أثر كَسْرِه ، وقيل أطوه على غَرِّه . وغَرَّهُ كذا غُروراً كأنّما طواه على غَرِّه[3]

فسوّاك فعدلك : جعلك سَوِيّاً مستقيماً معتدل القامة منتصبها معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال[4] جعل خِلْقَتك على ما اقتضت الحكمة[5] وصيّرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت[6] .

ينادى السّياق جنس الإنسان الكافر منبّهاً له إلى إنسانيّته وإلى ما كرّمه الله تعالى به من نِعَم ، وفي مقدّمتها العقل مناط التّكليف ، ويساله في إنكار : مالّذي غرّك بربك جلّ وعلا الكريم ؟ ومالّذي فرّربك وخَدَعَكَ عن نفسك وعن حقيقة قدرك حتّى إنّك أشركت معه جلّ وعلا في العبادة سواه وأنكرت البعث ولم تعم لما بعد الموت ؟ إنّ هذا الربّ الكريم هة الّذي خلقك وأوجدك ولم تكن شيئاً مذكوراً ، وجعلك خَلْقاً سويّاً مستوي الأعضاء متناسق الأجزاء معتدل القامة ، مرفوع الهامة ، صوّرك فأحسن صورتك كما اقتضت مشيئته جلّ وعلا ، وهو القادر على أن يركّبك في أيّ صورة ،

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٥٥ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غر" ٣٥٨ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٨١ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سوا" ٢٥١ .
(٦) البحر المحيط ٨/٤٣٦ وانظر ٤٣٧ .

ويظهرك في أيّ شكل .

وإنّ لسان حال الآيات الكريمات يحثّ الإنسان على أن يتدبّر هذه النّعم من الله تعالى عليه ، وان يقوم بما يجب عليه من شكرٍ لله تعالى ، وذلك بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة ، وأن يحمد الله تعالى الّذي جعله على رأس قائمة من خلق الله تعالى في الأرض صورةً وقَواما ، مبنًى ومعنًى . إنّ المخلوقات الأرضيّة تتدرّج من الجماد إلى النّبات إلى الحيوان إلى الإنسان . أليس الإنسان أجمل هذه المخلوقات صورة ؟ بلى . أليس الإنسان أحسن هذه المخلوقات شَكْلاً ؟ بلى ، ويكفى الإنسان أن يتبيّن شكل جنس الحيوان الّذي اخلد إلى شَكْلاً ، وكذلك صورةٌ إلى الحدّ الّذي يكاد يظنّ المرء معه أنّ جنس الحيوان في حكم المشدود إلى الأرض وَحْدَها . أين مكان جنس الحيوان الّذي يتقدّم النّبات والجماد ، وأين مكانته بالقياس إلى جنس الإنسان المخلوق من الطّين فهو مشدودٌ إلى الأرض بهذا المقدار ، والّذي نفخ الله تعالى فيه من روحه فهو متطلّع إلى السّماء إلى الحدّ الّذي يكاد يسبق معه الملائكة حينما يَعْبُدُ الله تعالى ويتّقيه حقّ التّقوى ، وهو الثنائيّ الإرادة .

إنّ واجب الإسنان ألاّ يجهل حقيقة قدره بالنّقصان فيظلمها ويهوى بها إلى درك الحيوان في الضّلال ، والإنسان الكافر كالأنعام بل أضلّ ، أو بالزّيادة فَيَطْغَى ويَبْغِي . إنّ على الإنسان أن يبقى إنساناً وكفى ، بأن يحقّق الهدف الّذي خلقه الله تعالى من أجله وهوإفراده عزّ وجلّ بالعبادة .

كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢

كلاّ بل تكذّبون بالدّين : ليس الأمر أيّها الكافرون كما تقولون من أنّكم على الحقّ في عبادتكم غير الله ، ولكنّكم تكذّبون بالثّواب والعقاب والجزاء والحساب[١] عن مجاهد : ﴿بل تكذّبون بالدّين﴾ قال بالحساب[٢] وبيوم الحساب[٣] والدِّين يقال للطّاعة والجزاء واستعير للشّريعة . والدِّين كالملَّةِ لكنّه يقال اعتباراً بالطّاعة والانقياد للشّريعة[٤]

وإنّ عليكم لحافظين : وإنّ عليكمُ رُقَباءَ حافظين يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم[٥]

كراماً كاتبين : كراماً على الله كاتبين يكتبون أعمالكم[٦]

يعلمون ما تفعلون : يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خيرٍ أو شرّ ، يحصون ذلك عليكم[٧] .

كلاّ ليس الأمر كما تزعمون أيّها الكافرون من أنّكم على الحقّ في عبادتكم غير الله تعالى ، بل الحقيقة أنّكم تكذّبون بيوم الدّين ، يوم الجزاء والحشاب ، وتبَعاً لذلك أنتم ت كذّبون بدين الإسلام الّذي بَعَثَ الله تعالى به خير الأنام صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "دين" ١٧٥ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٥٦ .

وإنّ عليكم جميعاً أن تعلموا أنّ عليكم بأمر الله تعالى ، ملائكةً حافظين لكم بأمر الله تعالى ، كراماً على الله تعالى الكريم الحفيظ ، كاتين لكم الحسنات وعليكم السّيّئات ، يعلمون ما تفعلون من خيرٍ أو شرٍّ ، وما تقولون وما تنوون . وإلى الملائكة الحافظين جاءت الإشارة في قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الرّعد[١] : ﴿له معقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله . إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه وال﴾ والمعنى أنّ لله تعالى ، قياساً على القول في الآية الكريمة الرّابعة عشرة : ﴿له دعوة الحقّ﴾ ملائكةً يتعاقبون على الإنسان حافظين له[٢] ويصحّ أن يكون المعنى أنّ للإنسان ملائكةً يتعاقبون عليه وهؤلاء الملائكة من بين يدي الإنسان ومن خلفه . فثمّة مَلَكٌ يحفظ الإنسان من أمام الإنسان ، وَمَلَكٌ آخر يحفظه من خلفه بأمر الله تعالى وبإذنه[٣] وإلى الملائكة الكاتبين جاءت الإشارة في قول الحقّ جلّ وعلا في سورة ق[٤] : ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد . ما يلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيد﴾ فكلُّ إنسان عن يمينه ملكٌ يكتب حسناته ، وعن شماله ملكٌ آخر يكتب سيّئاته .

وهكذا يكون كلّ إنسانٍ محاطاً بإذن الله تعالى بأربعةس من الملائكة . من الأمام والخلف ملكان حافظان . ومن اليمين والشّمال ملكان كاتبان .

---

(١) الآية ١١ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عقب" ٣٤٠ .
(٣) درسنا الآية الكريمة في كتاب : تأمّلاتٌ في سورة الرّعد ٨٢–٩٧ .
(٤) الآيات ١٦– ١٨ .

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِی نَعِیمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
ٱلۡفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ ﴿١٤﴾ یَصۡلَوۡنَهَا یَوۡمَ ٱلدِّینِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا
بِغَآئِبِینَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا یَوۡمُ ٱلدِّینِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا
یَوۡمُ ٱلدِّینِ ﴿١٨﴾ یَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَیۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ
یَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

يصلونها : يدخلونها ويُقاسُونَ حَرَّها[1] وأصل الصَّلْي لإيقاد النّار . ويقال صِلى بالنّار وبكذا أي بُلِي بها واصطلي بها وصَلَيْتُ الشّاة شَوَيْتُها وهي مَصْلِيَّة . وقوله[2] ﴿لا يصلاها إلاّ الأشقى . الّذي كذّب وتولّى﴾ فقد قيل معناه لا يصطلي بها إلاّ الأشقى الّذي قال الخليل : صَلِي الكافر النّار قاس حرّها[3]

وما هم عنها بغائبين : وما هؤلاء الفجّار من الجحيم بخارجين أبداً فغائبين عنها ، ولكنّهم فيها مخلّدون ما كثون . وكذلك الأبرار في النّعيم[4]

إنّ الأبرار المتّقين يوم القيام لفي جنّات النّعيم . وإنّ الكفّار الفجّار السّيّئ الأعمال لفي نار الجحيم ، يصلون حرّها يوم الدّين ، ويدخلونها يوم القيامة . وما هؤلاء الفجّار بغائبين عن نار الجحيم فخارجين منها ، ولكنّهم خالدون فيها على غرار خلود الأبرار في جنّات النّعيم "وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ما يوم الدّين والجزاء . وتعظيماً لشأن يوم القيامة يَسْأَلُ السّياق للمرّة الثانية السّؤال ذاته . ويكون

---

(١) الجلالين
(٢) سورة اللّيل ١٥ و ١٦ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صلاة" ٢٨٥ .
(٤) تفسير الطّبري ٥٦/٣٠ .

الجواب في آخر آيات القسم . إنّ يوم القيامة يومٌ لا تملك أيّ نفسٍ شيئاً لأيّ نفسٍ أخرى تُحِبُّها مِنْ دَفْعِ ضُرٍّ أو جَلْبِ نَفْع . إنّ الأمر كلّه يومئذٍ لله تعالى الواحد القهّار. فعلى كلّ إنسانٍ أن يستعدّ لذلك اليوم المجموع له النّاس المشهور .

سورة المطفّفين

سورة المطفّفين من المكّي من القرآن[1] الّذي يُعْنَى بأسس العقيدة ، وبخاصّةٍ قضيّةُ البعث بعد الموت . والسّورة الكريمة تقرّر أنّ العذاب الشّديد والويل الأكيد للمطفّفين الّذين إذا اكتالوا من النّاس يستوقون حقّهم كاملاً غير منقوص ، وغذا هم كالو النّاس أو وزنوا لهم يَنْقُصُونَهُمْ حُقُوقَهُمْ ويَبْخَسُونَهُمْ أشياءهم . وفي أسلوب الإنكار يسأل السّياق : ألا يظنّ أولئك المطفّفون أنّهم مبعوثون ليوم القيامة العظيم ، يوم يقوم النّاس من قبورهم لربّ العالمين . كلاّ ، ليس الأمر كما يزعم منكروا البعث المُطَفِّفون . إنّ كتاب الفجّار في أعمالهم ، لفي أضيق مكانٍ وأحطّ موضع وأعمق سجن ، في سَجِّين . وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ما سجين . إنّه كتابٌ مختوم مفروغٌ منه لا يضاف إليه أحدٌ من غير أهله ولا يُحْذَف منه أحدٌ من أهله . ويلٌ أكيدٌ يوم القيامة للمكذّبين وعذابٌ شديدٌ للّذين يكذّبون بيوم القيامة ، يوم الجزاء والدّين . وما يكذّب بيوم القيامة إلاّ كُلُّ مُعْتَدٍ على حدود الله تعالى كثير الآثام والذّنوب . إذا تُتْلَى عليه آيات الله تعالى من القرآن الكريم قال هي أساطير الأولين وأكاذيب الأقدمين . كلاّ ، ليس الأمر كما يزعم المكذّبون بيوم الجزاء بل الحقيقة أنّه قَدْرانَ على قلوبهم وغطّاها ما كانوا يكسبون في الحياة الدّنيا من ذنوبٍ وآثام . كلاّ ، ليس الأمر كما يزعم الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ بأنّه لا بَعْثَ ولا حسابَ ولا جزاء ، إنّهم يوم القيامة عن ربّهم جلّ وعلا لمحجوبون في الوقت الّذي يَنْعَمُ المؤمنون المتّقون برؤية ربّهم جلّ وعلا في جنّات النّعيم. ثمّ إنّ أولئك المحجوبين الممنوعين من رؤية ربّهم جلّ وعلا لصالوا الجحيم محترقون

---

(١) انظر مثلاً الإتقان ٤٣/١ والجلالين والبحر المحيط ٤٣٨/٨ وتفسير القرطبي ٧٠٣٥ .

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

بنارها . ثمّ يقال لهم هذا هو العذاب الّذي كنتم تكذّبون به في الحياة الدّنيا . كلاّ ، ليس الأمر كما يزعم الكَفَرَةُ الفَجَرَة بأنّه لا بَعْثَ ولا حِسابَ ولا جزاء . إنّ كتاب الأبرار الّذين برّوا الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النّواهي نص أوسع مكانٍ ، وأَسْما موضع ، وأرحب سماء ، في علّيّين . وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ما علّيّون . إنّه كتابٌ مختومٌ مفروغٌ منه لا يُضافُ إليه أحدٌ من غير أهله ولا يُحْذَف منه أحدٌ من أهله ، يشهده الملائكة المقرّبون في كلّ سماءٍ من السّماوات السّبع . إنّ الأبرار لفي نعيمٍ مقيمٍ في جنّات النّعيم . على الأرائك والفرش المُنَمَّقَة الوثِيرَةِ في القِباب والبيوت وخارجها ينظرون إلى الفضل العظيم الّذي حباهم الله تعالى إيّاه وخصّهم به . وأنت أيّها النّاظر إليهم تعرف في وجوههم نضرةَ النّعيم وحُسْنَه وبريقَه . وهم يُسْقَون في الجنّة من خمرٍ صافيةٍ لا يُفَكُّ خَتْمَها إلاّ هم . وختام شرب تلك الخمر ونهايتُه رائحةُ المشك الّتي تتضوّع وتفوح . إنّ في ذلك النّعيم المقيم ينبغي أن يتنافس المتنافسون ويُبذِلوا كلّ نفسٍ ونفيس كي ينالوا ذلك الّذي تَشْتَهِيهِ الأنفس وتَلَذُّ الأعين . ومزاج ذلك الشّراب من عين ماءٍ تَتَسَنَّمُهُمْ وتَنْزِلُ عليهم من أعلاهم . إنّها عينٌ يشرب منها المقرّبون ويتلذّذون بها .

وفي مقابل المقرّبين هنالك الّذين أَجْرَمُوا فَقُلُوبُهُمْ كافرة وأعمالهم فاجرة . إنّهم كانوا في الحياة الدّنيا من الّذين آمنوا يضحكون . وإذا مرّوا بالمؤمنين يَغْمِزُونَهُمْ بأعينهم ويَعِيبُونَهُمْ بحواجبهم . وإذا انقلبوا إلى أهلهم ورَجَعُوا إلى قومهم رجعوا فكهين جاعلين المؤمنين موضوع ضحكهم وفكاهتهم . وإذا رَأَوُا المؤمنين الموحّدين قالوا إنّ هؤلاء لضالّون

عن سواء السّبيل . وما أرْسَل الله تعالى أولئك المجرمين حافظين على المؤمنين أعمالهم محصين عليهم أفعالهم ولكن من أجل أن ينضمّوا إلى فريق المؤمنين . إن المؤمنين في يوم القيامة يَضْحَكُونَ بحقٍّ من الكافرين . وهم على الأرائك والفرش المنمّقة المرخرفة ينظرون إلى الكافرين في عذابهم المقيم . وهكذا ينال الكافرون جزاء ما كانوا يعملون في الحياة الدّنيا ويفعلون من اعتداءاتٍ وآثام .[٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦

ويلٌ : قُبْحٌ . ومن قال ويلٌ وادٍ في جهنّم فإنّه لم يرد أنّ ويلاً في اللّغة هو موضوعٌ لهذا ، وإنّما أراد : من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحقّ مقرّاً من النّار وثبت ذلك له[١] .

للمطفّفين : التّطفيف النُّقْصان[٢] وأصل ذلك من الشّيء الطّفيف وهو القليل النّزر . والمطفِّف المقلّل حقّ صاحب الحق عمّا له من الوفاء والتّمام في كيلٍ أو وزنٍ[٣] الآخذ في وزنٍ أو كيلٍ طفيفاً أي شيئاً حقيراً خَفِيّاً[٤] .

الّذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون : الّذين إذا اكتالوا من النّاس ما لهم قِبَلَهُمْ من حقّ يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافياً . و"على" و"مِنْ" في هذا الموضع يتعاقبان ، غير أنّه إذا قيل اكتلت منك يراد استوفيت منك[٥]

وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون : وإذا كالوا للنّاس أو وزنوا لهم[٦] يَنْقُصُونَهُمْ[٧]

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ويل" ٥٣٥ .
(٢) البحر المحيط ٤٣٨/٨ .
(٣) تفسير الطّبري ٥٧/٣٠ .
(٤) البحر المحيط ٤٣٨/٨ .
(٥) تفسير الطّبري ٥٨/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٥٨/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ٥٨/٣٠ .

عذاب شديد لأولئك المطفّفين ، وقبحٌ أكيدٌ يتّسم به الّذين يَنْقُصُونض النّاس حقوقهم ويبخسونهم أشياءهم بأخذهم في كيلهم أو وزنهم شيئاً طفيفاً وسَلْبِهِمْ خُفْيَةً شيئاً حقيراً . إنّهم إذا اكتالوا من النّاس يستوفون لأنفسهم ، وإذا كالوا الآخرين أو وزنوهم يُخْسِرونهم وينقصونهم حقوقهم . ألا يظنّ أولئك المطفّفون ويعلمون أنّهم بعد موتهم مبعوثون ليومٍ عظيم هَوْلُه ، شديدٍ شَرُّه ، هو يوم القيامة الّذي يقوم فيه النّاس من قبورهم لربّ العالمين الّذي يحاسبهم فيجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشرّ .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧

كلاّ : ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفّار أنّهم غير مبعوثين ولا معذّبين[١]

إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين : أيّ أنّ مصيرهم ومأواهم لفي سجّين ، فِعّيل من السّجن وهو الضّيق ، كما يقال : فِسّيق وشِرّيب وخِمّير وسِكّير ونحو ذلك . ولهذا عَظّمَ أَمْرَهُ فقال تعالى : ﴿وما أدراك ما سجّين﴾ أي هو أمرٌ عظيم ، وسِجْنٌ مُقِيم ، وعذابٌ أليم ، ثمّ قد قال قائلون هي تحت الأرض السّابعة[٢] استناداً إلى حديث البَراءِ بن عازب الطّويل الّذي جاء فيه يقول : الله عزّ وجلّ في روح الكافر : اكتبوا كتابه في سجّين . وسجّين هي تحت الأرض السّابعة[٣] وسجّين يجمع الضّيقَ والسُّفُول[٤] ويقول الرّاغب الأصفهاني[٥] : "السَّجْن الحبس في السّجن . وقرىء[٦] : ﴿ربّ السّجن أحبّ إليّ﴾ بفتح السّين وكسرها .... والسّجّين اسمٌ لجهنّ بإزاء علّيين . وزيدَ لَفْظُه تنبيهاً

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٦٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٥ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سجن" ٢٢٥ .
(٦) سورة يوسف ٣٣ .

على زيادة معناه . وقيل هو اسمٌ للأرض السّابعة . قال : ﴿لفي سجّين . وما أدراك ما سجّين﴾ وقد قيل : إنّ كلّ شيءٍ ذكره الله تعالى بقوله : ﴿وما أدراك﴾ فَسَّرَه . وكلَّ ماذُكِرَ بقوله : ﴿وما يدريك﴾ تركه مُبْهَما . وفي هذا الموضع ذكر : ﴿وما أدراك﴾ وكذا في قوله : ﴿وما أدراك ما عِلِّيُّون﴾ ثمّ فسّر الكتاب لا السّجِين والعلّيّين" ويقول أبو حيّان[1] : "والظّامر أنّ سجّيناً هو كتاب ولذلك أبدل منه : ﴿كتابٌ مرقوم﴾ " .

مرقوم : مختوم[2] مكتوبٌ[3] مفروغٌ منه لا يُزادُ فيه أحد ولا يُنْقَصُ منه أحد[4] مثبت كالرَّقْم لا يَبْلَى ولا يَمَّحِي[5]

ويلٌ : هلاكٌ ودَمَار[6]

وما يكذّب به إلاّ كلّ معتدٍ أثيم: كلّ معتدٍ: متجاوز الحدّ. أثيم : صفة مبالغة[7]

قال أساطير الأوّلين : الأساطير جمع أُسْطُورَة نحو أُرْجُوحَة وأُحْدُوثَة[8] قال هذا ما سطّره الأوّلون فكتبوه من الأحاديث والأخبار[9] كذباً ومَيْناً فيما زعموا[10]

كلاّ بل ران : الرَّيْن صَدَأٌ يعلو الشّيء الجليل . قال : ﴿بل ران على قلوبهم﴾ أي صار ذلك كصدا على جِلاء قلوبهم فَعَمِيَ عليهم معرفة الخير من

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٤٠ .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٦١ وتفسير ابن كثير ٤/٤٨٥ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٥ .
(٥) البحر المحيط ٨/٤٤٠ .
(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٨٥ .
(٧) البحر المحيط ٨/٤٤٠ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سطر" ٢٣٢ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٦٢ .
(١٠) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سطر" ٢٣٢ .

الشّرّ[1] وغلب على قلوبهم وغَمَرَها وأحاطت بها الذّنوب فغطّتها . يقال منه رانَتِ الخمر على عقله فهي تَرِينُ رَيْناً ، وذلك إذا سكر فغلبت على عقله[2] قال العلبي : طُبِع على قلوبهم . وقال ابن سلاّم : غُطِّي[3] ومن ابن عبّاس : طبع على قلوبهم ما كَسَبُوا[4]

كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون : هم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربّهم وخالقهم . قال الإمام أبو عبدالله الشّافعيّ : وفي هذه الآية دليلٌ على أنّ المؤمنين يرونه عزّ وجلّ يومئذ. وهذا الّذي قاله الإمام الشّافعي رحمه الله في غاية الحسن . وهو استدلالٌ بمفهوم هذه الآية كما دلّ عليه منطوق قوله تعالى[5] : ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة . إلى ربّها ناظرة﴾ وكما دلّت على ذلك الأحاديث الصِّحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربّهم عزّ وجلّ في الدّار الآخرة رؤيةً بالأبصار في عَرصات القيامة وفي رَوضات الجنان الفاخرة[6] .

كلاّ، ليس الأمر كما يزعم الكافرون المطفّفون بأنهم ليسوا مبعوثين ولا محاسبين على أعمالهم الفاجرة . كلاّ إنّ كتاب أولئك الكثيرى الفجور في أعمالهم لفي سجّين . في أضيق مكانٍ وفي أظلم سِجْن . وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ما سجّين ؟ إنّه كتابٌ مرقومٌ مختومٌ مفروغٌ منه لا يُزاد فيه أَحَدٌ ولا يُنْقَصُ منه أحد . ويلٌ وهلاكٌ ودمارٌ يوم القيامة للمكذّبين ، الّذين يكذّبون بيوم الجزاء والحساب . وما

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "رين" ٢٠٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٦٢/٣٠ .
(٣) البحر المحيط ٤٤١/٨ .
(٤) تفسير الطّبري ٦٣/٣٠ .
(٥) سورة القيامة ٢٢ و ٢٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٨٥/٤ .

يكذّب بذلك اليوم إلاّ كلّ معتدٍ على حدود الله تعالى كثير الآثام والذّنوب ، إذا تُتْلَى عليه آيات الله تعالى من القرآن الكريم والذّكر الحكيم قال هي أساطير الأوّلين وأكاذيب السّابقين . كَلاّ ليس الأمر كما زعم الكافرون المستهزئون بل الحقيقة أنّ قلوبهم قد غلب عليها وغشّاها ما كانوا يكسبون في الحياة الأولى من ذنوبٍ وآثام . كَلاّ ليس الأمر كما زعم الكافرون الّذين طبع الله تعالى على قلوبهم وابصارهم . إنّهم يوم القيامة عن رؤية ربّهم جلّ وعلا لمحجوبون وممنوعون . ثمّ إنّهم بعد الحساب لداخلون نارَ الجحيم فذائقون لهيبها ، ثمّ يقال لهم على سبيل التّبكيت والتّقريع هذا هو العذاب الّذي كنتم تكذّبون به في الحياة الدّنيا .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي
عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾
يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ
﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي
ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾
عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين : الأبرار جمع بَرّ وهم الّذين برّوا الله بأداء فرائضه واجتناب محارمه[1] واختلف أهل التّأويل في معنى علّيّين على أ قوال[2] عن اب عبّاس: أعمالهم في كتابٍ عند الله تعالى[3] ويقول الطّبري[4] : "والصّواب من القول في ذلك أن يقال : إنّ الله تعالى ذِكْرُهُ أخبر أنّ كتاب الأبرار في علّيّين والعلّيّون جمعٌ معناه شيءٌ فوق شيء وعُلُوٌّ فوق عُلُوّ ، وارتفاعٌ بعد ارتفاع ، فلذلك جمعت بالياء والنّون كجمع الرّجال إذا لم يكن له بناءٌ من واحدِهِ واثنيه" "وكذلك تفعل العرب في كلّ جمعٍ لم يكن بناءٌ له من واحِدِهِ واثنيه فجمعه في جميع الإناث والذُّكْران بالنّون على ما قد بيّنّا ، ومن ذلك قولهم للرّجال والنّساء عشرون وثلاثون . فإذا كان ذلك كالّذي ذكرنا فبيّن أنّ قوله لفي علّيّين معناه في عُلُوٍّ وارتفاع في سماءٍ فدق سماء وعُلُوٍّ فوق عُلُوّ . وجائزٌ أن يكون ذلك إلى السّماء السّابعة [1]وإلى سدرة المُنْتَهَى وإلى قائمة العرش . ولا خبر يقطع العذر بأنّه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض ..والصّواب أن يقال في ذلك كما

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٦٤ .
(٢) انظر تفسير الطّبري ٣٠/٦٤ و ٦٥ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٦٥ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٦٥ .

قال جلّ ثناؤه : إنّ كتاب أعمال الابرار لفي ارتفاع إلى حدٍّ قد عَلِمَ الله جلّ وعزّ منتهاه ، ولا عِلْمَ عندنا بغايته ، غير أنّ ذلك لا يَقْصُر عن السّماء السّابعة لإجماع الحجّة من أهل التّأويل على ذلك"[١]

كتابٌ مرقوم : مكتوبٌ بأمانٍ من الله إيّاه من النّار يوم القيامة والفوز بالجنّة[٢]

يشهده المقرّبون : يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأما الله لِلْبَرِّ من عباده من النّار وفوزه بالجنّة المقرّبون من ملائكته من كلّ سماءٍ من السّماوات السّبع[٣] .

على الأرائك ينظرون : على السّرر في الحِجال من اللّؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنّعيم والحَبْرَةِ في الجنان[٤] والأريكة : سرير في حَجَلة ، والجمع أريك وأرائك . وفي التّنزيل : ﴿على الأرائك متّكئون﴾ قال المفسّرون : الأرائك السُّرُرُ في الحِجال ، وقال الزّجّاج : الأرائك الفُرشُ في الحِجال . وقيل : هي الأَسِرَّة ، وهي في الحقيقة الفُرُش ، كانت في الحِجال أو في غير الحِجال . وقيل الأريكة سريرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيَّنٌ في قُبَّةٍ أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سريرٌ فهو حَجَلة[٥] والحَجَلةَ : مثل القبّة . وحجلة العروس : معروفة وهي بيتٌ يزيَّن بالثِّيابِ والأَسِرَّةِ والسُّتُور[٦] .

تعرفي في وجوههم نضرة النّعيم : حُسْنَه وبَرِيقَهُ وتَلَأْلُؤَه[٧]

يسقون من رحيقٍ . من خمرٍ صرفٍ لا غشّ فيها[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٦٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٦٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٦٦
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٦٦ والحَبْرة ، بفتح الحاء وسكون الباء : السّرور والنّعمة
(٥) لسان العرب : "أدرك" .
(٦) لسان العرب : " حجل" .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٦٧ .
(٨) تفسير الطبري ٣٠/٦٧ .

مختوم : على إنائها لا يَفُكُّ خَتْمَه إلاّ هُمْ[١]

ختامه مسك : آخر شرابهم يُخْتَمُ بِمِسْكٍ يُجْعَلُ فِيه[٢] وآخر شربه تفوح منه رائحة المسك[٣] .

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون : التّنافس أن يَنْفَسَ الرّجل على الرّجل بالشّيء يكون له ويتمنّى أن يكون له دونه . وهو ماخوذٌ من الشّيء النّفيس ، وهو الّذي تحرص عليه نفوس النّاس وتطلبه وتشتهيه[٤] والمُنافَسَةُ مُجاهَدَةُ النَّفس للتّشبّه بالأفاضل واللّحوق بهم من غير إدخال ضررٍ على غيره[٥] .

ومزاجه : أي ما يمزج به[٦]

من تسنيم : التّسنيم التّفعيل من قول القائل : سَنَّمْتُهُمُ العين تسنيماً إذا أجريتها عليهم من فوقهم ، فكان معناه في هذا الموضع : ومزاجه من ماءٍ يَنْزِلُ عليهم من فوقهم فينحدر عليهم[٧] قيل هو عينٌ في الجنّة رفيعة القدر[٨]

عيناً يشرب بها المقرّبون : أمدح عيناً يشرب منها، أو ضمّن يشرب معنى يلتذّ[٩]

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ٦٧/٣٠ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ٦٨/٣٠ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نفس" ٥٠١ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ٦٩/٣٠ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سنم" ٢٤٥ .
(٩) انظر الجلالين .

عن ابن عبّاس : عيناً يشرب بها المقرّبون صِرْفاً ويمزج فيها لمن دونهم[1] وعن أبي صالح في قوله : ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال :هو أشرف شرابٍ في الجنّة . هو للمقرّبين صِرْفٌ وهو لأهل الجنّة مِزاج[2]

كلاّ ليس الأمر كما زعم الكافرون المكذّبون بأنّه لا ثواب يوم القيامة ولا عقاب . إنّ كتاب الأبرار الّذين برّوا الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النّواهي لفي أرفع مكانٍ وأسمى مكانة . وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم ما علّيّون . إنّه كتابٌ مختومٌ لا يضاف إليه أحدٌ ليس من أهله ولا يحذف منه أحدٌ من أهله ، يشهده الملائكة المقرّبون في كلّ سماءٍ من السّماوات السّبع . وإنّ أولئك الأبرار لفي نعيم في جنّاتٍ النّعيم ، على الفُرُشِ الوثيرة ، في البيوت والقِبابِ المُنَمَّقةِ المُزَرْكَشَة ، وخارجَ تلك البيوت والقِباب ، ينظرون إلى الفضل العظيم الّذي حباهم الله تعالى إيّاه والخير العميم الّذي خصّهم الله تعالى به وأنت أيّها النّاظر إليهم تعرف في وجوههم نضرة النّعيم وبريقه وتلألؤه . وهم في الجنّة يُسْقَوْنَ من خمر الجنّة الصّافية المختوم على إنائها فلا يفكّونه إلاّ هُمْ ، وآخِرُ شرابهم يُخْتَم بمسكٍ تفوح رائحته ، إنّ في ذلك النّعيم المقيم يتنافس المتنافسون ببذل النّفس والنّفيس كي ينالوا ما تهفوا إليه نفوسهم ومزاج ذلك الشّراب من عَيْنِ ماءٍ تَنْزِلُ عليهم من فوقهم فتنحدر عليهم ، وهي عينٌ يشرب منها المقرّبون ويتلذّذون بها .

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٦٩ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٦٩ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ
بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ
﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ
عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ
يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ
ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يتغامزون : أصل الغمز الإشارة بالجَفْن أو اليد طلباً إلى ما فيه معابٌ ، ومنه قليل : ما في فلان غَمِيزَةٌ ، أي تقميصة يشار بها إليه[1] أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجَفْن والحاجِبِ استهزاءً[2] .

انقلبوا فكهين : الفَكِه : الّذي ينال من أعراض النّاس . والفَكِه : الّذي يحدّث أصحابه ويُضْحِكُهم . أبو عبيد : تقول العرب للرّجل إذا كان يتفكّه بالطّعام أو بالفاكهة أو بِأَعْراضِ النّاس إنّ فلاناً لَفكِهٌ بكذا وكذا[3]

وما أرسلوا عليهم حافظين : إنّما كلّفوا الإيمان بالله والعمل بطاعته ولم يُجْعَلوا رُقَباءَ على غيرهم يحفظون عليهم أعمالهم ويتفقّدونها[4]

فاليوم : ذلك يوم القيامة[5]

على الأرائك ينظرون : على سررهم الّتي في الحِجال ينظرون إليهم وهم في الجنّة والكفّار في النّار يُعَذّبُون[6]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غمز" ٣٦٥ .
(٢) الجلالين .
(٣) انظر لسان العرب : "فكه" .
(٤) تفسير الطّبري ٧١/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٧١/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٧١/٣٠ .

هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون : هل جُوزِيَ[1] والثّواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيُسَمَّى الجزاء ثواباً تصوّراً أنّه هُوَ هُوَ[2] وأَصْلُ الثَّوْب رجوع الشّيء إلى حالته الأولى الّتي كان عليها[3] والثّواب يقال في الخير والشّرّ لكن الأكثر المتعارف في الخير[4] والتّثويب في القرآن لم يجيء إلاّ في المكروه نحو : ﴿هل ثوّب الكفّار﴾[5]

إنّ الّذين أجرموا بسبب الكفر وارتكاب الذّنب الّذي لاي يغفره الله تعالى وهو الشّرك كانوا في الدّنيا من الّذين آمنوا يضحكون ويستهزئون . وإذا مرّوا بالمؤمنين يغمزونهم بأعينهم ويشيرون إليهم على جهة الاستهزاء بجفونهم وحواجبهم . وإذا انقلب المجرمون إلى أهلهم ورجعوا إلى قومهم انقلبوا فكهين ، جاعلين المؤمنين موضع ضَحِكِهِمْ ووفُكاهَتِهِمْ ، وأعراضَهُمْ مادّة سخريتهم واستهزائهم وإذا رأَى المجرمون المؤمنين وجهاً لوجه قال بعض المجرمين لبعضهم الآخر إنّ هؤلاء المؤمنين لضالّون عن قَصْدِ السّبيل خارجون عن محجّة الحقّ وما أرسل الله تعالى أولئك المجرمين حافظين أعمال المؤمنين محصين عليهم أفعالهم ، إنّما أُرْسلوا كي يفردوا الله تعالى بالعبادة ويكونوا مؤمنين . وفي يوم القيامة يضحك الّذين آمنوا من الكافرين ، وينظرون إلى عذاب الكافرين وهم على سررهم في الحجاب . وهكذا نال الكفّار جزاء ما كانوا يفعلون في الحياة الدّنيا من ذنوبٍ وآثام .

---

(١) الجلالين .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثوب" ٨٣ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثوب"٨٣ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثوب" ٨٣ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثوب" ٨٤ .

سورة الانشقاق

سورة الانشقاق المكّيّة[1] شأنها سائر المكّيّ من القرآن في العناية بأسس العقيد وفي مقدّمتها البعث بعد الموت . إنّ السّماء إذا انشقّت يوم القيامة وتصدّعت واسْتَمَعَتْ لربّها جلّ وعلا وأطاعت وحُقّ لها أن تسمع وتطيع فتنشقّ . وإنّ الأرض إذا مُدَّت وبُسِطت ، وألقت ما في بطنها من الموتى إلى ظهورها وتخلّت عنهم إلى الله تعالى ، واستمعت لربّها جلّ وعلا وأطاعت . وحُقّ لها أن تسمع وتطيع فتمتدّ وتلقى مافي بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلّت عنهم إلى الله تعالى ، واستمعت لربّها جلّ وعلا وأطاعت . وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع فتمتدّ وتلقى ما في بطنها وتتخلّى عنهم . إذا حدث كلّ ذلك رأى كلّ إنسان ما عمل في الحياة الدّنيا . وإنّ لسان الحال يريد من الإنسان أن يكون عمله صالحاً . ياأيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك جلّ وعلا ومُعِدّاً نفسك في سفرك إلى الله تعالى فملاقيه جلّ وعلا كي يحاسبك ويجازيك . فأمّا من أُوتِيَ كتاب أعماله بيده اليُمْنَى دليل السّعادة فسوف يحاسب حساباً يسيراً غير عسير ، ويرجع إلى أهله في الجنّة مسروراً . وأمّا من أوتِي كتاب أعماله بيده الشّمال المكتوبة وراء ظهره دليل الشّقاوة فسوف يحاسب حساباً عسيراً ، ويُنادِى الثّبور والهلاك قائلاً واتبوراه واويلاه ويَصْلَى سعيراً ويدخل النّار وبئس القرار . إنّه كان في الحياة الأولى في أهله مسروراً . إنّه ظنّ أنّه لن يرجع إلى ربّه جلّ وعلا بعد الموت . بَلَى إنّ ربّه كان به دائماً وأبداً بصيراً وعالماً ومحصياً عليه كلّ ما أتى وترك ، قدّم وأخّر . وبما أنّ الأمور شديدة الوضوح حقيقة الحدوث فإنّ ربّ العزّة لا يقسم من أجل ذلك بالشّفق وهي حمرة السّماء من غروب الشّمس إلى وقت العشاء الأخِرة ، واللّيل وما وسق وجمع في أثنائه وضمّ في أحشائه من

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٨٧/٤ وتفسير القرطبي ٧٠٦٠ والإتقان ٤٣/١ والبحر المحيط ٤٤٣/٨ والجلالين .

كلّ شيءٍ وحيٍّ هبط عليه بكلامه ، والقمر إذا اتّسق وتمّ واكتمل وصار بدراً ، لتركبنّ أيّها النّاس طبقاً عن طبق ، ولتصيرنّ يوم القيامة من حالٍ شديدةٍ إلى أخرى ، فثمّة بعثٌ ونشوزٌ وحسابٌ وجزاءٌ وثوابٌ وعقابٌ وجنّةٌ أو نار . فما لكفّار مكّة ومن شاكلهم لايؤمنون . وإذا قرئ عليهم القرآن في الصّلاة وفي غير الصّلاة لا يسجدون . بل الّذين كفروا يكذّبون بكّل هذه المعاني . والله سبحانه وتعالى أعلم بما يوعون في صدورهم ويكتمون في نفوسهم فبشّرهم على سبيل الاستهزاء بهم بعذابٍ أليم وذلك في مقابل استهزائهم بيوم القيامة وملابساته . لكن الّذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصّالحات بجوارحهم لهم أجرٌ غير ممنون ، وثوابٌ غير مقطوع . [1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

إذا السّماء انشقّت . إذا السّماء تصدّعت وتقطّعت فكانت أبواباً[١]

وأَذِنَتْ لربّها : أَذِن له أَذَناً : استمع[٢] يقول : وسمعت السّماوات في تصدّعها وتشقّقها لربّها وأطاعت له في أمره إيّاها . والعرب تقول : أَذِن لك في هذا الأمر أَذَناً بمعنى استمع لك . ومنه الخبر الّذي رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ما أَذِن الله لشيءٍ كَأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغَنّى بالقرآن . يعنى بذلك ما استمع الله لشيءٍ كالستماعه لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن[٣] .

وحُقَّت : وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع[٤]

وإذا الأرض مدّت : بُسِطت فزيد في سعتها[٥]

وألقت ما فيها وتخلّت : والقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلّت منهم إلى الله[٦] .

والجواب محذوفٌ تُرِك استغناءً بمعرفة المخاطبين به بمعناه . ومعنى الكلام : إذا السّماء انشقّت ، أي الإنسان ما قدّم من خيرٍ أو شرّ .

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٧٢ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : "أذن" ١٤ .
(٢) لسان العرب : "أذن" .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٧٢ .
(٤) الجلالين وتفسير ابن كثير ٤/٤٨٨ وتفسير الطّبري ٣٠/٧٢ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٧٢ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٧٣ وتفسير ابن كثير ٤/٤٨٨ .

وقد بيّن ذلك قولُه : ﴿يا أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فلاقيه﴾ والآيات بعدها[1].

إذا السّماء انشقّت يوم القيامة وتصدّعت . واستمعت لربّها جلّ وعلا الّذي أمرها بالانشقاق والتّصدّع وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع . وإذا الأرض مُدّت وبُسِطَتْ . وألْقَتْ ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلّت منهم إلى الله تعالى . واستمعت لربّها جلّ وعلا الّذي أمرها بالمتداد وإلقاء ما في بطنها من الموتى من أجل الحساب فالجزاء وحُقَّ لها أن تسمع هي الأخرى وتطيع إذا حدث كلّ ذلك رأى الإنسان ما قدّم من خيرٍ يثاب عليه ، أو شرٍّ يعاقَب عليه .

---

(١) انظر تفسير الطّبري ٣٠/٧٣ ومعاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥٠ .

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا
۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا
۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ
۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥

يا أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه : الكدح : السّعي والعناء[١] أي إنّك ساعٍ إلى ربّك سعياً وعاملٌ[٢] عملاً فملاقيه به ، خيراً كان عملك ذلك أو شرّا . يقول فليكن عملك ممّا ينجيك من سخطه ويوجب لك رضاه ، ولا يكن ممّا يسخطه عليك فتهلَكِ[٣]

فأمّا من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حساباً يسيراً : عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس أحَدٌ يحاسَبُ إلاّ هَلَك . قالت : قلت يا رسول الله جعلني الله فِداءك ، أليس يقول الله عزّ وجلّ : ﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسبُ حساباً يسيراً﴾ قال ذاك العَرْضُ يُعْرَضون ، ومن نوقِشَ الحسابَ هَلَك[٤] والحديث رواه كذلك مسلم والتّرمذيّ والنّسائيّ[٥] ومعنى ﴿فسوف يحاسب يسيرا﴾ أي سهلاً بلا تعسير ، أي لا يُحَقَّقُ عليه جميع دقائق أعماله ، فإنّ من حُوسِبَ كذلك هَلَك لا مَحالة[٦]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "كدح" ٤٢٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤٨٨/٤ .
(٣) تفسير الطّبري ٧٣/٣٠ .
(٤) صحيح البخاري ٢٠٨/٦ وفتح الباري ٦٩٧/٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤٨٨/٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٨٨/٤ .

وينقلب إلى أهله مسروراً : وينصرف هذا المحاسَبُ حِساباً يسيراً إلى أهله في الجنّة مسروراً[١] فَرِحاً مُغْتَبِطاً بما أعطاه الله عزّ وجلّ[٢] .

وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره : يقال إنّ أيمانهم تُغَلّ إلى أعناقهم ، وتكون شمائلهم وراء ظهورهم[٣] فيتناول كتابه بشماله وراء ظهورهم فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره ، ولذلك وَصَفَهُمْ جلّ ثناؤه أحياناً أنّهم يُؤْتَوْنَ كتبهم بشمائلهم وأحياناً أنّهم يُؤْتَوْنَها من وراء ظهورهم[٤]

فسوف يدعو ثبوراً: فسوف ينادِى بالهلاك، وهو أن يقول: واثبوراه وا ويلاه[٥]

إنّه كان في أهله مسرورا : أي في الدّنيا[٦]

إنّه ظنّ أن لن يحور : أن مخفّفة من الثّقيلة واسمها محذوف أي أنّه[٧] إنّه طنّ في الدّنيا أن لن يرجع إلينا ولن يُبْعَثَ بعد مماته ، فلم يكن يُبالِي ما ركب من المآثم ، لأنّه لم يكن يَرْجُو ثَواباً ولم يكن يَخْشَى عِقابا[٨]

بلى إنّ ربّه كان به بصيرا: بل لَيَحُورَنَّ وليرجعنّ إلى ربّه حَيّاً كما كان قبل مماته [٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٥٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٩ .
(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٧٥ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٧٥ ومعاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٧٥
(٧) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٢٤٠ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٧٥ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٧٦ .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن
طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ
لَا يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٢٥﴾

فلا أقسم بالشّفق : قال الخليل بن أحمد : الشَّفَقُ الحمرة من غروب الشّمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فإذا ذهب قيل غاب الشّفق . وقال الجوهريّ : الشفق بقيّة ضوء الشّمس وحمرتها من أوّل اللّيل إلى قريبٍ من العَتَمَة . وكذا قال عكرمة : الشّفق الّذي يكون بين المغرب والعشاء . وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : وقت المغرب مالم يغب الشَّفَق . ففي هذا كلّه دليلٌ على أنّ الشّفق هو كما قاله الجوهريّ والخليل[1] .

واللّيل وما وسق : واللّيل وما جمع ممّا سكن وهدأ فيه من ذى رُوحٍ كان يطير أو يَدِبُّ نهارا ، يقال منه : وَسَقْتُهُ أَسِقُهُ وَسْقاً . ومنه طعامٌ مُوسَق ، وهو المجموع في غرائز[2] أو وعاء . ومنه الوَسْق وهو الطّعام المجتمع الكثير ممّا يكال أو يوزن . يقال هو ستّون صاعاً وبه جاء الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[3] قال الفرّاء : وما وسق ، أي ما جَمَعَ وضَمّ[4] وقال أبو عبيدة : وما وسق أي وما جمع من الجبال والبحار

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٨٩/٤ .
(٢) الغرائز : الجوالِق والواحد الغِرارة .
(٣) تفسير الطّبري ٧٦/٣٠ .
(٤) لسان العرب : "وسق" وانظر معاني القرآ للفرّاء ٢٥١/٣ .

والأشجار كأنّه جمعها بأن طلع عليها كلِّها ، فإذا جلّل اللّيل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وَسَقَها[١]

والقمر إذا اتّسق : إذا تمّ واستوى[٢] اتّساقه امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ستّ عشرة فيهن اتّساقه[٣] .

لتركبنّ طبقاً عن طبق : ابن الأعرابي : الطّبق الحال على اختلافها وفي التّنزيل : ﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾ أي حالاً عن حال يوم القيامة . التّهذيب : إنّ ابن عبّاس قال لتركبنّ ، وفسّر لتَصِيرَنّ الأُمُورُ حالاً بعد حال في الشّدّة . قال : والعرب تقول وقع فلانٌ في بَناتِ طَبَق ، إذا وقع في الأمر الشّديد . وقال الزّجّاج : لتركبُنّ حالاً بعد حال حتّى تصيروا إلى الله من إحياءٍ وإماتةٍ وبعث[٤] والمراد بذلك جميع النّاس أنّهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً[٥] وبَناتُ الطَّبَق : الدّواهي ، ويقال للدّاهية إحدى بناتِ طَبَق ، ويقال للدّواهي بَناتُ طَبَق ، ويُرْوَى أنّ أصلها الحيّة أي أنّها استدارت حتّى صارت مثل الطَّبَق[٦] والطَّبَق : الّذي يؤكل عليه أو فيه[٧] .

والله أعلم بما يوعون : الإيعاء ما يجمعون في صدورهم من التّكذيب والإثم[٨]والله أعلم بما تُوعِيهِ صُدُورُ هؤلاء المشركين من التّكذيب بكتاب الله ورسوله[٩]

---

(١) لسان العرب : "وسق" .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٧٧ .
(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥١ .
(٤) انظر لسان العرب : "طبق" .
(٥) انظر تفسير الطّبري ٣٠/٨٠ .
(٦) لسان العرب : "طبق"
(٧) لسان العرب : "طبق" ز
(٨) معاني القرآن اللفرّاء ٣/٢٥٢ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٨٠ .

إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات : لكن الّذين آمنوا أي بقلوبهم ، وعملوا الصّالحات ، أي بجوارحهم[1] .

لهم أجرٌ غير ممنون : غير مقطوع ولا منقوص ولا يُمَنُّ به عليهم[2] .

إنّ ربّ العزّة لا يقسم بالشّفَق وهو الحمرة من غروب الشّمس إلى وقت العشاء الآخرة ، واللّيل وما وَسَقَ وجمع في اثنائه إذا شمل كلّ شيءٍ وحيّ ، والقمر إذا اتّسق وتمّ واكتمل فكان بدراً بملأ نوره الكون ، لتركبنّ أيّها النّاس يوم القيامة طبقاً عن طبق من الشّدائد والأهوال ، وتَصِيرُنَّ من حالٍ إلى حال ، فبعد الموت بعثٌ ونشور ، وتحصيلٌ لما في الصّدور ، وحسابٌ وجزاء ، وثوابٌ وعقاب ، وجنّةٌ أو نار . فمال هؤلاء الكافرين لا يؤمنون . وإذا قرئ عليهم القرآن الكريم في الصّلاة وفي غير الصّلاة لا يسجدون . بل الّذين كفروا في الحقيقة يكذّبون الرّسول الكريم ، ويجحدون القرآن العظيم ، وينكرون يوم الجزاء والدّين . والله تعالى أعلم بما تشتمل عليه قلوبهم من تكذيبٍ وجحودٍ وإنكار! فبشّرهم على سبيل الاستهزاء والسُّخرية بعذابٍ أليم ، يوم يقوم النّاس من قبورهم لربّ العالمين . لكن الّذين آمنت قلوبُهُمْ وعملت الصّالحاتِ جوارِحُهُمْ لهم أجرٌ غير ممنون ، وثواب غير منقوصٍ ولا مقطوع . إنّ الأمر لوضوحه لم يكن بحاجةٍ إلى أن يُقْسِم ربّ العزّة والجلال مِنْ أجْلِه .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٩١/٤ والجلالين .

(٢) الجلالين وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "متن" ٤٧٤ والبحر المحيط ٤٤٨/٨ .

سورة البروج

سورة البروج المكّيّة[1] تُعْنى بالبعث بعد الموت وحمل النّاس على الإيمان والتّصديق بيوم القيامة ، كما تُعْنى بتثبيت فؤاد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في المقام الأوّل . إنّ ربّ العزّة يقسم بالسّماء ذات البروج وهي منازل الشّمس والقمر ، وبيوم القيامة الموعود ، وبيوم الجمعة الشّاهد ، وبيوم عرفة المسهود . لقد استحقّ أصحاب الأخدود والشَّقّ في الأرض المشتمل على النّار المتأجّجةِ أن يُقْتلوا وينالوا أشدّ العذاب . لقد كانوا على الأخدود المُتَأَجِجِ ناراً قاعِدِين ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من صنوف العذاب وأنواع القتل شهودٌ وحضور . وما نَقَمُوا من المؤمنين وسَخِطُوا عليهم وانتقموا منهم إلاّ من أجل أنّهم يؤمنون بالله تعالى العزيز في ملكه المحمود على كلّ حال ، الّذي له ملك السّماوات والأرض وما فيهنّ ، وهو عزّ وجلّ على كلّ شيءٍ شهيدٌ ورقيب . إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالنّار وعن دينهم ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم ولهم عذاب الحريق بِلَهِيب النّار في مقابل حرق المؤمنين في الحياة الأولى . إنّ الّذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصّالحات بجوارحهم لهم جنّاتٌ تجري من تحت قصورها أنواع الأنهار. وذلك الفوز الكبير والنّجاح العظيم . إنّ بطش ربّك بالمجرمين وانتقامَهُ من المشركين ، أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، لَقَوِيٌّ وشديد . إنّه عزّ وجل هو يبدئ الخلق ويوجده من العدم ويعيد خلقه من جديد ، وبخاصّةٍ من أجل البعث في حقّ الإنسان. وهو جلّ وعلا الغفورُ للمذنبين بعد التّوبة النّصوح، الودودُ الحبيبُ للمؤمنين، ذو العرش العظيم ، المجيدُ الكريم ، فعّالٌ لكلّ ما يريد فلا يعجزه جلّ وعلا شيءٌ

(١) الإتقان ٤٢/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٤٩١/٤ والبحر المحيط ٤٤٨/٨ وتفسير القرطبي ٧٠٧٤

في الأرض ولا في السّماء : هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم نبأ الجنود الّذين اجتمعوا على الباطل ، فرعون وجنوده وقوم صالح عليه السّلام قبيلة ثمود . والحقيقة أنّ الّذين كفروا في تكذيبٍ مستمرٍّ لك . والله سبحانه وتعالى من ورائهم محيطٌ بكلّ أحوالهم وأقوالهم ، والحقيقة كذلك أنّ ما أَوْحَى الله به إليه صلّى الله عليه وسلّم هو قرآنٌ مجيد ، وكتابٌ عزيز ، في لوحٍ محفوظ بِحِفْظِ الله تعالى لذلك الكتاب العزيز حتّى عاد في الأرض إلى الصّورة الّتى كان عليها في اللّوح المحفوظ في السّماوات العُلا .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

والسّماء ذات البروج . والسّماء ذات منازل الشّمس والقمر وذلك أنّ البروج جمع بُرْجٍ وهي منازل تتّخذ عاليةً عن الأرض مرتفعة ، ومن ذلك قول الله : ﴿ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة﴾ وهي منازل مرتفعة عالية في السّماء . وهي اثنا عشر برجاً . فمسير القمر في كلّ برجٍ منها يومان وثلث ، فذلك ثمانيةٌ وعشرون منزلاً ، ثمّ يستسرّ ليلتين. ومسير الشّمس في كلّ برجٍ منها شهر[1] والبروج منازل الكواكب السّبعة السّيارة ، الحَمَل والثّور والجوزاء والسرطان والأسد والسّنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدّلو والحوت . سمّيت بالبروج الّتي هي القصور العالية لأنّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانّها . واشتقاق البرج من التّبرّج لظهوره[2] وهذه البروج الاثنى عشر غير الأنواء جمع النَّوْء وهو النّجم إذا مال للمغيب[3] قال أبو عبيد : الأنواء ثمانيةٌ وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السّنة كلّها من الصّيف والشّتاء والرّبيع والخريف ، يسقط منها في كلّ

(١) تفسير الطّبري ١٨/٣٠ .
(٢) الكشّاف ٤١٤/٢ .
(٣) لسان العرب : "نوأ"

ثلاث عشرة ليلةً نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر ، ويَطْلُعُ آخر يقابله في المشرف من ساعته ، وكلاهما معلوم مُسَمَّى ، وانقضاء هذه الثّمانية وعشرين كلّها مع انقضاء السّنة ، ثمّ يَرْجِعُ الأمر إلى النّجم الأوّل مع استئناف السّنة المقبلة[1] قال شَمِر : هذه الثّمانية وعشرون الّتي أراد أبو عبيد ، هي منازل القمر ، وهي معروفةٌ عند العرب وغيرهم من الفُرْس والرّوم والهند لم يختلفوا في أنّها ثمانيةٌ وعشرون ، ينزل القمر كلّ ليلةٍ في منزلةٍ منها . ومنه قوله تعالى : ﴿والقَمَر قدّرناه منازل﴾[2]

واليوم الموعود : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اليوم الموعود يوم القيامة[3] .

وشاهدٍ ومشهود : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وشاهدٍ : يوم الجمعة . ومشهود : يوم عَرَفَة[4]

قُتِلَ أصحاب الأخدود : أصل القتل إزالة الرّوح عن الجسد ك الموت ، لكنْ إذا اعْتُبِرَ بفعل المُتوَلّي لذلك يقال قَتْل ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوْتِ الحياة يقال مَوْت . قال : ﴿أفإن مات أو قُتِلَ﴾ وقوله : ﴿فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم﴾ : ﴿قُتِلَ الإنسان﴾ وقيل : قوله ﴿قُتِل الخَرّاصون﴾ لفظ قُتِل دعاءٌ عليهم وهو من الله تعالى إيجادُ ذلك[5] وكأنّ جواب القسم محذوفٌ[6] صدره تقديره لقد ﴿قُتِل اصحاب الأخدود﴾ والخَدّ

---

(١) لسان العرب : "نوأ" .
(٢) لسان العرب : "نوأ" .
(٣) تفسير الطّبري ٨٢/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ٢٥٢ .
(٤) تفسير الطّبري ٨٢/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٥٢/٣ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهان : "قتل" ٣٩٣ .
(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٥٣/٣ .

والأُخْدُود شَقٌّ في الأرض مستطيلٌ غائص . وجمع الأخدود أخاديد . وأصل ذلك من خدَّي الإنسان وهما ما اكتنفا الأنف عن اليمين والشّمال . والخدّ يستعار للارض ولغيرها كاستعارة الوَجْه . وتَخَدُّدُ اللَّحْم زواله عن وجه الجسم . يقال : خَدّدتُهُ فَتَخِدَّد ويصحّ أن نفهم أنّ أصحاب الأخدود هم مجموعةٌ من الطّغاةِ أرادوا حمل فئةٍ من المؤمنين على ترك دينها ، ويُظَنُّ أنّ هذه الفئة المؤمنة من النّصارى أتباع عيسى ابن مريم عليه السّلام والله أعلم . (١)

النّار ذات الوقود : الوقود بفتح الواو والحطب الجَزْل المجعول لِلْوُقُود ولما حصل من اللّهَب والوُقُودُ بضمّ الواو والاتّقاد

يُقْسِمُ رَبُّ العزّة بالسّماء ذات البروج وهي منازل الشّمس والقمر ينزلها بإرادة الله تعالى كلٌّ منهما وَفْقَ زَمَنٍ مُقَدَّرٍ ، وخطّ سيرٍ محدّد . والبروج في الأصل القصور البارزة الجميلة وبسبب إفادة البروج ظهور المحاسن جاء خطاباً لأمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الأحزاب : ﴿وقَرْنَ في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى﴾

---

(١) الجلالين .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "خد" .
(٣) انظر –مثلاً– السّيرة النّبويّة لابن هشام ٣٤/١ .
(٤) تفسير الطّبري ٨٧/٣٠ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "وقد" ٥٢٩ .
(٦) تفسير الطّبري ٨٧/٣٠ .
(٧) انظر –مثلاً– مفردات الرّاغب الأصفهاني : "برج" ٤١ .
(٨) سورة الأحزاب ٣٣ .

فثمّة نهيٌ عن الاقتداء بنساء لجاهليّة الأولى في إظهار المحاسن لغير المحارم . والبروج في السّماء من سماتها الطهور والحسن ، إضافةً إلى كونها بمثابة المنازل والقصور للشّمس والقمر . وكما أقسم ربّ العزّة بالسّماء ذات الروج ، أقسم بيوم القيامة الموعود ، ويوم الجمعة الشّاهد ، ويوم عرفة المشهود –والله أعلم– أَقْسَمَ ربّ العزّة على أنّ الكافرين أصحاب الأخدود يستحقّون القتل الأكيد ، والعذاب الشّديد . إنّهم خَدُّوا للمؤمنين الأخاديد ، وحفروا للموحّدين الشّقوق المستطيلة الغائصة ، وألقَوْهم فيها ، وأوقدوا عليهم نار الحطب الجَزْل ، لأنّ كلّ واحدٍ من المؤمنين يقول : ربّي الله . وقعد الكافرين على حوافّ الأخاديد يتلّذذون برؤية ألسنة النّار وهي تحرق المؤمنين الّذين يموتون عُضْواً فَعُضْوا . وما نَقَم الكافرون من المؤمنين ، ولا بالَغُوا في كراهتهم حتّى بلغت بهم الكراهة حدّ السَّخَط[1] والانتقام[2] منهم إلاّ من أجل أنّهم آمنوا بالله[3] تعالى العزيز في ملكه المحمود على كلّ حال . الّذي له ملك السّماوات والأرض ، وبيده ملكون كلّ شيء . والله تعالى على كلّ شيءٍ شهيد ، هكذا في صيغة المبالغة : شهيد ، فلاي خفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ، سبحانه جَلَّ شَأْنُه ، وعَظُمَ سُلْطانُه .

---

(١) لسان العرب : "نقم" .
(٢) لسان العرب : "نقم" .
(٣) تفسير الطّبري ٨٧/٣٠ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦

إنّ بطش ربّك لشديد : إنّ بطش ربّك يا محمّد لمن بطش به من خلقه وهو انتقامه ممّن انتقم منه لشديد[١]

إنّه هو يبدىء ويعيد : إنّ الله تعالى يبتدىء خلقه ويحدثهم ابتداءً ثمّ يميتهم ثمّ يعيدهم أحياء بعد مماتهم كهيئتهم قبل مماتهم[٢]

وهو الغفور الودود: عن ابن عبّاس ، قوله : الغفور الودود ، يقول : الحبيب[٣]

ذو العرش المجيد : ذو العرش الكريم[٤] .

إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بأن حرقوهم بالنّار وصرفوهم عن دين التّوحيد[٥] ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم ولهم عذاب الحريق والنّار المشتعلة المتأجّجة في مقابل إحراق المؤمنين بالنّار في الدّنيا . إنّ الّذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصّالحات بجوارحهم ، لهم جنّاتٌ تجري من تحت قصورها أنواع الأنهار من ماءٍ ولبنٍ وخَمْرٍ وعسل . ذلك هو الفوز الكبر والنّجاح العظيم . إنّ بطش ربّك أيّها الرّسول الكريم

---

(١) تفسير الطّبري ٨٨/٣٠ .
(٢) انظر تفسير الطّبري ٨٨/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٨٩/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٨٩/٣٠ .
(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "فتن" ٣٧١ .

وإنّ انتقام ربّك من الطاّغين أيّها النّبيّ العظيم لشديدٌ وأكيد . إنّه جلّ وعلا هو يبدئ كلّ شيءٍ ويعيده ، ومن ذلك خلق النّاس في هذه الحياة الأولى وإعادة خلقهم في الحياة الأخرى . إنّه جلّ وعلا الغفور للمذنبين التّائبين ، الودود الحبيب للمؤمنين المتّقين ، ذو العرش العظيم ، المجيدٌ الكريم ، الفعّال لكلّ ما يريد ، الّذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ
وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم
مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

هل أتاك حديث الجنود : هل جاءك يا محمّد حديث الجنود الّذين تجنّدوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم[1]

والله من ورائهم محيط : محيطٌ بأعمالهم ، مُحْصٍ لها ، لا يخفى عليه منها شيءٌ ، وهو مجازيهم على جميعها[2]

بل هو قرآنٌ مجيد : بل هو قرآنٌ كريم[3]

في لوحٍ محفوظ : مثبتٌ في لوحٍ محفوظ[4]

هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم نبأ الجنود الّذين تحزّبوا على الكفر والصّدّ عن سبيل الله تعالى ، فرعونَ طاغيةِ مصر وجنودِه ، وثمودَ قومِ صالحٍ عليه السّلام . إنّ الأمر ليس كما يدّعي كفّار مكّة من تكذيب لما أَوْحَى اللهُ تعالى به إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم من قرآنٍ كريم وسنّةٍ مطهرة ، بل الحقيقة أنّ الّذين كفروا في تكذيب مستمرّ لوحي الله تعالى انسياقاً مع إغواء الشّيطان الرّجيم وهوى النّفس الأمّارة بالسّوء . والله تعالى من وراء الكافرين محيطٌ بهم مُحْصٍ عليهم أَعْمالَهُمْ . والحقيقة كذلك أنّ القرآن الكريم ليس كما يزعم الكافرون ويدّعي المغرضون إنّما هو قرآنٌ مجيدٌ ، وكلامٌ كريمٌ من ربّ العالمين ، محفوظ من كلّ تغيير في اللّوح المحفوظ إلى يوم الدّين

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٨٩ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٨٩ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٨٩ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٨٩ .

سورة الطّارق

سورة الطّارق المكّيّة[1] تُعْنَى بأسس العقيدة كغيرها من سور المكّيّ من القرآن ، ومن ذلك البعث بعد الموت . يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بالسّماء والطّارق باللّيل . وبقص التّنبيه على جلال المقسم به يأتي القول : ﴿وما أدراك ما الطّارق﴾ وبقصد التّبيين جرياً على عادة القرآن الكريم بعد السّؤال في صيغة الزّمن الماضي : ﴿وما أدراك﴾ يأتي القول : ﴿النّجم الثّاقب﴾ فالطّارق هو النّجم المشتعل الّذي يثقب الظّلام بِضَوْئِه . أمّا جواب القسم فالقول : ﴿إن كلّ نفسٍ لمّا عليها حافظ﴾ والمعنى : ما كلّ نفسٍ إلاّ حافظٌ من الملائكة بأمر الله تعالى . وبقصد حمل الكافر على الإيمان بالبعث يأتي الأمر لذلك الإنسان بأن ينظر مِنْ أيّ شيءٍ خُلِق . إنّه خُلِق من ماءٍ مَهِينٍ دافقٍ يخرج من بين صلب الرّجل وضلوع صدر المرأة . إنّه جلّ وعلا على ردّ هذا الإنسان بعد مماته حيّاً يوم القيامة الّذي تُبلَى فيه السّرائر وتُخْتَبَرُ فيه العقائد لقادر ، علا يُعْجِزُ الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء . وفي ذلك اليوم ليس لذلك الإنسان قوّةٌ ذاتيّة ولا ناصرق خارجيّ على إنقاذه من الورطة الّتي هدفها .

ويُقْسِمُ رَبُّ العِزَّةِ والجلال كذلك بالسّماء ذات الرّجع الّتي يرجع منها المطر من السّحاب ، وبالأرض ذات الصّدع الّتي يشقّها النّبات في أثناء خرجه منها ، بأنّ القرآن الكريم لقولٌ يَفْصِلُ بين الحقّ والباطل وكُلْمٌ فيصل ، وما هو بالهزل واللّعب والباطل . إنّ الكافرين يمكرون مكراً ، وإنّ ربّ العزّة خير الماكرين يمكر مكراً ، فأَنْظِرْ يا محمّد الكافرين وأمهلهم قليلاً .

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٤٩٧/٤ والبحر المحيط ٤٥٣/٨ وتفسير القرطبي ٧٠٩١ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

والسّماء والطّارق : أَقْسَمَ رَبُّنا بالسّماء وبالطّارق الّذي يطرق ليلاً من النّجوم المضيئة ويَخْفَى نهاراً . وكُلُّ ما جاء ليلاً فقد طرق[1] والطّارق السّالك للطّريق ، لكن خُصَّ في التّعارف بالآتي ليلاً فقيل : طرق أهله طُروقاً . وعُبِّر عن النّجم بالطّارق لاختصاص ظهوره باللّيل ، قال : ﴿والسّماء والطّارق﴾ قال الشّاعر :

نحن بنات طارق[2]

وما أدراك مالطّارق : كلّ موضعٍ ذُكِر في القرآن : ﴿وما أدراك﴾ فقد عُقِّب ببيانه[3]

النّجم الثّاقب : النّجم : أحد الأجرام السّماويّة المضيئة بذاتها ، ومواضعها النّسبيّة في السّماء ثابتة، ومنها الشّمس[4]عن ابن عبّاس في قوله : ﴿النّجم الثّاقب﴾ يعنى المضيء[5] لِثَقْبه الظّلامَ بِضَوْئِهِ . وجواب القسم : ﴿إن كلّ نفسٍ لمّا عليها حافظ﴾[6].

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٩٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "طرق" ٣٠٣ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "درى" ١٦٨ .
(٤) المعجم الوسيط : "نجم" .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٩٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥٤ .
(٦) الجلالين .

إن كلُّ نفسٍ لمّا عليها حافظ[1] : ما كلّ نفسٍ إلا عليها حافظ قال ابن عبّاس : كلّ نفسٍ عليها حَفَظَةٌ من الملائِكة[2] عن قتادة : حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا تَوَفَّيْتَهُ يا ابن آدم قُبِضْتَ إلى ربّك[3]

فلينظر الإنسان : المكذّب بالبعث بعد الممات المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته[4]

مِمّ خُلِق : من أيّ شيءٍ خَلَقَهُ رَبَّه[5] : ﴿مِمَّ﴾ متعلّق بـ : ﴿خُلِق﴾ و : "ما" للاستفهام حُذِفَت الألف لتقدّم حرف الجرّ[6]

خُلِقَ من ماءٍ دافق : دافق اسم فاعل من الثّلاثيّ دفق ، وزنه فاعل ، وهو في الآية مجازٌ عَقْلِيٌّ بمعنى مدفوق ، أو استعمل للنّسبة بمعنى ذى اندفاق[7] ويقول الطّبري[8] : "وهو ممّا أخرجته العرب بلفظ فاعل ، وهو بمعنى المفعول ويقول الفرّاء[8]: "أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نَعْتٍ ، كقول العرب : هذا سِرٌّ كاتِمٌ ، وهمٌّ ناصِبٌ ، وليلٌ نائمٌ ، وعيشةٌ راضية . وأَعانَ على ذلك أنّها توافق رءوس الآيات الّتي هي معهنّ"

يخرج من بين الصُّلب والتّرائب : يخرج من صُلْب الرّجل وترائب المرأة . وقيل

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢٥٤/٣ وتفسير الطّبري ٩١/٣٠ والجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥٢١/١٣ .
(٢) تفسير الطّبري ٩١/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٩١/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٩١/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٩١/٣٠ .
(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٥٢/١٣ .
(٧) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٥٢/١٣ والجلالين .
(٨) تفسير الطّبري ٩١/٣٠ .
(٩) معاني القرآن ٢٥٥/٣ .

يخرج من بين ذلك . ومعنى الكلام منهما ، كما يقال : سيخرج من بين هذين الشّيئين خيرٌ كثير ، بمعنى يخرج منهما[١] والصُّلب : الشّديد . وباعتبار الصّلابة والشّدّة سُمِّي الظَّهْرُ صُلْبا[٢] والتّرائب : ضلوع الصّدر ، الواحدة تربيَة[٣] والتّرائب : موضع القلادة من صدر المرأة[٤] .

إنّه : تعالى[٥]

على رجعه لقادر : على ردّ الإنسان بعد الموت[٦] وإحيائه بعد مماته لقادر[٧]

يوم تُبْلَى السّرائر : يوم تُخْتَبَرُ وتُكْشَف[٨] سرائر العباد[٩] وضمائر القلوب في العقائد والنِّيّات[١٠] .

يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بالسّماء والطّارق . وعلى عادة القرآن الكريم في التّفخيم يجيء السّؤال : وما أدراك أيّها ا لرّسول الكريم والنّبي العظيم ما الطّارق . وعلى عادة القرآن الكريم في التّبيين بعد السّؤال في صيغة الزّمن الماضي : ﴿وما أدراك﴾ يُبَيِّنُ معنى الطّارق بأنّه النّجم المتوهّج الّذ يَثْقُبُ بِضَوْئِه الظّلام . وجواب القَسَم : ما كلُّ نَفْسٍ إلاّ عليها حافظٌ من الملائكة يحفظون الإنسان بأمر الله تعالى ويكتبون ما يَلْفُظُ من

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٩٢ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صلب" ٢٨٤ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ترب" ٧٤ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٩٢ .
(٥) الجلالين .
(٦) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٥٥ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٩٣ .
(٨) الجلالين .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٩٤ .
(١٠) الجلالين .

قول ، ومن باب الأَخْرَى ما يأتى من فعل . وإلى المَلَكَيْنِ الحافظين للإنسان من أمامه وخلفه جاءت الإشارة في قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الرّعد[1] : ﴿له معقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ والمعنى أنّ له جلّ وعلا أو للإنسان ملائكة تتعقّب الإنسان من بين يديه ومن خلفه يحفظونه بأمر الله تعالى من الجنّ[2] وغيرهم وإلى الملكين الكاتبين أعمال الإنسان الحسنة والسّيّئة أشار قول الحقّ جلّ وعلا في سورة ق[3] : ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقّى المتلقِّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد . ما يلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيد﴾ وعتيد بمعنى حاضر[4] فلينظر الإنسان المنكر للبعث بعين البصر والبصيرة من أيّ شيءٍ خلقه الله تعالى كي ينتهي إلى أنّ القادر على خلقه ابتداءً قادراً على خلقه عَوْدَة . لقد خُلِقَ الإنسانُ من ماءٍ دافقٍ يخرج من بين صُلْب الظَّهْرِ وضلوع الصَّدْر ، ويصحّ أن يكون الصُّلب للرّجل والتّرائب للمرأة ، والتّرائب موضع القلادة من صدر المرأة ، ويصحّ أن يكون لفظ دافق بمعنى مدفوق . والله أعلم . إنّ الله سبحانه وتعالى ذا الجلال والإكرام قادرٌ على درّ الإنسان حيّاً بعد مماته وبعثه يوم القيامة الّذي تُبْلَى فيه السّرائر وتُخْتَبَر الضّمائر وتُكشف العقائد ويجازى كلّ إنسانٍ وَفْقَ سريرته في ذلك اليوم الّذي ليس للإنسان فيه من قوّةٍ ذاتيّة ولا نُصْرةٍ خارجيّة .

---

(١) الآية ١١ .
(٢) درسنا الآية الكريمة في كتابنا : تأمّلاتٌ في سورة الرّعد ص٨٢-٩٧ القاهرة ١٩٧٩م .
(٣) الآيات ١٦-١٨ .
(٤) انظر الجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهاني : "عتد" ٣٢١ .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

والسّماء ذات الرّجع : عن ابن عبّاس : ﴿والسّماء ذات الرّجع﴾ قال : السّحاب فيه المطر[1]

والأرض ذات الصّدع : عن ابن عبّاس : ﴿والأرض ذات الصّدع﴾ قال : ذات النّبات[2] والصّدع : الشّقُّ في الأجسام الصُّلْبَة[3]

إنّه لقولٌ فصل : يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه[4] عن ابن عبّاس : قوله : ﴿إنّه لقولٌ فصل﴾ يقول : حقّ[5]

وما هو بالهزل : باللّعب والباطل[6]

أملهم رويدا : أنظرهم قليلاً[7]

يُقْسِمُ ربُّ العزّة والجلال بالسّماء ذات الرَّجْع بالمطر ، وبالأرض ذات الصَّدْع والشَّقِّ بالحَرْث والنَّبات ، بأنّ القرآن الكريم قولٌ يفصل بين الحقَّ والباطل ، وحُكْمٌ فَيْصَل ، وما هو بالهزل واللعب والباطل . إنّ الكافرين يَكيدُونَ كَيْداً ويمكرون مكراً ، والله سبحانه وتعالى يكيد كيداً يفسد كيدهم ، ويمكر مكراً يبطل مكرهم . فمهّل يا محمّد الكافرين وأمهلم قليلاً وأَنْظِرْهُمْ زَمَناً يسيراً فإنّ مصيرهم الهلاك إن لم يتوبوا إلى الله تعالى توبةً نصوحا .

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠-٩٤ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٩٥ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "صدع" ٢٦٧ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٩٥ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٩٥ .
(٦) الجلالين وتفسير الطّبري ٣٠/٩٦ .
(٧) الجلالين .

سورة الأَعْلَى

سورة الأَعْلَى المكّيّة[1] تُعْنَى كسائر المكّيّ من القرآن الكريم بقضيّة البعث بعد الموت والعمل من أجل يوم القيامة . إنّها تأمر جنس الإنسان بأن يسبّح اسم ربّه الأعلى بقول سبحان الله ، وبقول سبحان ربّي الأعلى ، وأن ينزّهه جلّ وعلا عن كلّ ما لا يليق به . إنّه عزّ وجلّ هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي خلق الخلق وفي مقدّمتهم الإنسان ، فسوّى مخلوقاته ، وجعلها محقّقَةً الهدف الّذي خُلِقَتْ من أجله ، وإنّه عزّ وجلّ هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي قدّر ما شاء فهد خلقه إلى ما قدّره من خيرٍ أو شرّ ، وفي مقدّمة خلقه الإنسان الّذي هداه النّجْدَيْنِ ، طَرِيقَ الخير كي يتّبعه ، وطَرِيقَ الشّرّ كي يَتَنَكَّبَه . وكما نال الإنسان في المقام الأَوَّل حظّه من العناية في هيئة الهداية أساساً ، نالت الأنعام حظّها من النّبات . فثمّة تحوّلٌ في العناية من جنس الإنسان على جنس الحيوان . إنّه عزّ وجلّ هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي اخرج المرعى وأنبت العشب الّذي ترعاه الماشية أخضر طريّا نَضِراً نديّا ، فجعله بعد ذلك غُثاءً جافّاً هشيماً ، أَحْوَى مائلاً إلى الخضرة الشّديدة أو السّواد . وإذا كان الحديث عن الخلق والهداية وعن الحيوان والمرعى جاء في آيتين كريمتين . في كلٍّ من الموضعين ، فإنّ كلاً من الوَحْداتِ المعنويّة الثّلاث التّالية تتالّف من ثلاث وَحْداتٍ كلاميّةٍ أو صوتيّة . إنّ الوَحْدَةَ المعنويّة الأولى تنصّ على إقراء الله تعالى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم فلا ينساه إلاّ ما شاء الله تعالى بنَسْخِ تلاوته وحُكْمِه ، وعلى أنّه جلّ وعلا يعلم الجهر من القول والفعل ومايخفى منهما . ومن البيّن علاقَةُ ما يتلوه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من قرآن

(١) الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٤٩٨/٤ والجلالين وتفسير القرطبي ٧١٠٣ والبحر المحيط ٤٥٧/٨ .

بالهداية إلى الطّريقة الّتي هي أقوم . وإنّ الوَحْدَةَ المعنويّة الثّانية تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى سوف ييسّر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للشّريعة اليُسْرَى الأسهل وهي دين الإسلام وشريعة خير الأنام صلّى الله عليه وسلّم . إنّ عليه صلّى الله عليه وسلّم أن تعط القرآن الكريم فلعلّ الموعظة تنفع بعضهم إن لم تنفعهم جميعا ، كما تُقَرِّرُ أنّ الّذي سوف يتذكّر ويتّعظ هو الّذي يخشى الله تعالى . وإنّ الوَحْدَةَ المعنويّة الثّالثة تُقَرِّرُ أنّ الإنسان الأشقى هو الّذي يتجنّب موعظة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ولا ينتفع بها ولا يستفيد منها ، ومن أجل ذلك هو سوف يدخل النّار الكبرى في الآخرة بالقياس إلى النّار الصّغرى في الأولى . وفي نار جهنّم هو لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الهنيّة الرّضيّة .

وكما تألّفت كلّ وَحْدةٍ معنويّةٍ من هذه الوَحْدات الثّلاث من ثلاث وَحَداتٍ صوتيّةٍ تالّفت كلّ وَحْدَةٍ من الوَحَدات المعنويّة الثّلاث التّالية من وَحْدَتَيْنِ صوتيّتين أو آيتين كريمتين . لقد أفلح ونجح من تزكّى وتطهّر ، وذكر اسم ربّه جلّ وعلا ، وسبّحه ونزّهه ، وصلّى الله تعالى وَحْدَهُ لا شريك له الصّلوات المفروضة والنّوافل . والمعروف أنّ الصّلاة عماد الدّين . أمّا كفّار مكّة ومن لفّ لفّهم فإنّهم يؤثرون الحياة الدّنيا ويفضلونها على الآخرة ، ولا يعلمون أنّ الآخرة خيرٌ من الأولى للمتّقين إنّ هذه المعاني النّبيلة السّامية لفي الصّحف الأولى المُوحَى بها إلى النّبيّين الكريمين إبراهيم ابي الأنبياء وموسى كبير أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

سبّح اسم ربّك الأعلى : عظّم ربّك الأعلى لا ربّ أعلى منه وأعظم[١] ونزّه ربّك عمّا لا يليق به[٢] رَوَى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهنيّ ، لمّا نزلت : ﴿فسبّح باسم ربّك العظيم﴾ قال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اجعلوها في ركوعكم . فلمّا نزلت : ﴿سبح اسم ربّك الأعلى﴾ قال : اجعلوها في سجودكم . ورواه أبو داود وابن ماجه[٣] عن قتادة أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا قرأها قال : سبحان ربّي الأعْلَى[٤]

الّذي خلق فسوّى : الّذي خلق الخليقة وسوّى كلّ مخلوقٍ في أحسن الهيئات[٥] وخلق الأشياء فسوّى خلقها وعدّلها . والتّسوية التّعديل[٦] والّذي قدّر فهدى : أي قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّ الله قَدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء[٧] قال مجاهد : هدى الإنسان للشَّقاوَةِ

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٩٦ .
(٢) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٩٩ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٠ .

والسّعادة وَهَدى الأَنْعام لِمَرَاتِعِها[1] وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنّه قال لفرعون[2] : ﴿رَبّنا الّذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدى﴾[3]

والّذي أخرج المرعى : والّذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النّبات وأنواع الحشيش[4]

فجعله غثاءً أحوى : عن ابن عبّاس هَشِيماً مُتَغَيِّرًا[5] يقول تعالى ذكره : فجعل ذلك المرعى غثاءً ، وهو ما جفّ من النّبات ويبس فطارت به الرّيح . وإنّما عَنَى به ههنا أنّه جعله هشيماً يابساً متغيّراً إلى الحوّة وهي السّواد من بعد البياض أو الخضرة من شدّة اليُبْس[6] والغثاء غثاء السّيل والقِدْر . وهوما يَطْفَحُ ويَتَفَرَّقُ من النّبات اليابس وزبد القِدْر . ويُضْرَب به المثل فيما يضيع ويذهب غير مُعْتَدٍّ به[7] والحُوَّة شدّة الخضرة ، والأحوى الشّديد السّواد[8]

يأمر ربّ العزّة الجلال حبيبه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في المقام الأوّل بأن يسبّح اسم ربّه الأعلى عزّ وجلّ ، وأن ينزّهه جلّ وعلا عن كلّ ما لا يليق به ممّا ألحقه به الظّالمون تعالى علوّاً كبيراً ، وأن يُكْثِرَ من تسبيح الله تعالى في الصّلاة وفي غير الصّلاة. ويلحق بالتّسبيح وقول سبحان ربّي الأعلى وسبحان ربّي العظيم التحميد والتّهليل

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٠ وتفسير الطّبري ٣٠/٩٧ وفتح الباري ٨/٧٠٠ .
(٢) سورة طه ٥٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/٩٧ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "زبد" ٣٥٨ .
(٨) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حوا" ١٤٠ .

والتّكبير بقول الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي خلق كلّ حيٍّ وشيءٍ في أحسن صورة وأكمل شكل ، من أجل غرضٍ سامٍ وهدفٍ جليل وقَدَرٍ مقدور ، هَدَ الخليفة إليه ، وساقها نحوه ، فلها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت . والله سبحانه وتعالى هو الّذي أخرج المرعى من أجل الأنعام وأنبت ضروب العشب وأنواع الحشيش الأخضر فجعله بعد ذلك هشيماً تذروه الرّياح ويحمله السّيل فوق ظهره مائلاً لونه إلى السّواد الفاحم ، أو القاتم بعد تلك الخُضْرَةِ النّضِرة والحياة العطرة.

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ
لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

سنقرئك فلا تنسى إلاّ ما شاء الله : سنقرئك يا محمّد هذا القرآن فلا تنساه ، إلاّ ما شاء الله[١] وهو ما نسخه الله من القرآن فرفع حُكْمَهُ وتلاوته[٢] فلا تنسى إلاّ أن نشاء نحن أن نُنْسِكَه بنسخه ورفعه[٣]

إنّه يعلم الجهر وما يخفى : إنّه يعلم الجهر من القول والفعل وما يخفى منهما[٤]

ونيسّرك لليُسْرى : ونستهلك يا محمّد لعمل الخير وهو اليُسْرى . واليُسْرَى هو الفُعْلَى من اليُسْر[٥] وللشّريعة السّهلة وهي الإسلام[٦]

فذكّر : فذكّر عباد الله يا محمّد عَظَمَتَه وعظهم وحذّرهم عقوبته[٧] .

إن نفعت الذّكرى : إن نفعت الذّكرى الّذين قد آيستك من إيمانهم فلا تنفعهم الذّكرى[٨]

ويتجنّبها : ويتجنّب الذّكرى[١]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٩٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٩٨ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/٩٨ .
(٤) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ٣٠/٩٨ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .
(٨) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .

الأشقى : يعني أشقى الفريقين[١]

الّذي يصلى النّار الكبرى : الّذي يرد نار جهنّم وهي النّار الكبرى ، لشدّة الحرّ والألم[٢] والصّغرى نار الدّنيا[٣]

ثم لا يموت فيها ولا يحيى : لا يموت فيها فيستريح ويا يحيا حياةً تنفعه[٤]

سنقرئك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم القرآن الكريم ونثبّته في فؤادك فلا تنساه ، إلاّ ما شاء الله تعالى ، فلا تنسى إلاّ أن نشاء نحن ذلك بِنَسْخِهِ وَرَفْعِه . وإلى مثل هذا المعنى أشار قول الحقّ جلّ وعلا في سورة القيامة[٥] : ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه . ثمّ إنّ علينا بيانه﴾ والمعنى لا تحرّك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم بالقرآن الكريم لسانك قبل فراد جبريل عليه السّلام منه لتعجل به خوف أن ينفلت منك . إنّا نتكفّل بجمع القرآن الكريم في صدرك فلا تنساه ، وبقراءتك إيّاه وجريانه على لسانك وأنت الرّسول النّبي الأمّيّ الّذي لا يقرأ ولا يكتب. فإذا قرأنا القرآن الكريم عليك بقراءة جبريل عليه السّلام فاتّبع قرآنه واستمع قراءته. وفوق كلّ ذلك نحن نتكفّل بتبيين معنى القرآن الكريم لك . فأنت إمام القرّاء والمفسّرين وقرّة عين الموحّدين .

إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم الجهر من القول والفعل ويعلم ما يُخْفِى ونكتم

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/٩٩ .
(٥) الآيات ١٦– ١٩ .

منهما . والله سبحانه وتعالى ييسّر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للطّريقة اليسرى والشّريعة السّهلة والحنيفيّة السّمعة . فعليه صلّى الله عليه وسلّم أن يُذَكِّرَ ويَعِظَ بالقرآن الكريم من تنفعه الذّكرى بإذن الله تعالى ويخاف وعيده جلّ وعلا . إنّ من يخشى الله تعالى ويخاف قيامه بين يديه جلّ وعلا سوف يتذكّر وتنفعه الذّكرى والموعظة . أمّا الكافر أشقى الفريقين فإنّه سوف يتجنّب الذّكرى ويتحاشى الموعظة . إنّه سوف يَصْلَى نار الآخرة الكبرى ويرد جهنّم الّتي لا يموت فيها ويستريح ، ولا يحيا حياةً هنيّةً رضيّةً يهنأ فيها ويُرْضِيه .

قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ
تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

قد أفلح وفاز من تزكّى بالإيمان ، وتطهّر بالأعمال الصّالحة ، وذكر اسم ربّه جلّ بالتّسبيح والتّحميد والتّهليل والتّكبير فصلّى الله تعالى الصّلوات الخمس المفروضة ، والمعروف أنّ إقام الصّلاة أهمّ أركان الإسلام الأربعة بعد الشّهادتين ، وأتبع الصّلوات المفروضة بالنّوافل . إنّ كفّار مكّة ومن لَفَّ لَفَّهُم يؤثرون في الحقيقة الحياة الدّنيا على الآخرة ، ويفضّلون العاجلة الفانية على الآجلة الباقية . إنّ الآخرة خيرٌ من الأولى وابقى منها لأنّ في الجنّة خلود المتّقين الّذين يجدون ف يالجنّة ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . إنّ الفلاح ، لمن تذكّر وصلّى وآثر الآخرة ، والنّجاح المذكور في القرآن الكريم مذكورٌ في الصّحف الأولى ، ومكتوبٌ في ما أوحى الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء من صحائف عشر ، ولموسى عليه السّلام كبير أنبياء بنى إسرائيل من توراه .

سورة الغاشِيَة

سورة الغاشية المكّيّة[1] تُعْنَى كسائر المكّيّ من القرآن بقضيّة البعث بعد الموت . رَوَى الإمام أحمد عن النّعمان بن بشير أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرأ في العيدين بسبّح اسم ربّك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية . وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والتّرمذيّ والنِّسائيّ وابن ماجه كما رواه الجماعة[2] ولفظ مسلم وأهل السّنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبّح اسم ربّك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية . وربّما اجتمعا في يومٍ واحدٍ فقرأهما[3]

تسأل الآية الكريمة الأولى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم : هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم نبأ يوم القيامة والسّاعة الّتي تَغْشَى النّاس بأهوالها . ويكون الجواب في وصف عقاب الكافرين وثواب المؤمنين . إنّ الكافرين ، الّذين عُبِّرَ عن ذواتهم بوجوههم ، خاشعةٌ في يوم القيامة وجوههم ، ذليلةٌ نفوسهم . هم يعملون في النّار ويتعبون ، في مقابل كسلهم في الحياة الأولى وإخلادهم للرّاحة ، وهم يَصْلَوْن نار جهنّم الحامية ويقاسون أذاها ، ويشربون من عينٍ شديدة الحرارة ، ولا يأكلون إلاّ من ضريعٍ وهو نباتق جافٌّ ذو شوك ، لا يُسْمِن مَنْ أَكَلَهُ ، بل لا يدفع عنه غائلة الجوع. وإنّ المؤمنين ، الّذين عُبِّرَ عن ذواتهم بوجوههم كذلك ، ناعمةٌ في يوم القيامة وجوههم ، سعيدةٌ نفوسهم ، بسبب عيشتهم الهنيّة الرّضيّة ، لرضاهم عن ثواب سعيهم

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٣/١ وتفسير ابن كثير ٥٠٢/٤ والجلالين وتفسير القرطبي ٧/١٠ والبحر المحيط ٤٦/٨

(٢) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٤ .

وعملهم في الحياة الأولى . إنّهم في جنّةٍ عاليةٍ مكاناً ومكانة ، لا تسمع نفسٌ واحدةق منهم كلمة لغوٍ واحدةٍ وباطل . وفي الجنّة عينٌ بختلف أنواع الشّراب لا تغِيضُ ولا تَفِيضُ ولا تفِيض . وفيها سُرُرٌ مرفوعةٌ يتّكئون عليها ويسرحون بابصارهم في ذلك الملك الكبير والخير الوفير ، وفيها أكوابٌ وأباريق موضوعةٌ بحافّة تلك العين كي يَعُبَّ منها ما شاء أو يَغْتَرِف ، وفيها النَّمارق المصفوفة والوسائد المُرَتَّبَة ، وفيها الزّرابيّ المبثوثة والبسط الجميلة الملونة المنتشرة .[1]

هلاّ نظر منكرو البعث نظر اعتبار إلى الإبل كيف خُلِقت ضخمةً قويّةً خاضعةً للإنسان ، وإلى السّماء كيف رُفِعَتْ بِيَدِ القدرة الإلهيّة ، وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ فكانت للأرض كالأوتاد فلا تميد ولا تضطرب بإذن الله تعالى ، وإلى الأرض كيف سُطِحت وبُسِطَتْ كي يَسْهل سَيْرُ الإنسان عليها . إنّ القادر على خلق هذه المخلوقات وكلّ شيءٍ ابتداءً قادرٌ على خلقها عودةً ، فينبغي الإيمان بالبعث .

وإنّ على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يذكّر النّاس ويَعِظُهُمْ بما أوحى الله تعالى إليه من قرآنٍ كريم وسنّةٍ نبويّةٍ مطهّرة . فليس عليه صلّى الله عليه وسلّم سوى البلاغ وعلى الله تعالى الحِساب . وليس صلّى الله عليه وسلّم بِمُسَيْطِرٍ عليهم ولا جبّار . أمّا من تَوَلَّى بجسده وأعرض ، وكفر بقلبه وصدّ عن سبيل الله تعالى فإنّ الله سبحانه وتعالى يعذّبه يوم القيامة العذاب الأكبر . إنّ إلى الله تعالى إيابهم يوم القيامة ورجوعهم ، وإنّ عليه جلّ وعلا حسابهم وجزاءهم ، ثوابهم أو عقابهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

هل أتاك حديث الغاشية : هل أتاك يا محمّد حديث الغاشية ، يعني قصّتها وخبرها[١] عن ابن عبّاس : الغاشية من أسماء يوم القيامة عظّمه الله وحذّر عباده[٢] لأنّها تَغْشَى الخلائق بِأَهْوالها[٣] وتَعُمُّهُمْ[٤] .

وجوهق يومئذٍ خاشعة:وجوه أهل الكفر به ذليلة[٥]وعبّر بالوجوه عن الذّوات[٦]

عامِلةٌ ناصبة : عاملةٌ في النّار ناصبةٌ فيها[٧] عن ابن عبّاس : فإنّها تَعْمَلُ وتَنْصَبُ في النّار[٨] أي تتعب وتنزعج . والنَّصَب التَّعَب . وقد نَصِب فهو نَصِب ونا صب . قال تعالى : ﴿ عاملةٌ ناصبة ﴾[٩]

تصلى ناراً حامية : ترد هذه الوجوه ناراً قد حَمِيَتْ واشتدّ حَرُّها[١٠]

تُسْقَى من عينٍ آنية : تُسْقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عينٍ قد أنَى حَرُّها

---

(١) تفسير الطّبري ١٠١/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ١٠١/٣٠ .
(٣) الجلالين وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غشى" ٣٦١ .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٠٢/٤ .
(٥) انظر تفسير الطّبري ١٠٢/٣٠ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ١٠٢/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبري ١٠٢/٣٠ .
(٩) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نصب" ٤٩٥ .
(١٠) تفسير الطّبري ١٠٢/٣٠ .

فبلغ غايته في شدّة الحرّ[1] وأَنَى الماء : سَخُنَ وبلغ في الحرارة . وأَنَى الحميم أي انتهى حرّه . وفي التّنزيل العزيز : ﴿تُسْقَى من عينٍ آنية﴾ أي متناهيةٍ في شدّة الحرّ[2] وإِنَى الشّيء : بلوغه وإدراكه[3] وأَنى وآن الشّيء قَرُبَ إناه[4]

ليس لهم طعامٌ إلاّ من ضريع : الضّريع عند العرب نبتٌ يقال له : الشِّبْرِق ، وتسمّيه أهل الحجاز الضّريع إذا يَبِسَ . ويسمّيه غيرهم الشّبْرِق ، وهو سُمّ[5] وعن عكرمة ، هي شجرةٌ ذات شوك لاطئة بالأرض . فإذا كان الرّبيع سمّتها قريش الشِّبْرِق، فإذا هاج العود سمّتها الضَّريع[6] وعن قتادة ، هو شرّ الطّعام وأبشعه وأخبثه[7]

لاي يسمن ولا يغنى من جوع : السِّمن ضِدُّ الهُزال[8] يقول : لا يسمن هذا الضّريع يوم القيامة أَكَلَتَه من أهل النّار ، ولا يغني من جوع ، يقول : ولا يشبعهم من جوعٍ يُصِيبُهُمْ[9]

هل أتاك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم حديث الغاشية وخبر يوم القيامة ونبأ السّاعة الّتي تَغْشَى الخلائق بأهوالها . في ذلك اليوم العصيب وجوهٌ خاشعةٌ ذليلةٌ دليل هوان أصحابها الكافرين الّذين يعملون ويتعبون في نار جهنّم الحامية الّتي يدخلونها. وهم يُسْقَوْن في الجحيم من عينٍ قد اشتدّت حرارة شرابها . أمّا الطّعام ليس لهم طعامٌ إلاّ

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٢/٣٠ .
(٢) لسان العرب : "أنى"
(٣) لسان العرب : "أنى"
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "أنى" ٢٩ وانظر لسان العرب : "أنى"
(٥) تفسير الطّبري ١٠٣/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٥٧/٣ .
(٦) تفسير الطّبري ١٠٣/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ١٠٣/٣٠ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سمن" ٢٤٣ .
(٩) تفسير الطّبري ١٠٣/٣٠ .

من ضَرِيعٍ وشجرةٍ يابسةٍ ذات شوكٍ وشرّ طعامٍ وابشعه و أخبثه ، فهو لا يُسْمِن مَنْ أكله وينفعه ، ولا يصرف عن آكلِهِ شرّ الجوع ويدفعه . وهكذا لا يهنأ ولا يَمْرَأ للكافرين طعامٌ ولا شرابٌ في النّار وبئس القرار[1] .

(١) جاء في اللّسان : "مرأ" : " وقد مَرُءَ الطّعام ، ومَرَأ : صار مريئاً ، وكذلك مَرِىء الطّعام كما تقول فَقُه وفَقِه ، بضمّ القاف وكسرها" .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا
تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

وجوهٌ يومئذٍ ناعمة : هي ناعمةٌ بتنعيم الله أَهْلَها في جنّاته وهم أهل الإيمان بالله[١] وذات نعمة ، وهي وجوه المؤمنين[٢] ولين عيشٍ وخَصْب[٣]

لسعيها راضية : لسعيها في الدّنيا بالطّاعة ، راضية في الآخرة لمّا رأت ثوابه[٤]

في جنّةٍ عالية : رفيعة[٥] حِسّاً ومَعْنًى[٦]

لا تسمع فيها لاغية : يعنى باللاّغية كلمة لغو . واللّغو الباطل . فقيل للكلمة الّتي هي لغو لاغية ، كما قيل لصاحب الدّرع دراع ، ولصاحب الفَرَس فارس ، والقائل الشّعر شاعر[٧]

فيها سررٌ مرفوعة : السّرر جمع سرير . مرفوعة ، ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خَوَّلَهُ رَبُّهُ من النّعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره[٨]

وأكوابٌ موضوعة : أكواب جمع كُوب ، وهي الأباريق الّتي لا آذان لها[٩] وعَنَى بقوله "موضوعة" أنّها موضوعةٌ على حافّة العين الجارية ، كلّما أرادوا الشُّرب وجدوها مَلْأَى من الشّراب[١٠] .

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٣/٣٠ .
(٢) تفسير القرطبي ٧١٢٣ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نعم" ٤٩٩ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ٥٠٣/٤ .
(٨) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ .
(٩) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ .
(١٠) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ .

ونمارق مصفوفة : يعني بالنّمارق الوسائد والمرافق . والنّمارق واحدها نُمْرُقة بضمّ النّون[1] والنُمْرُق والنُّمْرُقة والنِّمْرِقَة ، بالكسر : الوسادة ، وقيل : وسادة صغيرة[2] وقيل مصفوفة لأنّ بعضها بجنب بعض[3] وجاءت لفظة النّمارق في مجزوء الرّجز الّذي غنّت فيه هند بنت عتبة وصاحباتها في غزوة أُحُد لتحريض الكافرين على القتال . تقول :

إن تقبلـــوا نُعـــانِقْ ونَفْـــرِش النّمـــارقْ
أو تُدْبِرُوا نُفارِقْ فِراق غَيْرِ وامِق[4]

وزرابيّ مبثوثة : الزّرابيّ البُسُط ، وقيل : كلُّ ما بُسِط واتُّكِيءَ عليه ، وقيل : هي الطَّنافِس . والواحد من كلّ ذلك زَرْبِيَّة ، بفتح الزّاي وسكون الرّاء[5] والطّنافِس جمع الطِّنفيسة بِكسر الطّاء والفاء ، والطُّنفُسة بضمّ الطّاء والفاء ، قيل : هي البساط الّذي له خَمْلٌ رَفِيق[6]

وفي مقابل وجوه أولئك الكافرين ثمّة وجوهٌ للمؤمنين في يوم القيامة ناعمةٌ فهي ذات نعمة دائمة ، ولين عيشٍ مقيم ، في جنّات النّعيم . وأولئك المؤمنون عن سعيهم وعملهم في الحياة الأولى راضون ، وقد نالوا الثّواب العظيم ، والخير العميم ، في جنّةٍ عالية المكان والمكانة ، ولا تسمع نفسٌ واحدةٌ منهم كلمةَ لَغْوٍ واحدة ، واقلَّ قدرٍ من باطل القول وساقطه . وفي الجنّة عينٌ جاريةٌ وَفْقَ المطلوب ، فهي لا تغيضُ ولا تَفِيض ،

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٥٨/٣ .
(٢) لسان العرب : "نمرق" .
(٣) تفسير الطّبري ١٠٤/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٥٨/٣ .
(٤) السّيرة النّبويّة لابن هشام ٧٢/٣ (حلبي تصوير بيروت) والوامق : المحبّ .
(٥) انظر لسان العرب : "زرب" .
(٦) انظر لسان العرب : "طنفس" .

وفيها سُرُرٌ مرفوعةٌ لأولئك المتقين ، كي يَتَمَلَّوْا ذلك النّعيم المقيم ، والملك الكبير ، وعلى حافّة تلك العين لجارية أو العيون ، أباريق لا آذان لها ، كي يغترفوا من الماء ما طلبوا من الشّراب ما أَحَبُّوا . هذا إلى النّمارق المصفوفة ، والوسائد المرتّبة ، والزّرابيّ المبثوثة ، والبُسُط الكثيرة المنتشرة ، ذات المنظر الأنيق ، والخَمْل الرّقيق ، وهو ما يكون كالزَّغَب على وجه الطِّنفِسة ، وهو أصل النّسج .

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾

أفلا ينظر كفّار مكّة ومن لفّ لفّهم من منكري البعث إلى الإبل كيف خلقها الله تعالى بهذه الضّخامة وعل هذه الكيفيّة لتحقيق الغرض الّذي خلقها الله تعالى وخلق سواها من أجله . إنّها تجمع إلى القوّة ، بحيث إنّ البعير ينهض قائماً بالحمل الثّقيل على ظهره ، ولولا ذلك لصعب رفع الأثقال على ظهره قائماً ، إنّها تجمع إلى القوّة اللّينَ والطّواعية . إنّ طفلاً صغيراً يستطيع بإذن الله تعالى أن يقود قافلةً من لعير سَيْراً وقياما. ولا ننسى أنّ الجمل هو الحيوان الضّخم الوحيد الّذي استطاع بإذن الله تعالى خلال تاريخ الإنسانيّة الطّويل أن ينجو من الانقراض من بين الحيوانات الكُثْر الضّخام الّتي انقرضت خلال العصور وغدت أثراً بعد عَيْن . وإذا كان من أسباب انقراض تلك الحيوانات ، فيما يبدو ، والله أعلم ، ضخامتها وحاجتها إلى الكثير من الطّعام والشّراب، فإنّ الجمل استطاع بإذن الله تعالى أن يحتفظ ببقائه بسبب ضخامته وقوّته اللّتين ساعدتاه على مقاومة الحيوانات المفترسة ، هذا إلى قوّة صبره على العطش والجوع ، لذا لقّب الجمل بسفينة الصّحراء . إنّه –مثلاً– يستطيع أن يصبر عن الماء شهراً كاملاً . وحينما يجوع ولا يجد الطّعام يقتات شحم سَنامِه . وإنّما كان الحثّ على النّظر إلى خلق الإبل ابتداءً لشدّة عَلاقَةِ العربيّ بالبعير . والمعروف أنّ العربيّ يعرف البعير وقت السِّلْم بِأَكْثَرَ مِمّا يعرف أيّ حيوانٍ آخر ، ويعرف الفرس وقت الحرف بأكثر ممّا يعرف أيّ حيوان آخر . ولأجل ذلك تقدّمت معرفة العربيّ هذين الحيوانين معرفته لأيّ حَيَوانٍ سواهما .

ويتحوّل السّياق من الحثّ على النَّظَر إلى الإبل كيف خُلِقَتْ إلى الحثّ على النّظر إلى السّماء كيف رُفِعَتء بيد القدرة الإلهيّة ، وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ كالخيام لئلاّ تَمِيدَ الأرض بالنّاس وتضطرب ، وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ وبُسِطَت وكانت مقدّرة الانحدار في امتدادها ولولا ذلك لاستحالت الحياة عليها فنحن –مثلاً نستفيد من الأنها التي تتّجه كلّها إلى الماء المِلْح ، ولولا الانحدار المضبوط للأرض لكنّ بِصَدَدِ شَلاّلاتٍ يتّجه معها الماء العذب إلى البحر على الفور . وحينما نتحوّل من عنصرٍ إلى آخر من هذه العناصر الأربعة نتبيّن أنّنا حسّاً ومعنى نقوم برحلةٍ دائريّةٍ لطِيفةٍ تكتمل معها الدّائرة . إنّ ثمّة انتقالاً من جملٍ عالٍ إلى سماءٍ عاليةٍ إلى جبلٍ عالٍ إلى أرضٍ مبسطة. إن الانتقال من الإبل إلى السّماء لا يعرّج على الجبال . وإنّ الانتقال من السّماء إلى الأرض يعرّج على الجبال . وبذلك تكمل الدّائرة كما تبيّن . وكأنّ تحوّل النّظر من الإبل إلى السّماء يَشِى بنشاط البصر وقوّته في أوّل الشّوط . وكأنّ تحوّل النّظر من السّماء إلى الجبال يَشِى بانقلاب البصر خاسئاً حسيراً في نهاية الشّوط . إنّه يحطّ على الجبال ، وكأنّه يرتاح بعد تَعَب ، ويَلْتَقِطُ أنفاسه بعد لَهَث . وبعد ذلك ما أسهل التّحوّل بالنّظر من الجبال المنصوبة إلى الأرض المبسوطة . إنّ التّحوّل بالنّظر من السّماء إلى الأرض مروراً بالجبل ذكّرني ، ولا أعرف السّبب ، بذلك المقابل الّذي قفز من الطّائرة بِمِظَلّتِه ، وحاول جاهداً أن يَفْتَحها فاسْتَعْصَتْ عليه . وحينما كاد يلامس الأرض عَلِقَتْ مِظَلَّتُهُ بغصن شجرةٍ امتصّ بإرادة الله تعالى قوّة الاندفاع إلى الأرض ، فنزل المقاتل إلى الأرض بسلام . إنّ هذه الحادثة حقيقة وليست من ضَرْبِ الخَيال .

إنّ المطلوب من كفّار مكّة ومن شاكَلَهُمْ من منكرى البعث أن ينتهوا من هذه النّظرة الدّائريّة ، والرّحلة الممتعة بالبصر والبصيرة بين السّماء والأرض أن ينتهوا إلى أنّ القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الخلق عَوْدَةً . وهذه هي حقيقة البعث بعد الموت فعليهم أن يؤمنوا بهذه الحقيقة وان يعملوا لما بعد الموت .

فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم
بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ
ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

يؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يذكّر الكافرين بما أَوْحَى الله تعالى إليه من قرآنٍ كريم تُبَيّنُهُ سنّته عليه الصّلاة والسّلام الموحى بها هي كذلك من ربّ العالمين ، فليس عليه صلّى الله عليه وسلّم سوى البلاغ والموعظة ، وليس صلّى الله عليه وسلّم بِمُسَيْطِرٍ على الكافرين ولا بجبّار فإنّ الله تعالى لمّا يأذن للمؤمنين بقتال الكافرين . أَمّا من تَوَلَّى بِجَسَدِه بعد كلّ هذه الصُّوَرِ من البلاغ وكَفَرَ بقلبه فإنّ الله سبحانه وتعالى هو وَحْدَهُ لا شريك له الّذي يعذّبه العذاب الأكبر يوم القيامة في نار جهنّم . وتُخْتم السّورة الكريمة بتقرير الحقيقة بأنّ إلى الله تعالى إيابَ الخلائق بعد الموت ورُجُوعَهُمْ إليه يوم القيامة ، وبأنّ على الله تعالى ، الّذي لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّة ، حسابَهُمْ ، ثوابَهُمْ أو عِقابَهُمْ .[1]

سورة الفجر

سورة الفجر المكّيّة[1] تُعْنَى بالبعث بعد الموت وبالحثّ على عمل الصّالحات في الأولى من أجل الحياة الطّيّبة في كلٍّ من الأَولَى والآخرة . إنّ ربّ العزّة يقسم بالفجر الّذي يشقّ أديم الظّلام والصّبح الّذي يبدأ به النّهار وبليالي عشر ذى الحجّة الّتي تنتهي بيوم عيد الأضحى ، وبكلّ شفعٍ وزوجٍ واثنين ، وكأنّ الزّوجيّة أو الثّنائيّة القانون الّذي فطر الله تعالى الخلق بموجبه ، وبكلّ وِترٍ وفردٍ وواحد ، والمعروف أنّ الواحد أو الفرد على الحقيقة هو الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . كما يقسم ربّ العزّة باللّيل الّذي يسير حتّى يُسْلِمَ إلى الفجر أو الصّبح . ويطرح السّياق سؤالاً : هل فيما ذُكِرَ قَسَمٌ لذي حِجْر وعَقْلٍ ولبٍّ وحِجا . والمعنى أنّ ذلك كافٍ وشافٍ ومغنٍ عمّا وراء ذلك من قَسَمٍ أغلَظ . وجواب القَسَم محذوفٌ لأنّه معروف ، تقديره : لتبعثنّ يا أهل مكّة .

ولمّا كان كفّار مكّة ليسوا أشدّ الطّغاة قوّةً وبطشاً فإنّ السّياق يتحوّل إلى مصير بعض الطّغاة السّابقين الّذين دمّر الله تعالى عليهم تدميرا . إنّ السّياق يسأل الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم : ألم تر بعين البصيرة كيف فعل ربّك بعادٍ قوم هود عليه السّلام أصحاب مدينة إرَم الرّفيعة البناء على العُمُد في جنوب جزيرة العرب ، تلك المدينة الّتي لم يُخْلَق مثلها في البلاد من الوِجْهَةِ المادّيّة ولكنّها في الحضيض من الوِجْهَةِ الرّوحيّة لأهلها . ألم تر كيف فعل ربّك يا محمّد بثمود قوم صالحٍ عليه السّلام الّذين قطعوا الصّخر بوادى القرى في شمال جزيرة العرب واتّخذوا من الجبال بيوتاً ، وبفرعون الّذي

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٠٥/٤ وتفسير القرطبي ٧١٢٨ والبحر المحيط ٤٦٥/٨و ٤٦٧ .

يَتِدُ الأوتاد لمن يريد تعذيبه . إنّ كلّ أولئك قد طغوا في البلاد وبَغَوْا ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ والله تعالى لا يحبّ الفساد ، فصبّ عليهم ربّك يا محمّد سوط العذاب وأشقّه صَبّاً ، وأَخَذَهُمْ أَخْذاً أليماً شديدا . إنّ ربّك يا محمّد لبالمرصاء يَرْصُدُ من كفر به وصدّ عنه بالعذاب الأليم .[1]

إنّ جنس الإنسان غَيْرِ الموصول بالله تعالى إذا ما اختبره الله النَّعْماءِ فأكرمه بالمال ونَعَّمَهُ فيقول في فخرٍ وكفر : لقد أكرمنى ربّى . وأمّا إذا ما اختبره الله تعالى بالضّرّاء فضيّق عليه رزقه فيقول من هلعٍ وجزعٍ : لقد أهاننى ربّى . ولمّا كانت حقيقة الكرامة بطاعة الله عالى ، وحقيقة الإهانة بمعصية الله تعالى ، وليس بالمال إعطاءً ومنعاً ، فإنّ السّياق يصرّح بذلك ويقول : كلاّ ليس الأمر كما يزعم ذلك الإنسان غير الموصول بالله تعالى ، بل الحقيقة أنّكم يا من تتّصفون بصفاته لا تُكْرِمُونَ اليتيم ، ولا يحضّ على إطعام المسكين وإعطائه حَقَّه ، وتأكلون الميراث أكلاً جامعاً مانعاً ، وتحبّون المال حبّاً كثيراً شديدا .

ولمّا كان هذا الجنس الكفور قد أخطأ الطّريق فإنّ السّياق يرشد إلى الصّراط المستقيم ويحثّ على العمل لما بعد الموت فيقرّر أنّ الأرض إذا دكّت دكاً دكاً ، وزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً شديدةً عنيفة ، إيذاناً بقيام السّاعة ، وجاء أمر ربّك يوم القيامة والمَلَكُ يقفون صفّاً صفّا ، وجاء الملائكة الغلاظ الشّداد بجهنّهم يجرّونها ، في ذلك اليوم يتذكّر الإنسان الكفور تفريطه في جنب الله تعالى : ﴿وأنّى له الذّكرى﴾ وأنّى للذّكرى والموعظة أن تنفعه وهو في الحياة الأخرى حياة الجزاء ولا عمل . إنّه يندم ولات ساعة مندم ويقول : يا ليتنى قدّمت في دنياي أعمالاً صالحةً لحياتي الآخرة . إنّ ربّ العزّة والجلال لا يعذِب مثل عذابه

أحدٌ من النّاس في الدّنيا ، ولا يوثق أحدٌ مثل وَثاقِه جلّ وعلا . أمّا النّفس المؤمنة المطمئنة فتأمرها الملائكة ساعة الموت بأن ترجع إلى ربّها جلّ وعلا راضيةً بثوابها مرضيّاً عنها ، وبأن تدخل يوم القيامة في جملة عباده جلّ وعلا الصّالحين وفي الجنّة الّتي فيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

والفجر : الفَجْر في الأصل شقّ الشّيء شقّاً واسعاً ، ومنه قيل للصّبح فجر لكونه فَجَر اللّيل وشقّ ظلامه . والفجور : شقّ سِتْر الدّيانة[١] .

وليالٍ عشر : عن ابن عبّاس قال : إنّ اللّيالي العَشْرَ الّتي أَقْسَمَ الله بها هي ليالي العَشْر الأُوَل من ذى الحجّة[٢] .

والشّفع والوتر : الشّفع ضمّ الشّيء إلى مثله . ويقال للمخلوقات شَفْع : ﴿والشّفع والوَتَر﴾ قيل الشّفع المخلوقات من حيث إنّها مركّبات ، كما قال : ﴿ومن كلّ شيءٍ خلقنا زوجين﴾ والوَتْر هو الله مِنْ حيث إنّ له الوَحْدَةَ من كلّ وجه[٣] والوَتْر في العدد خلاف الشّفع[٤] وفي الصّحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلاّ واحدا ، من أحصاها دخل الجنّة وهو وترٌ يحبّ الوتر[٥] وقد اختلف القرّاء في الوتر : فقرأ الأعمش والحسن البصريّ : الوِتْر مكسورة الواو ، وكذلك قرأ ابن عبّاس وقرأ السُّلَمِيّ وعاصم وأهل المدينة : الوَتْر بفتح الواو ، وهي لغة حجازيّة[٦]

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "فجر" ٣٧٣ .
(٢) تفسير القرطبي ١٠٧/٣٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "شفع" ٢٦٣ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "وتر" ٥١١ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٤ .
(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٠/٣ .

واللّيل إذا يسر : واللّيل إذا سار فذهب . يقال منه سَرَى فلانٌ ليلاً يسرى إذا سار[١] عن ابن عبّاس : إذا ذَهَبَ[٢] عن ابن زيد : إذا يسير[٣]

هل في ذلك قَسَمٌ لذى حِجْر : لذى حِجا وذى عقل . يقال للرّجل إذا كان مالكاً نفسه قاهراً لها ضابطاً : إنّه لذو حِجْر . ومنه قولهم : حجر الحاكم على فلان[٤] عن ابن عبّاس في قوله : لذى حجر ، قال : لذى النُّهى والعقل[٥] واللّبّ والحِجا[٦] والحَجْر والتَحجير أن يُجْعَلَ حول المكان حجارة . يقال حَجَرْتُهُ حَجْراً فهو محجور ، وحجّرته تحجيراً فهو مُحَجَّر . وسمّي ما أحيط به الحجارةُ حِجْراً ، وبه سمّي حِجْر الكعبة وديار ثمود . قال تعالى[٧] ﴿ولقد كذّب أصحاب الحِجْر المرسلين﴾ وتُصوِّر من الحَجْر معنى المنع لما يحصل فيه فقيل للعقل حِجْر لكون الإنسان في مَنْعٍ منه ممّا تدعو إليه نفسه[٨] وإنّما عَنَى بذلك أنّ في هذا القَسَم مكتفًى لمن عَقَل عن ربّه ممّا هو أغلظ منه في الأقسام[٩] .

يقسم ربّ العزّة بفجر كلّ ليلة ، يَشُقُّ فيها الصّبح بنوره أديم الظّلمات ، وبليالى عشر ذي الحجّة الّتي تنتهي بيوم عيد الأضحى ، كما قاله ابن عبّاس وابن الزّبير

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .
(٦) انظر تفسير الطّبري ٣٠/١١١ .
(٧) سورة الحجر ٨٠ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حجر" ١٠٨ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/١١٠ .

ومجاهد وغير واحدٍ من السّلف والخلف . وقد ثبت في صحيح البخارى عن اسن عبّاس مرفوعاً : ما من أيّام العمل الصّالح أحبّ إلى الله فيهنّ من هذه الأيّام ، يعنى عشر ذى الحجّة . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلاّ رجلاً خرج بنفسه وماله ثمّ لم يرجع من ذلك بشىء[1] كما يقسم ربّ العزّة بالشفع وهو كُلُّ شيءٍ يُضَمُّ إلى مثله ، وكُلُّ زوجٍ يُضَمُّ إلى زوجه ، فبعد أن كان واحداً وفرداً ووتراً ، أصبح زوجاً وشفعاً ، وقد قال عزّ من قائل[2] : ﴿ومِنْ كلّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون﴾ فالثّنائيّة أو الزّوجيّة بإرادة الله تعالى قانون كلّ المخلوقات ، فلم يبق وتراً وواحداً وفرداً سوى الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد . وبهذا يكون الوتر في الظاهر مرتبطاً بالمخلوقات ، وفي الحقيقة يكون مقصوراً على الذّات العَلِيَّة وَحْدها دون سواها وقد جاء في الصّحيحين من رواية أبي هريرة عن رسو الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلاّ واحدا ، من أحصاها دخل الجنّة ، وهو وترٌ يحبّ الوتر[3] كما يقسم ربّ العزّة بالوتر والواحد والفرد ، وباللّيل إذا يسرى ويذهب ويسير . هل في ذلك قَسَمٌ كافٍ لكلّ ذِى حِجْر وعَقْل ، شافٍ لكلّ ذى حِجاً ولُبّ . إنّ في هذا القَسَم الغَناءَ والكفاية عمّا وراءه من أيّ قسم آخر أغلظ منه . وجواب القَسَم محذوف أي لتعذّبنّ يا كفّار مكّة[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٥ .
(٢) سورة الذّاريات ٤٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٠٥ .
(٤) الجلالين .

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤

ألم تر كيف فعل ربّك بعاد : ألم تنظر يا محمّد بعين قلبك فترى كيف فعل ربّك بعاد[١] وهؤلاء عادٌ الأولى الّذين بَعَثَ الله تعالى فيهم هوداً عليه السّلام[٢] وقد كانت مساكنهم باليمن بين عُمان وحضرموت[٣] بالأحقاف وهي جبال الرّمل[٤] .

إرم ذات العماد : قيل إرم مدينة[٥] واسم بلدة[٦] والعِماد بكسر العين : ما أقيم به . وعمدت الشّيء فانعمد أي أقمته بعمادٍ يعتمد عليه . والعِماد : الأبنية الرّفيعة ، يذكّر ويؤنّث . الواحد عِمادة[٧] وقيل : ﴿ذات العماد﴾ أي ذات الأبنية المرفوعة على العُمُد[٨] وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور . قال ابن زيد ﴿ذات العماد﴾ ذات إحكام البنيان بالعُمُد[٩] وقال الضّحّاك : ﴿ذات العِماد﴾ ذات القوّة والشّدّة ، مأخوذةٌ من قوّة الأعمدة، دليله قوله تعالى[١٠]:﴿فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ

---

(١) تفسير الطّبرى ١١١/٣٠ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٠٧/٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢٢٥/٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٢ .
(٥) معجم البلدان : "إرم" .
(٦) تفسير الطّبري ١١١/٣٠ .
(٧) لسان العرب : "عمد" .
(٨) العُمُد بضمّتين جمع عمود .
(٩) تفسير القرطبى ٣٥/ ٧ .
(١٠) سورة فصّلت ١٥ .

وقالوا من أشدّ منّا قوّة . أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّةً وكانوا بآياتنا بجحدون﴾[1] وقوله تعالى : ﴿إرم ذات العماد﴾ قيل : معناه أي ذات الطّول . وقيل : أي ذات البناء الرّفيع . وقيل : أي ذات البناء الرّفيع المُعْمَد ، وجمعه عُمُد (بضمّتين) والعَمَد (بفتحتين) اسمٌ للجمع[2]

الّتي لم يخلق مثلها في البلاد : قالوا : ﴿الّتي لم يخلق مثلها﴾ من صفة ذات العماد . والهاء الّتي في مثله إنّما هي من ذكر ذات العماد[3] وقيل : أي لم يُخْلَق مثل أبنية عاد المعروفة بالعمد . فالكناية للعماد . والعماد على هذا جمع عُمُد[4] قال تعالى[5] : ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إنّ أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾ والأحقاف هي جمع حِقْف وهو ما انعطف من الرّمل وانحنى[6]

وثمود الّذين جابوا الصّخر بالواد : إذا كانت عاد في جنوب الجزيرة العربيّة فإنّ ثمود في شمال الجزيرة العربيّة . وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشّام إلى وادى القرى وما حوله[7]وقد أرسل الله تعالى لهم صالحاً عليه السّلام. قال تعالى[8]: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ وتُسَمّى ديار ثمود حاليّاً العُلا أو مدائن صالح . ومعنى جابوا ، قطعوا[9]

---

(١) تفسير القرطبي ٧١٣٦ .
(٢) لسان العرب : "عمد" .
(٣) تفسير الطّبري ١١٣/٣٠ .
(٤) تفسير القرطبي ٧١٣٧ .
(٥) سورة الأحقاف ٢١ .
(٦) تفسير الطّبري ١١٣/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ١٥٧/٨ .
(٨) سورة الأعراف ٧٣ .
(٩) الجلالين .

والجَوْب قطع الجَوْبة وهي كالغائط من الأرض ثمّ يستعمل في قطع كلّ أرض . وجواب الكلام هو ما يَقْطَع الجوب فيصل من قم القائل إلى سمع المستمع ، لكن خُصَّ بما يعود م الكلام دون المبتدأ من الخطاب[١] والجَوْب : قطعك الشّيء كما يجاب الجيب[٢] ومعنى : ﴿جابوا الصّخر﴾ خرقوا الصّخر ، فاتّخذوه بيوتاً[٣] يعنى يقطعون الصّخر بالوادى . قال ابن عبّاس : ينحتونها ويخرقونها . وكذا قال مجاهد وقتادة والضّحّاك وابن زيد[٤] واجتاب الثَّوبَ إذا فتحه ومنه الجَيْب أيضاً[٥] والمراد بالواد وادى القرى[٦]

وفرعون ذى الأوتاد : كان يَتِدُ أربعة أوتادٍ يشد غليها يدي ورجلي من يعذّبه[٧]

فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب : السّوط : الجِلْدُ المضفور الّذي يُضْرَب به . وقوله : ﴿فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب﴾ تشبيهاً بما يكون في الدّنيا من العذاب بالسّوط[٨] وإنّما كانت نِقَماً تنزل بهم إمّا ريحاً تدمّرهم ، وإمّا رَجْفاً يدمدم عليهم ، وإمّا غرقاً يهلكهم من غير ضربٍ بسوطٍ ولا عصا ، لأنّه كان من أليم عذاب القوم الّذين خوطبوا لهذا القرآن الجلد بالسّياط ، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الّذي يعذَّب به الرّجل منهم أن يقولوا : ضُرِب فلانٌ حتّى بالسّياط ، إلى أن صار ذلك مثلاً ، فاستعملوه في كلّ معذَّبٍ بنوعٍ من العذاب شديد وقالوا : صبّ عليه سوط عذاب[٩] .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "جوب" ١٠٢ .
(٢) لسان العرب : "جوب" .
(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٦١/٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٨٠٥/٤ .
(٥) تفسير ابن كثير ٨٠٥/٤ .
(٦) الجلالين .
(٧) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ١١٤/٣٠ .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سوط" ٢٤٨ .
(٩) تفسير الطّبري ١١٥/٣٠ .

إنّ ربّـك لبالمرصـاد : المِرْصـاد : المكـان الّـذي يُرْصَـدُ فيـه العـدوّ[1] والمَرْصَـد والمِرصاد عند العرب الطّريق . قال الله عزّ وجلّ : ﴿واقعدوا لهم كلّ مرصد﴾ قال الفرّاء : معناه واقعدوا لهم على طريقهم إلى البيت الحرام ، وقيل : معناه أي كونوا لهم رَصَداً لتأخذوهم في أيّ وجهٍ توجّهوا . قال أبو منصور : على كلّ طريق . وقال عزّ وجلّ : ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾ معناه لبالطّريق أي بالطّريق الّذي ممرّك عليه . وقال الزّجّاج : أي يرصد من كفر به وصدّ عنه بالعذاب[2] .

ألم تر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم بعين البصيرة كيف فَعَلَ رَبُّكَ الّذي ربّاك بنعمه وآلائه بعادٍ قوم هودٍ عليه السّلام الّذين كانوا بالأَحْقافِ وكُثْبانِ الرّمل باليمن بين عُمان وحضرموت ، وكيف دمّر عليهم مدينة إرم ذات القصور الشّاهقة ، والمنازل العالية ، والأبينة الرّفيعة المرفوعة على الأعمدة القويّة السّامقة ، تلك المدينة الّتي لم يُخْلَق مثلها آنذاك في البلاد ، ولم يوجد نظيرٌ لها في سائر أنحاء الأرض جمالاً وبهجة ، وزينةً وحُسْنا . ألم تر كيف فعل ربّك بثمود قوم صالحٍ عليه السّلام الّذين كانوا بالحِجْر والعلا ومدائن صالح في شمال الجزيرة العربيّة ، والّذين قطعوا الصّخر بوادى القرى واتّخذوا من الجبال بيوتاً آمنين ، والّذين أخذتهم صاعقة العذاب المهين بما كانوا يكسبون من آثام ، وكيف فعل ربّك بفرعون مصر الطّاغية ذى الأوتاد الّذي كان يضرب أربعة أوتاد لكلّ من يُعَذِّب من الذّكور والإناث يَشُدُّ إليها يدي من يعذّب ورجليه . لقد طغا كلّ أولئك في بـــلاد الله تعـــالى ، فـــأكثروا فيهـــا الفســـاد قـــتلاً وتعـــذيباً

---

(١) لسان العرب : "رصد" .
(٢) انظر لسان العرب : "صد"

وتشويهاً وإيذاءاً ، فصبّ عليهم ربّك جلّ وعلا سَوْطَ عذاب ، وأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر : ﴿فكلاًّ أخذنا بذنبه . فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصّيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليكلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[1] إنّ ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لبالمرصاد للكافرين ، يَرْصُدُ من كفر به وصدّ عنه بالعذاب الشّديد والأخذ الأكيد .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٠ .

فَأَمَّا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ
عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا
لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾

إذا ما ابتلاه ربّه : إذا ما امتحنه ربّه بالنِّعَم والغِنَى[١]

فيقول ربّي أكرمن : أكرمني بهذه الكرامة[٢]

وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه : وأمّا إذا ما امتحنه ربّه بالفقر فضيّق عليه رزقه وقتّره فلم يكثر ماله ولم يوسّع عليه[٣]

فيقول ربّي أهانن : أذلّني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه من العافية في جسمه[٤]

كلاّ بل لا تكرمون اليتيم : كلاَّ إنّي لا أُكرِمُ من أَكْرَمْتُ بكثرة الدّنيا ولا أُهِينُ من أَهَنْتُ بقلّتها ، ولكن إنّما أُكْرِمُ من أَكْرَمْتُ بطاعتي وأُهِينُ من أَهَنْتُ بمعصيتي[٥]

ولا تحاضّون على طعام المسكين: ولا يحضّ بعضكم بعضاً على طعام المسكين[٦].

وتأكلون التّراث : وتأكلون أيّها النّاس الميراث[٧]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٠/١١٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٠/١١٥ .
(٣) انظر تفسير الطّبري ٣٠/١١٥ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٠/١١٦ .
(٥) تفسير الطّبري ١١٦ .
(٦) تفسير الطّبري ٣٠/١١٦ ومعاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦١ .
(٧) تفسير الطّبري ٣٠/١١٧ .

أكلاً لمّا : يعني أكلاً شديداً لا تتركون منه شيئاً . وهو من قولهم : لممت ما على الخِوان أجمع ، فأنا أَلُمُّهُ لَمّاً إذا أكلت ما عليه فأتيت على جميعه[1]

وتحبّون المال حبّاً جمّا : حبّاً كثيراً شديداً ، من قولهم : قد جمّ الماء في الحوض إذا اجتمع . ومنه قول زهير بن أبي سُلْمَى :

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضَرِ المُتَخَيِّم[2]

إنّ جنس الإنسان غَيْرِ الموصول القلب بالله تعالى له مقياسه المادّيّ المضطرب . إنّ هذا الإنسان إذا ما اختبره الله تعالى وامتحنه بالنَّعْماءِ فأكرمه ونعّمه بالعافية في البدن، والسّلامة في الأهل ، وبالمال الوفير ، والجاه العريض ، والمنصب الكبير فيقول إنّ ربّي قد أكرمني حينما جعل الدّنيا تقبل عليّ وتخضع لي . أمّا إذا ما اختبره الله تعالى وامتحنه بالمال القليل والرّزق الضّيّق فيقول إنّ ربّي قد أهانني وأذلّني حينما جعل الدّنيا تدبر عنّي والمال لا يقع في يديّ إلاّ بالقدر الضّروريّ والعدد المحدود .

ولمّا كان هذا المقياس المادّيّ مضطرباً وغير دقيقٍ وغير صحيح . لأنّ المال ليس كلّ شيء ، فربّما تمنّى المال الكامِلُ الصِّحَّةِ المَوْفُورُ العقل ورغم ذلك فإنّه هو لا يفكّر إلاّ في المال ، لكلّ ذلك يُصْلِحُ السّياق مِنِ اضْطرابِ المقياس ، ويُقَوِّمُ من اعوجاج النّفس فيقول : كلاّ ، ليس الأمر كما ذهب هذا الإنسان المادّيّ إليه من كون الإكرام يقاس بالتّمكين من المال والإهانة بعدم التّمكين منه . إنّ الإكرام بطاعة الله تعالى والإهانة بمعصية الله تعالى . ومن مظاهر إهانة الإنسان نفسه وعدم إكرامه إيّاها أنّه

---

(١) تفسير الطّبري ١١٧/٣٠ وانظر لسان العرب : "لمم" ومعاني القرآن للفرّاء ٢٦٢/٣ .
(٢) تفسير الطّبري ١١٧/٣٠ وانظر لسان العرب : "جمم" .

لا يمتثل لأمر الله تعالى بإكرام اليتيم ، ولا يَخُصُّ بعضنا بعضاً على إطعام المسكين الّذي اسكنه الفقر ومنعه من الحركة وفرض عليه السّكون ، وربّما اقترن بالفقر عِلّةٌ أخرى أو عللٌ أُخَر . هذا إلى أنّنا لا نمتثل لتوجيهات الدّين الحنيف بالإقبال على الآخرة ولا مانع من الأخذ من الدّنيا بنصيبٍ معقول ، بل نخالف تلك التّوجيهات فنأكل الميراث أكلاً لمّاً شديداً فنأتي على جميعه ولا نترك منه شيئاً ، ونمنع ذا الحقّ حقّه ، ونحبّ المال وجمعه وادّخاره حبّاً كثيراً شديدا . إنّ العمل الصّحيح هو الإقبال على الآخرة وعدم نسيان الإنسان نصيبه من الدّنيا وليس الإقبال على الدّنيا ونسيان الآخرة .

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ
دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ
يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ
﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ
عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ
ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

كلاّ : ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر[١]

إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً : إذا رُجَّتْ وزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً وحُرِّكَتْ تحريكاً بعد تحريك[٢] والدّكّ هدم الجبل والحائط ونحوهما ، دكّه يدكّه دكّا[٣] ودكّ الأرض دكّاً : سوَّى صعودها وهبوطها ، وقد اندكّ المكان . ودكّ التّرابَ يدكُّه دكّاً كبسه وسوّاه[٤]

وجاء ربّك : وجاء أمر ربّك[٥]

والملك صفّاً صفّا : حال ، أي مصطفّين ، أو ذَوِى صُفُوفٍ كثيرة[٦]

وجيء يومئذٍ بجهنّم : رَوَى الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يُؤْتَى بجهنّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملكٍ يجرّونها . وهكذا رَواهُ التّرمذي[٧]

---

(١) تفسير الطّبري ١١٨/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ١١٨/٣٠ .
(٣) لسان العرب : "دكك" .
(٤) لسان العرب : "دكك" .
(٥) الجلالين .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير ابن كثير ٥١٠/٤ .

وأنّى له الذّكرى : يقول : منْ أيّ وجهٍ له التّذكير[١] عن ابن عبّاس ، قوله : ﴿وأنّى له الذّكرى﴾ يقول : وكيف له[٢] والاستفهام بمعنى النّفي ، أي لا ينفعه تَذَكُّرُهُ ذلك[٣]

يقول يا ليتنى قدّمت لحياتي : لا ليتنى قدّمت لآخرتي الّتي فيها الحياة والخلود[٤] ويا ليتنى قدّمت الخير والإيمان لحياتي الطّيّبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدّنيا[٥] ويا ليتنيى قدّمت لحياتي في الدّنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه الّتي لا موت بعدها ما يُنَجِّينِي من غضب الله ويوجب لي رضوانه[٦]

يا أيّتها النّفس المطمئنّة يعنى بالمطمئنّة الّتى اطمأنّت إلى وعد الله الّذي وعد أهل الإيمان به في الدّنيا من الكرامة في الآخرة فصدّقت بذلك[٧]

ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيّة : يخبر تعالى ذكره عن قِيل الملائكة لأوليائه[٨] عند الموت أي ارجعي إلى أمره وإرادته[٩] أو يوم القيامة[١٠] ﴿راضيةً﴾ عند الله بعملك ، أي جامعةً بين الوصفين وهما حالان

فادخلي في عبادى:يقال لها هذا يوم القيامة فادخلي في جملة عبادى الصّالحين[١١]

---

(١) تفسير الطّبري ١٢٠/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ١٢٠/٣٠ .
(٣) الجلالين .
(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٢/٣ .
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير الطّبري ١٢٠/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ١٢٠/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبري ١٢١/٣٠ .
(٩) الجلالين وانظر تفسير الطّبري ١٢٢/٣٠ .
(١٠) تفسير الطّبري ١٢١/٣٠ .
(١١) الجلالين .

وادخلي جنّتي : معهم

كلاّ ما ينبغى أن يكون الأمر هكذا والحال في هذه الصّورة من إيثار العاجلة على الآجلة . إنّ الأرض إذا دُكَّتْ دَكّاً قَوِيّاً ، وزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً شديدةً ، وحُرِّكَتْ تَحْريكاً عَنيفاً ، دليل قيام السّاعة ، وجاء أمر ربّك يوم القيامة والملائكة قائمون صُفُوفاً ، وجاء الملائكة الغلاظ الشّداد بجهنّم يجرّونها إلى حيث شاء الله تعالى ، يومئذٍ يتذكّر الإنسان الّذي شَطَّ عن الصّراط المستقيم تقصيره في جنب الله تعالى : ﴿وأنّى له الذّكرى﴾ ؟ ومِنْ أَيِّ وَجْهٍ له التّذكير وكيف له أن تنفعه الذّكرى وقد فات الأوان ولات ساعة مندم . إن ذلك الإنسان الّذي لا ينفعه ندمه على تقصيره في جنب الله تعالى يقول يا ليتنى قدّمت صالح العمل في الحياة الأولى العاجلة الفانية ، لحياتي في الآخرة الآجلة الخالدة . في ذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود والموقف العصيب لا يُعَذِّبُ مثل عذاب الله تعالى أحدٌ في الحياة الدّنيا ولا يُوثِقُ مثل وَثاقِ الله تعالى أحدٌ من البشر . أمّا الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين فإنّ النّفس المؤمنة المطمئنّة تقول لها الملائكة عند الموت : اِرجعي إلى أمر ربّك راضيةً [1]بالثّواب الجزيل الّذي أعدّه الله تعالى لك ، مرضيّاً عنك عند الله تعالى بعملك الصّالح . ويوم القيامة يقال لها ادخلى في جملة عِبادى الصّالحين الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وادخلي جنّتي الّتي فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ، ولا خطر على قلب بشر .

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ١٢٢/٣٠ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ١٢٣/٣٠ والجلالين .
(٥) الجلالين .

سورة البَلَد

سورة البلد المكّيّة[1] تُعْنَى بما يُعْنَى به سائر المكّيّ من القرآن . يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال لا يقسم بهذا البلد الأمين مكّة المكرّمة حالة كون المصطفى صلّى الله عليه وسلّم حالاًّ ومقيماً بهذا البلد الحرام قبل الهجرة ، أو حلالاً وغير محرم حينما يُحِلُّ الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وسلّم مكّة المكرّمة عام الفتح ساعةً من نهار ، وإنّ ربّ العزّة لا يقسم كذلك بكلّ والدٍ بآدم عليه السّلام وما ولد بسبب وُضُوح المعنى وقُرْبِه. لقد خلق الله تعالى الإنسان في مشقّةٍ ونَصَب . وهذا الإنسان الكفور الكنود ايحسب أن لن يقدر عليه أحد . إنّه يعلن بأنّه أنفق مالاً كثيراً في الصّدّ عن سبيل الله تعالى سِرّاً وعَلانِيَة . أيحسب هذا الجنس من النّاس أن لم يره أحد . ألم يعلم هذا الإنسان بأنّ الله تعالى هو الّذي جعل له عينين يبصر بهما ، ولساناً ينطق به ، وشفتين ، وهو الّذي هداه إلى طريق الخير كي يسير فيه وإلى طريق الشّرّ كي يجتنبه ، فعليه أن يَقُومَ بما يجب عليه من شكرٍ لله تعالى على نِعَمِهِ وآلائه . إنّه لم يقطع العقبة الكئود . وما أدراك ما تلك العقبة! إنّها عتق الرّقبة من رقّ العبوديّة ، أو إطعامٌ في يومٍ ذي مجاعة ، يتيماً قريباً فيتصدّق عليه ويَصِلُه ، أو مسكيناً لَصِقَ بالتُّراب لفقره . وفوق كلّ ذلك كان من الّذين آمنوا وأَوْصَى بعضهم بعضاً بالصّبر وبالرّحمة . إنّ أولئك هم أصحاب الميمنة في الجنّة والّذين يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمالِهِمْ بأيمانهم . أمّا الّذين كفروا بآيات الله تعالى فإنّهم أصحاب المشأمة والشِّمال في النّار والّذين يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أعمالهم بشمائلهم . إن هؤلاء عليه نار جهنّم مغلَقةً ومُطْبَقَةً . والعِياذ بالله .

---

(١) انظر الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥١١/٤٠ والبحر المحيط ٤٧٢/٨ وتفسير القرطبي ٧١٤٩ والجلالين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ
وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن
لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾
أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾
وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ
ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ
إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ
مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

لا أقسم بهذا البلد : عن ابن عبّاس في قوله : ﴿لا اقسم بهذا البلد﴾ يعنى مكّة[1]

وأنت حلٌّ بهذا البلد : وأنت يا محمّد حلٌّ بهذا البلد يعنى بمكّة . يقول : أنت به حلال تصنع فيه مِنْ قَتْلِ من أرَدتَ قَتْلَه وأَسْرَ من أردت أَسْرَه ، مُطْلَقٌ ذلك لك . يقال منه : هو حِلٌّ وهو حَلال ، وهو حِرْم وهو حَرام ، وهو مُحِلٌّ وهو مُحْرِم ، وأحللنا وأحرمنا[2] وحلّ المحرم من إحرامه يَحِلّ حِلاًّ وحَلالاً إذا خرج من حِرْمه[3] ويقال للّذي هو في الأشهر الحرم : مُحْرِم ، وللّذي خرج منها مُحِلّ . ويقال للنّازل في الحرم : مُحْرِمُ ، والخارج منه: مُحِلّ[4] والحلّ: الرّجل الحلال الّذي خرج من إحرامه أو لم يُحْرِم

---

(١) تفسير الطّبري ١٢٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبري ١٢٤/٣٠ .
(٣) لسان العرب : "حلل" .
(٤) لسان العرب : "حلل" .

أو كان أحرم فحلّ من إحرامه . وفي حديث عائشة قالت : طيّبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لِحِلّه وحِرْمه . وفي حديثٍ آخر : لحِرْمه حين أحرم ولِحِلّه حين حَلَّ من أحرامه . وفي النّهاية لابن الأثير : لأحلاله حين أحلّ[1] ﴿أنت حل﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به أي فأنت مقيمٌ به . وهذا هو الظّاهر[2]

ووالدٍ وما ولد : عن ابن عبّاس : ﴿ووالدٍ وما ولد﴾ قال : هو الوالد وولده[3] و:"م" موصول في محلّ جرٍّ معطوف على "والد"[4]

لقد خلقنا الإنسان في كبد : لقد خلقنا ابن آدم في شدّةٍ وعَناءٍ ونَصَب[5] ومشقّة[6]

يقول أهلكت مالاً لبدا : يقول هذا الجليد الشّديد أهلكت مالاً كثيراً في عداوة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[7] عن ابن عبّاس : يعنى باللّبد المال الكثير[8] ولَبَد الشّيءُ يلبُدُ إذا رَكِبَ بعضُه بعضا[9] والملبِّ من المطر : الرَّشّ . وقد لبّد الأرض تلبيدا[10] وتلبّد الشّعرَ والصّوف والوَبَر والْتَبَد : تَداخَلَ ولَزِق . وكلّ شعر أو صوف مُلْتَبِدٍ بعضُه

---

(١) لسان العرب : "حلل" .
(٢) البحر المحيط ٤٧٤/٨ وانظر الدّرر ٤٧/٢٢ .
(٣) تفسير الطّبري ١٢٥/٣٠ .
(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤٧٩/١٣ .
(٥) تفسير الطّبري ١٢٥/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ١٢٥/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ١٢٦/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبري ١٢٧/٣٠ .
(٩) لسان العرب : "لبد" .
(١٠) لسان العرب : "لبد" .

على بعضٍ فهو لِبْد ولِبْدةٌ ولُبْدة[1] ولَبَّد شَعره : ألزقه بشيءٍ لزِجٍ أو صَمْغٍ حتّى صار كاللِّبْد ، وهو شيءٌ كان بفعله أهل الجاهليّة إذا لم يريدوا أن يحلقوا رءوسهم في الحجّ[2] واللِّبدة : الشَّعَر المجتمع على زُبْرَةِ الأَسَد وزُبرة الأسد[3] ، بضمّ الزّاي ، الشّعر على كاهله . وقيل : الزُّبرة موضع الكاهل على الكِتْفَيْن[4] وفي المثل : هو أمنع من لِبْدَةِ الأَسَد، والجمع لِبد مثل قِرْبة وقِرَب[5] .

وشفتين : يستعين بهما على الكلام و أكل الطّعام وجَمالاً لوجهه وفمه[6] .

وهديناه النّجدين : وهديناه الطّريقين . ونَجْدٌ طريقٌ في ارتفاع[7] عن ابن عبّاس : ﴿وهديناه النّجدين﴾ يقول : الهدى والضّلالة[8] وسبيل الخير والشّرّ[9] .

فلا اقتحم العقبة : فلم يركب العقبة فَيَقْطَعُها ويَجُوزُها[10] والاقتحام توسّط شِدّةٍ مُخِيفَة[11] والعقبة طريقٌ وَعْرٌ في الجبل[12]

فكّ رقبة : من الرّقّ واسر العبوديّة[13]رَوَى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) لسان العرب : "لبد" .
(٢) لسان العرب : "لبد" .
(٣) لسان العرب : "لبد" .
(٤) لسان العرب : "زبر" .
(٥) لسان العرب : "لبد" .
(٦) تفسير ابن كثير ٥١/٤ .
(٧) تفسير الطّبرى ١٢٧/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبري ١٢٧/٣٠ .
(٩) تفسير الطّبرى ١٢٧/٣٠ .
(١٠) تفسير الطّبري ١٢٨/٣٠ .
(١١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قحم" ٣٩٤ .
(١٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عقب" ٣٤١ .
(١٣) تفسير الطّبري ١٢٩/٣٠ .

عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : من أَعْتَقَ رَقَبَةً مؤمنةً أعتق الله بكلّ إرب –أي عضو– منها إرْباً من النّار ، حتّى إنّه ليعتق باليد اليد وبالرّجل الرّجل وبالفرج الفرج . ورواه البخارى ومسلم والتّرمذي والنّسائي[1] ورَوَى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابيّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، علّمنى عملاً يدخلنى الجنّة فقال : لئن كنت أقصرت الخُطبة[2] لقد أعرضت المسألة . أعتق النّسَمَة وفكّ الرّقَبة . فقال : يا رسول الله ، أوليستا بواحدة؟ قال : لا ، إنّ عتق النَّسَمَة أن تنفرد بعتقها ، وفكّ الرّقبة أن تعين في عِتْقِها[3]

أو إِطعامٌ في يومٍ ذى مسغبة : في يومٍ ذى مَجاعة . والسّاغب الجائع[4] من السّغَب وهو الجوع مع التّعب ، وقد قيل في العطش مع التّعب ، يقال : سَغِبَ سَغَباً وسُغُوباً وهو ساغبٌ وسَغْبان نحو عطشان[5] .

يتيماً ذا مقربة : يقول : أو أطعم في يَوْمٍ مَجاعَةٍ صغيراً لا أب له من قرابته ، وهو اليتيم ذو المقربة . وعَنَى بذى المقربة ذا القرابة[6] منه . قاله ابن عبّاس وعكرمة والحسن والضّحّاك والسّدّى . كما جاء في الحديث الّذي رواه الإمام أحمد عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : الصّدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرَّحم اثنتان ، صدقة وصِلَة . وقد رواه التّرمذيّ والنّسائيّ . وهذا إسناد

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٣/٤ .
(٢) هذه رواية طبعة دار الشّعب ٤٣٠/٨ وفي الأصل : المطيّة. وللحديث تتمّة .
(٣) تفسير ابن كثير ٥١٤/٤ .
(٤) تفسير الطّبري ١٣٠/٣٠ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سغب" ٢٣٣ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٣٠/٣٠ .

صحيح [١]

أو مسكيناً ذا متربة : عن ابن عبّاس : ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ قال : الّذي ليس له مَأْوًى إلاّ التّراب[٢]واللاّزق بالتّراب من شدّة الفقر[٣]وذو اللّصوق بالتّراب لِفَقْرِه[٤].

وتواصوا بالصّبر: وممّن أَوْصَى بعضهم بعضاً بالصّبر على ما نابهم في ذات الله[٥].

وتواصوا بالمرحمة : وأوصى بعضهم بعضاً بالمرحمة[٦] عن ابن عبّاس : ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ قال : مرحمة النّاس[٧] والمرحمة : الرّحمة[٨] جاء في الحديث الشّريف : الرّاحمون يرحمهم الرّحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء . وفي الحديث الآخر : لا يرحم الله من لا يرحم النّاس[٩]

أولئك أصحاب الميمنة : أصحاب اليمين الّذين يُؤْخَذُ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنّة[١٠] والّذين يُؤْتَوْنَ كتبهم بأيمانهم[١١] .

والّذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة : والّذين كفروا بأدلّتنا وأعلامنا وحجمنا من الكتب والرّسل وغير ذلك هم أصحاب المشأمة . يقول : هم أصحاب

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٤/٤ .
(٢) تفسير الطّبري ١٣٠/٣٠.
(٣) تفسير الطّبري ١٣١/٣٠ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ترب" ٧٣ .
(٥) تفسير الطّبري ١٣٣/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبري ١٣٢/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبري ١٣٢/٣٠
(٨) الجلالين وتفسير ابن كثير ٥١٤/٤ وتفسير القرطبي ٧١٦١ .
(٩) تفسير ابن كثير ٥١٤/٤ .
(١٠) تفسير الطّبرى ١٣٢/٣٠ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "يمن" ٥٥٣ .
(١١) تفسير القرطبي ٧١٦١ .

الشّمال يوم القيامة الّذين يؤخذ بهم ذات الشّمال[1] أي يأخذون كتبهم بشمائلهم[2] لأنّهم مشائيم على أنفسهم[3] والمشأمة : خلاف الميمنة[4] والمشأمة : المَيْسَرَة[5] والمشأمة : الشُّؤْم[6] والشُّؤم : خلاف اليُمْن[7]

عليهم نارٌ مؤصدة : عليهم نار جهنّم يوم القيامة مُطْبَقَة . يقال منه : أو صدت وآصدت[8] أو مؤصدة بالهمزة والواو بدله[9] بمعنى أنّها تُهْتمز ولا تهتمز[10] يقال : أَصَدَ الباب : أطبقه كأوصده إذا أغلقه . ومنه قرأ أبو عمرو : إنّها عليهم مُؤْصَدَة ، بالهمز ، أي مطبقة[11] .

يبيّن ربّ العزّة والجلال أنّه لا يقسم بهذا البلد الحرام مكّة المكرّمة حالة كون الحبيب صلّى الله عليه وسلّم ، الّذي يوجّه إليه الخطاب ، مقيماً بهذا البلد الحرام قبل الهجرة ، أو حلالاً غير محرمٍ بهذا البلد بعد الهجرة والعودة إليه بأن يُحِلَّهُ جلّ وعلا له ساعةً من نهارٍ يقاتل أعداء الله تعالى في أثنائها ثمّ تعود إلى هذا البلد الحرام حرمته[12]

---

(١) تفسير الطّبري ١٣٢/٣٠ .
(٢) تفسير القرطبي ٧١٦٢ .
(٣) تفسير القرطبي ٧١٦٢ .
(٤) لسان العرب : "شأم" .
(٥) لسان العرب : "شأم" .
(٦) لسان العرب : "شأم" .
(٧) لسان العرب : "شأم" .
(٨) تفسير الطّبرى ١٣٢/٣٠ .
(٩) الجلالين .
(١٠) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٦/٣ .
(١١) لسان العرب : "أصد" .
(١٢) جاء في الحديث الصّحيح عن حرمة مكّة : "وإنّما أحلّت لي ساعةٌ من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس" تفسير ابن كثير ٥١١/٤ .

كما لا يقسم ربّ العزّة والجلال بكلّ والدٍ ابتداءً بآدم عليه السّلام وبكلّ ولدٍ ، إنّه جلّ وعلا لا يقسم بكلّ ذلك لوضوح المعنى . أمّا الجواب على القَسَم المنفيّ ففى القول : ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أي في تَعَبٍ ونَصَبٍ ومَشَقَّةٍ وكَدْح . وتلك هي صفات الإنسان بإرادة الله تعالى في هذه الحياة الأولى إلى أن يلقى الله تعالى جلّ وعلا . ولمّا كان يغلب على الإنسان الجنس الكفر والصّدّ عن سبيل الله تعالى فإنّ السّياق يسأل في إنكار : أيحسب ذلك الإنسان أنّه لن يقدر عليه ويَغْلِبَهُ أَحَد ! والعجيب في هذا الإنسان الكفور أنّه فخورٌ بما يُنْفِقُ من مالٍ في الصّدّ عن سبيل الله تعالى فيعلن على رءوس الأشهار أنّه أنفق لغاياته الأثيمة الخسيسة أموالاً كثيرةً طائلة ، وربّما أنفقها في السِّرّ والخَفاء . ويسأل السّياق مرّةً أخرى في إنكار : أيحسب ذلك الصّادّ عن سبيل الله تعالى أنّه لم يَرَهُ أَحَد . ولمّا كانت الرّؤية ترتبط بالعين في العادة فقد ابتدأ لفت الانتباه إلى نِعَمِ الله تعالى بالحديث عن العينين . إنّ السّياق يطرح مجموعةً من الأسئلة التّقريريّة : ألم يجعل الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان وكلّ إنسانٍ عينين يُبْصِرُ بهما ، ولساناً يُبينُ به عمّا في نفسه ، وشفتين يصحّ بهما ، بفضل الله تعالى ، الكلام ، ويُتَناول عن طريقهما الطّعام ، ويكمل بهما جمال الوجه ويتمّ الإبتسام . وبالإضافة إلى كمال الإنسان وجماله في الظّاهر ، ثمّة استعداد الباطن لأن يرقى في مجال المعنويّات إلى مستوى الكمال حينما تسلم ، بإذن الله تعالى ، الفطرةُ وتَصِحّ ، ولأن تقع في مَهاوِى الرَّدَى حينما تنحرف الفطرة عن سواء السّبيل ويَنْجَرِف . وقد أومأ إلى صحّة الفطرة ومرضها القول : ﴿وهديناه النّجدين﴾ والنّجد الطّريق في ارتفاع . وربّما كان طريق السّيّئات والشّرّ أصعب من طريق الحسنات والبِرّ ، لأنّ طريق الخير واضح المعالم مأمون العاقبة بإذن الله تعالى ، ولأنّ طريق الشّرّ يعنى تَخَطِّ حُدُودِ الله تعالى

والاعتداءَ عليها وفي ذلك الاعتداء من العَنَتِ والمشقّة ما فيه . فكيف إذا أضيف إلى ذلك أَلَمُ وَخْزِ الضّمِير في حقّ من عنده ضميرٌ حيٌّ ونفسٌ حرّةٌ أبيّة زلّت بها النّعل في بعض الهَفَوات أو إحدى الزّلاّت . ويُرْشدُ السِّياق إلى كيفيّة اقتحام العقبة وهي الطّريق في الجبل . ويلاحظ التّحوّل اللّطيف حِسّيّاً وَمَعْنَوِيّاً من النّجد وهو الطّريق في ارتفاع ، إلى العَقَبة وهي الطّريق الوَعْرُ في الجَبَل . ويأتي الإرشاد إثر السّؤال الّذي يراد منه تفخيم شأن العقبة وتهويله : ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ إنّه فكّ رقبةٍ من قيد الرّقّ . ويُلاحَظُ أنّنا إزاء موضعٍ من المواضع الكثيرة في القرآن الكريم الّتي فيها الحثّ على تحرير الرّقيق ، بحيث إنّه لا يوجد اليوم في عالم الإسلام مُسْتَرَقّ واحدٌ . إنّه فكّ رَقَبةٍ أو إطعامٌ في يومٍ ذى مجاعةٍ يتيماً ذا قرابة فثمّة صدقةٌ وصِلَة ، أو مسكيناً أسكنه الفقر ذا مَتْرَبَةٍ فهو لاصقٌ بالتّراب لِفَقْرِه . ثمّ إنّ هذا الإنسان من الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات الّتى من مُتَعلَّقاتِها أن يوصى بعض المؤمنين بعضاً بالصّبر بأنواعه الثّلاثة ، الصّبر على البلاء وعلى الطّاعة وعن المعصية ، ويُوصِى بعضهم بالرّحمة الّتى لا يَنْزِعها الله تعالى إلاّ من شَقِيّ . إنّ أولئك هم أصحاب الميمنة الّذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنّة ويُؤْتَوْنَ كتب أعمالهم بأيمانهم . أمّا الّذين كفروا بآيات الله تعالى البيّنات ، وحُجَجِهِ الباهرات ، وعِملُوا السّيّئات ، ولم يقبل الله تعالى منهم – بسبب شركهم– الحسنات ، فإنّهم أصحاب المشأمة ، الّذين يُؤْخَذُ بهم يوم القيامة ذات الشِّمال إلى النّار ، ويُؤْتَوْن كتب أعمالهم من وراء ظهورهم بِشمائِلِهِمْ . إنّ هؤلاء الكافرين عليهم نارُ جهنّم الموقدة مؤصَدةٌ مُغْلَقة . والعِياذ بالله .

سورة الشَّمْس

سورة الشّمس من الكّيّ من القرآن[1] إنّ ربّ العزّة والجلال يُقْسِمُ بالشّمس وبضحاها ، وبالقمر إذا تلا الشّمس وتَبِعَها فطلع في النّصفِ الأوّل من الشّهر بعد غروب الشّمس ، وبالنّهار إذا جَلّى الشّمس وانبسط فَبَيّنها ، وباللّيل إذا يَغْشَى الشّمس ويثغَطِّيها بظلامِه ن وبالسّماء وبُنْيانِها المتين ، والأرض وبَسْطِها الظّاهر للعين ، وكلِّ نَفْسٍ خلقها جلّ وعلا سَوِيَّةً مستقيمةً على الفطرة مُهَيَّئَةً لأن تُفْرِدَ الله تعالى بالعبادة ، وقد قال عزّ من قائل[2] : ﴿فأقم وجهك للدّين حنيفاً . فطرة الله الّتى فطر النّاس عليها . لا تبديل لخلق الله . ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كلّ مولودٍ يولد على الفِطْرَة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تولد البهيمة بهيمةً جَمّاء . هل تُحِسُّون فيها من جَدْعاء ؟ أخرجاه من رواية أبي هريرة[3] وقد أَلْهَمَ الله تعالى كلّ نفسٍ فجورها كي تجتنبه ، وتقواها كي تستمسك بها . وجواب القسم في القول : ﴿قد أفلح من زكّاها . وقد خاب من دسّاها﴾ والمعنى : والله لقد فاز من طهّر نفسه بالحسنات وعَمَل الصّالحات ، وخاب وخسر من دَسَّها بالسّيّئات وأحملها بارتكاب الآثام . ومنَ الّذين خابوا وخسروا ثمود قوم صالحٍ عليه السّلام الّذين كذّبوه عليه السّلام بسبب طغيانهم . إذا انبعث

(١) انظر –مثلا– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥١٥/٤ والجلالين وتفسير القرطبي ٧١٦٢ والبحر المحيط ٤٧٧/٨ .
(٢) سورة الرّوم ٣٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ٥١٥/٤ .

واندفع أشقاهم بِرِضاهُمْ لقتل النّاقة فقال لهم صالحٌ عليه السّلام احذروا ناقة الله تعالى وسقياها وشِرْبَها اليَوْمَ المعلوم فكذّبوه عليه السّلام فقتلوها فأرجف الله تعالى الأرض بهم بسبب ذنبهم ، وأَطْبَقَ عليهم العذاب وكرّره ، وسوّى جلّ وعلا بهم الأرض ، ولا يخاف عزّ وجلّ عاقبة التّسوية بالأرض وتَبِعَةَ التّسْوِيَةِ في العذاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

والشّمس وضحاها : الضُّحى انبساط الشّمس وامتداد النّهار . وسمّي الوقت به[١] والضَّحْو والضَّحْوة والضَّحِيَّة على مثال العَشِيَّة :ارتفاع النّهار . والضُّحى : فويق ذلك أُنْثى وتصغيرها بغير هاءٍ لئلاّ يلتبس بتصغير ضَحْوة ، والضَّحاء ،ممدود : إذا امتدّ النّهار وكَرَب (أوشك) أن ينتصف[٢]

والقمر إذا تلاها : والقمر إذا تبع الشّمس وذلك في النّصف الأوّل من الشّهر إذا غَرَبَتِ الشَّمس تلاها القمر طالعاً[٣] قال ابن زيد : هذا قَسَم . والقمر يتلو الشّمس نصف الشّهر الأوّل ، وتتلوه النّصف الآخر . فأمّا النّصف الأوّل فهو يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها . فإذا كان النّصف الآخر كان هو أمامها يَقْدُمُها وتليه هي[٤]

والنّهار إذا جلاّها : قال الزّجّاج : ﴿إذا جلاّها﴾ إذا بيّن الشّمسَ لأنّها تتبيّن إذا انبسط النّهار[٥]

واللّيل إذا يغشاها : واللّيل إذا يغشى الشّمس حتّى تغيب فتظلم

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ضحى" ٢٩٢ .
(٢) لسان العرب : "ضحا" .
(٣) تفسير الطّبرى ١٣٣/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٣٣/٣٠ .
(٥) لسان العرب : "جلا" .

الآفاق[1] ويغشى بمعنى يَسْتُر ويُغطِّى[2]

والسّماء وما بناها : والسّماء ومن بناها ، يعنى ومن خلقها . وبناؤه إيّاها تصييره إيّاها للأرض سَقْفاً[3] وهو جلّ ثناؤه بانيها . فوضع ما موضع من كما قال : ﴿ووالدٍ وما ولد﴾ فوضع ما في موضع من . ومعناه : ومن ولد . لأنّه قَسَمٌ أَقْسَمَ بآدم وولده . وكذلك : ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النّساء﴾ وقوله : ﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ وإنّما هو : فانكحوا من طاب لكم . وجائزٌ توجيه ذلك إلى معنى المصدر كأنّه قال : والسّماء وبنائها ، ووالدٍ وولادته[4] .

والأرض وما طحاها : والأرض ومن طحاها . ومعنى قوله : "طحاها" يبسطها يميناً وشمالاً ومن كلّ جانب[5] والطَّحْوُ كالدَّحْو وهو بسط الشّيء والذّهاب به[6] .

ونفسٍ وما سوّاها : يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿وما سوّاها﴾ نفسه ، لأنّه هو الّذي سوّى النّفوس وخلقها فعدّل خلقها ، فوضع "ما" موضع "من" وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك أيضاً المصدر فيكون تأويله : ونفسٍ وتسويتها فيكون القَسَمُ بالنّفس وبتسويتها[7] أي خَلَقَها سَوِيَّةً مستقيمة على الفطرة القويمة[8]

فألهمها فجورها وتقواها ك فبيّن لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرّ

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٣/٣٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غشى" ٣٦١ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٣٣/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٣٤/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٣٤/٣٠ .
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : (٣٠٢) .
(٧) تفسير الطّبرى ١٣٤/٣٠ .
(٨) تفسير ابن كثير ٥١٥/٤ .

أو طاعةٍ أو معصية [١]عن ابن عبّاس : بيّن الخير والشّرّ[٢] وعلّمها الطّاعة والمعصية[٣] .

قد أفلح من زكّاها : هذا جواب القَسَم حُذِفَتْ منه اللاّم لطول الكلام[٤] عن قتادة : قد أفلح من زكّى نفسه بعملٍ صالح[٥] وزكّاها بمعنى طهّرها من الذّنوب[٦] وأصل الزّكاة في اللّغة الطّهارة والنّماء والبركة والمدح وكلّه قد استعمل في القرآن والحديث[٧] وبزكاء النّفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة ، وفي الآخرة الأجر والمثوبة[٨] .

وقد خاب من دسّاها : الخيبة فَوْتُ الطَّلَب[٩] وقيل دسّاها وهي دسّسها فقلبت إحدى سيناتها ياءً[١٠] والأصل دسّسها بثلاث سينات ، فلمّا توالت الأمثال قلبت السّين ياء ، ثمّ جرى فيه إعلالٌ بالقلب . قال أهل اللّغة : والأصل دسّسها من التّدسيس وهو إخفاء الشّيء في الشّيء فأبدلت سينه ياء[١١] والدّسّ إدخال الشّيء في الشّيء بِضَرْبٍ من الإكراه[١٢]والمعنى: وقد خاب من أخفاها بالمعصية[١٣] وأخملَها بترك الصَّدَقَةِ والطّاعة[١٤].

---

(١) تفسير الطّبرى ٣٠/١٣٤ .
(٢) تفسير الطّبرى ٣٠/١٣٤ .
(٣) تفسير الطّبرى ٣٠/١٣٤ .
(٤) الجلالين وتفسير الطّبرى ٣٠/١٣٥ .
(٥) تفسير الطّبرى ٣٠/١٣٥ .
(٦) انظر الجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهاني : "زكا" ٢١٣ .
(٧) لسان العرب : " "زكا" .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "زكا" ٢١٣ .
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "خيب" ١٦٠ .
(١٠) تفسير الطّبرى ٣٠/١٣٥ وانظر معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦٧ .
(١١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٢٨٧ .
(١٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "دس" ١٦٩ .
(١٣) الجلالين .

(١٤) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦٧ .

يقسم ربّ العزّة والجلال بالشّمس وضحاها وهو وقت انبساط الشّمس وامتداد النّهار . وبالقمر إذا تلا الشّمس بطلوعه في نصف الشّهر الأوّل بعد غروب الشّمس ، وبالنّهار إذا جلاّ الشّمس وبيّنها إذا انبسط النّهار ، وباللّيل إذا يَغْشَى الشّمس ويَسْتُرُها ، وبالسماء وبنائها المتين ، وبالأرض ودَحْوِها وبَسْطِها المبين ، وبكلّ نفسٍ وتسوية الله تعالى لها في الخِلْقَةِ والتّهْيئَة ، فألهما جلّ وعلا والقى في رُوعِها[1] فجورها ومعصيتها ، وتقواها وطاعتها . أَمّا جواب القَسَم ففي القول : ﴿قد أفلح من زَكّاها . وقد خاب من دسّاها﴾ والمعنى والله لقد أفلح من زَكّى نفسه بالطّاعات ابتداءً بالصّلاة والزّكاة ، وقد خاب من أَخْفَى نفسه بالمعاصى وأَخْمَلَها بالسّيّئات وتَرْك الحسنات والطّاعات .

(١) الرّوع ، بضمّ الرّاء : سواد القلب ، وقيل موضع الفَزَع منه .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

كذّبت ثمود بِطغواها : كذّبت ثمود بطغيانها[١] وبسبب طُغيانها[٢] ضَغَوْت وطَغَيْت طغَواناً و طُغْياناً وأطغاه كذا حمله على الطّغيان ، وذلك تجاوز الحدّ في العصيان[٣] والطّغْوَى الاسم منه ، قال : ﴿كذّبت ثمود بطغواها﴾ تنبيهاً أنّهم لم يُصَدِّقُوا إذا خُوِّفُوا بعقوبة طغيانهم[٤] .

إذا انبعث أشقاها : إذا ثار أشقى ثمود وهو قدر بن سالف[٥] وإذ اسرع[٦] .

فقال لهم رسول الله : صالحٌ عليه السّلام[٧] .

ناقة الله وسقياها : احذروا ناقة وسقياها لأنّه كان تقدّم إليهم عن أمر الله أنّ للنّاقة شِرْبَ يوم ولهم شِرْبُ يومٍ آخر غير يوم النّاقة[٨] وسقياها : شِرْبُها في يومها[٩] والسَّقْي والسُّقيا أن يعطيه ما يشرب ، والإسقاء أن يجعل له ذلك حتّى يتناوله كيف شاء[١٠] .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٦/٣٠ ومعانى القرآن للفرّاء ٢٦٧/٣ .
(٢) الجلالين .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "طغى" ٣٤ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "طغى" ٣٤ .
(٥) تفسير الطّبرى : ١٣٧/٣٠ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٦٨/٣ وقدار كهمام . انظر القاموس المحيط : "قدر" .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبرى ١٣٧/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبرى ١٣٧/٣٠ وانظر البحر المحيط ٤٨١/٨ .
(٩) الجلالين .
(١٠) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سقى" ٢٣٥ .

فكذّبوه فعقروها : فكذّبوا صالحاً في خبره الّذين أخبرهم به من أنّ الله الّذي جعل شِرْب النّاقة يوماً ولهم شِرْبُ يومٍ معلوم وأنّ الله يُحِلُّ بهم نقمته إن هم عقروها[1] ومعنى فعقروها فقتلوها ليسلم لهم ماء شِرْبِها[2] والعَقْر بفتح العين والعُقْر بضمّ العين في الأساس : الأصل . وعَقَرْتُه أصبت عقره أي أصله نحو رأسته ، ومنه عَقَرْتُ النَّخْلَ قطعته من أصله وعَقَرْتُ البعير نَحَرْتُه[3]

فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها : دمدت الشّيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته . ودمَّهم يَدُمُّهُمْ دَمّاً : طحنهم فأهلكهم . وكذلك دمدمهم ودمدم عليهم . وفي التّنزيل العزيز : ﴿فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم﴾ أي أهلكهم[4] وأكثر المفسّرين قالوا في : ﴿دمدم عليهم﴾ أي أرجف الأرض بهم . وقال أبو إسحاق : معنى دمدم عليهم أي أطبق عليهم العذاب . ويقال للشّيء يدفن : قدد مدمت عليه أي سّويت عليه[5] فإذا كرّرت الإطباق قلت دمدمت عليه[6] فسوّاها : أي سوّى بلادهم بالأرض . وقيل سوّى بلادهم بهم[7] فسوّاها : أي سوّى عليهم الأرض[8]

ولا يخاف عقباها : لايخاف الله مِنْ أَحَدٍ تَبِعَة[9] .

---

(١) تفسير ١٣٧/٣٠ .
(٢) الجلالين .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عقر" ٣٤١ .
(٤) لسان العرب : "دمم" .
(٥) انظر لسان العرب : "دمم" .
(٦) لسان العرب : " دمم" .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "سوى" ٢٥٢ .
(٨) تفسير القرطبي ٧١٦٩ .
(٩) تفسير الطّبري ١٣٧/٣٠ .

كذّبت ثمود بسبب طغيانها رسول الله تعالى إليهم صالحاً عليه السّلام رَغْمَ إخراج النّاقة آيةً له عليه السّلام بناءً على طلبٍ منهم . إذا انبعث أشقى ثمود وخرج في نَشاطٍ وحِرْصٍ واندفع لقتل النّاقة . فقال لهم رسول الله تعالى صالحٌ عليه السّلام احذروا ناقة الله تعالى واتركوها وشِرْبَها في يومها المعلوم غير يومكم الآخر المعلوم كذلك ، وإلاّ كان العقاب قاسياً والعذاب أليماً ، فكذّبوه عليه السّلام فعقروا النّاقة برضاهم أجمعين ، فأرجَفَ الله تعالى الأرض بهم ، وأَطْبَقَ عليهم العذاب ، وسَوَّى بلادهم الأرض ، وسوّى لهم الأرض . ولا يخاف جلّ وعلا تَبَعَةَ تسويتهم بالأرض أجمعين ، وفي العذاب المُهين .

سورة اللّيل

سورة اللّيل من المكيّ من القرآن[1] إنّ ربّ العزّة والجلال يُقْسِمُ باللّيل إذا يستر الكون بظلامه ، وبالنّهار إذا ظَهَر وسَطَحَ ضَوْؤُه ، وبخلق الذّكر والأنثى . إنّ سعي النّاس لَمختَلِفٌ بين صالح وطالح . فأمّا من أعطى من مال الله الّذي آتاه الله تعالى إيّاه واتّقاه جلّ وعلا بفعل الأوامر واجتناب النّواهي وصدّق بالمجازاة الحُسْنى الّتي تتَوَّجُ بالجنّة فسوف يُيَسِّرُهُ الله تعال للَخلّة اليُسْرى والخصلة السّهلة على المؤمنين . وأمّا من بخل واستغنى عن ثواب الله تعالى وكّب بالمجازاة الحُسْنى فسوف يُيَسِّرُهُ الله تعالى للخَلّة العُسْرى والخصلة الصّعبة العَسِرَة . وما يُغْنِي عن هذا الخيل المُسْتغْنِي مالُهُ إذا تردّى يوم القيامة في نار الجحيم . إنّ على الله تعالى إبانة طريق الهدى ، وإنّ لله تعالى ملك كلّ مافي الآخرة والحياة الدّنيا ، يُعْطِي من يشاء ويَمْنَعُ من يشاء . إنّ ربّ العزّة ينذر النّاس ناراً تتوهّج ، لا يصلاها إلاّ الشّقيّ ، الّذي كذّب بآيات الله تعالى وأعرض عنها . وسَيُجَنَّبُ تلك النّار التّقيّ ، الّذي يُؤْتِي ماله يتزكّى به ويتطهّر . وما لأَحَدٍ عند هذا المُؤْتِي ماله من نعمةٍ يَجْزِيه عنها ويدٍ يُثيبُهُ عليها ، لكن يُؤْتِي مالَه ابتغاءَ وجه ربّه الأعلى عزّ وجلّ وَحْدَهُ لا شريك له . ولسوف يَرْضَى هذا المنفق مالَهُ ابتغاء وجه الله تعالى يوم القيامة حينما ينال عليه الثّواب الجزيل والأجر العظيم .

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥١٧/٤ والجلالين وتفسير القرطبي ٧١٧٠ والبحر المحيط ٤٨٢/٤٠ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

واللّيـل إذا يغشـى : يقـول تعـالى ذكـره مُقْسِـماً باللّيـل إذا غَشِـيَ النّهـار بِظُلْمَتِـهِ فأَذهب ضوءه وجاءت ظلمته : واللّيل إذا يغشى النّهار[١] ويستره ويغطِّيه[٢]

والنّهـار إذا تجلّى : وهـذا أيضـاً قَسَـم . أَقْسَـمَ بالنّهـار إذا هـو أضـاء فـأنار وظهـر للأبصار ما كانت ظلمة اللّيل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إيّاها عياناً[٣] .

وما خلق الذّكر والأنثى : يحتمل أن تجعل ما بمعنى من فيكون ذلك قَسَماً من الله جلّ ثناؤه بِخالِقِ الذَّكَر والأُنْثَى وهو ذلك الخالق . وأن تجعل ما مع ما بعدها . المصدر، ويكون قَسَماً بخلقه الذّكر والأنثى[٤] رَوَى البخاريّ[٥]:"عن علقمة قال: دخلت في نفر مـن أصـحاب عبـدالله[٦]الشّـأم فسـمع بنـا أبـو الـدّرداء فـأتانا فقـال:أفيكم مـن يقـرأ؟

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٩/٣٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "غشى" ٣٦١ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٣٩/٣٠ .
(٤) انظر تفسير الطّبرى ١٣٩/٣٠ .
(٥) صحيح البخاري ٢١٠/٦ وفتح البارى ٧٠٦/٨ حديث رقم ٤٩٤٣ .
(٦) أي ابن مسعود فتح البارى ٧٠٧/٨ .

فقلنا نعم . قال فأيّكم أقرأ؟ فأشاروا إليّ . فقال : اقرأ ، فقرأت : ﴿واللّيل إذا يغشى . والنّهار إذا تجلّى . وما خلق الذّكر والأنثى﴾ قال : أنت سمعتها مِنْ في صاحبك؟[1] قلت نعم . قال : وأنا سمعتها من في النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهؤلاء[2] يأْبَوْن علينا" جاء في فتح البارى[3] : " ..... أخرجه مسلم وابن مردويه ... وأمّا ابن مسعود فهذا الإسناد المذكور في الصّحيحين عنه من أصحّ الأسانيد يروى به الأحاديث ... ولعلّ هذا ممّا نُسِخَتْ تِلاوَتُهُ ولم يَبْلُغ النَّسْخُ أبا الدّرداء ومن ذُكِرَ معه . والعجب من نقل الحفّاظ من الكوفِيّيَن هذه القراءة من علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثمّ لم يقرأ بها أحدٌ منهم . وكذا أهل الشّام حملوا القراءة عن أبي الدّرداء ولم يقرأ أحدٌ منهم بهذا ، فهذا ممّا يُقَوّي أنّ التّلاوة بها نُسِخَتْ "

إنّ سعيكم لشّتّى : إنّ عملكم لَمُخْتَلِفٌ أيّها النّاس لأنّ منكم الكافر بربّه والعاصِيَ له في أمره ونهيه والمؤمن به المطيع له في أمره ونهيه[4] .

فأمّا من أعطى واتّقى : عن ابن عبّاس : أعطى ما عنده واتّقى ربّه[5]

وصدّق بالحُسْنى : عن ابن عبّاس : وصدّق بالخَلَف من الله[6] الفرّاء : بثواب الجنّة[7] وجاء في لسان العرب[8] : "وقوله تعالى : ﴿وصدّق الحُسْنى﴾ قيل أراد الجنّة .

---

(١) يعنى عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه .
(٢) : "وهؤلاء" أي أهل الشّام فتح البارى ٧٠٧/٨ .
(٣) ٧٠٧/٨ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٠/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٠/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٠/٣٠ وانظر ص١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ .
(٧) معانى القرآن ٢٧٠/٣ .
(٨) : "حسن" .

وكذلك قوله تعالى : ﴿للّذين أحسنوا الحُسْنَى وزيادة﴾ فالحُسْنى هي الجنّة . والزّيادة النّظر إلى وجه الله تعالى . ابن سيده " والحُسْنى هنا الجنّة ، وعندى أَنّها المجازاة الحُسْنى . والحُسْنى ضدّ السُّوأي"

فسنيسّره لليسرى : فسنهيّئه للخَلّة[1] اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدّنيا ليوجب له به في الآخرة الجنة[2]

وأمّا من بخل واتسغنى : وأمّا من بخل بالنّفقة في سبيل الله ومنع ما وهب الله له من فضله من صرفه فى الوجوه الّتى أمر الله بصرفه فيها واتغنى عن ربّه فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته بالزّيادة فيما خوّله من ذلك[3] .

فسنيسّره للعسرى : فسنيّئه فى الدّنيا للخَلّة العُسْرَى[4] والعسرى الّتى أخبر الله جلّ ثناؤه أنّه ييسّره لها العمل بما يَكْرَهُهُ ولا يَرْضاه[5] .

جاء في اللّسان[6] : " وقيل في قوله : ﴿فسنيسّره لليُسْرَى﴾ أي للأمر السّهل الّذى لا يَقْدِرُ عليه إلاّ المؤمنون . وقوله عزّ وجلّ : ﴿فسنيسّره للعُسْرى﴾ قالوا العسرى العذاب والأمر العسير"

وما يغنى عنه ماله إذا تردّى : ﴿ما يغنى عنه ماله﴾ أيّ شيء يدفع عن هذا الّذي بخل بِمالِهِ واستغنى عن رَبّه ﴿ماله﴾ يوم القيامة إذا هو تَرَدَّى في جهنّم أي سقط فيها[7]

---

(١) الخلّة بفتح الخاء : الخصلة .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٢/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٢/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٣/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٣/٣٠ .
(٦) "عسير" .
(٧) تفسير الطّبرى ١٤٤/٣٠ .

فَهَوَى [1]

إنّ علينا للهدى : إنّ علينا لبيان الحقّ من الباطل والطّاعة من المعصية[2]

وإنّ لنا للآخرة والأولى : وإنّ لنا ملك مافي الدّنيا والآخرة نعطى منهما من أردنا من خلقنا ونحرمه من شئنا[3]

يقسم ربّ العزّة والجلال باللّيل إذا يغطّى الكون بظلمته ، وبالنّهار إذا ظهر بأن أضاء فأنار ، وبَخَلْقِ الله تعالى جنس الذّكر وجنس الأنثى ، أمّا جواب القسم ففى القول : ﴿إنّ سعيكم لشتّى﴾ والمعنى أنّ عَمَلَ النّاس مختلفٌ للإيمان والكفر .

فأمّا من أعطى المستحقّين من مال الله تعالى الّذي آتاه الله تعالى إيّاه ، واتّقى الله تعالى في السّرّ والعلن بفعل الأوامر واجتناب النّواهي ، وصَدَّقَ بالمجازاة الحُسْنَى من الله تعالى وبالثّواب الجزيل الّذي يُتَوَّجُ بدخول الجنّة الّتى فيها ما لا عينٌ ولا أذنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قلب بشر فسيوفّقه الله تعالى في الحياة الأولى للخَلَّةِ اليُسْرَى والخَصْلَةِ الحُسْنَى الّتى لا يَقْدِرُ عليها إلاّ المؤمنون .

وأمّا من بخل بماله الّذي آتاه الله تعالى إيّاه عن إعطائه مستحقّيه واستغنى عن ثواب ربّه جلّ وعلا ، وكَذَّبَ بالمجازاة الحُسْنَى فسيوفّقه الله تعالى في الحياة الأولى للخَلَّةِ العُسْرَى والخَصْلَة السُّوأَى الّتى يقدر عليها الأشقياء والمُبْعَدُونَ من رحمة الله تعالى . وما يُغْنِي عن هذا البخيل ، وما ينفع هذا المُسْتَغْنِي في الحياة الأولى عن ثواب الله تعالى ، وما

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٤/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .

يفيده مالُهُ إذا تَرَدَّى في النّار وهَوَى في جهنّم . إنّ على الله تعالى الهداية إلى طريق الخير كي يُسْلَك ، وإلى طريق الشّرّ كي يُهْجَر . وإنّ الله تعالى الآخرة والأولى ، ومُلْكَ كلّ ما في الآخرة والحياة الدّنيا ، يعطى من يشاء ويحرم من يشاء من كلتيهما .

رَوَى البخاريّ في صحيحه[1] عن عليّ ﷺ قال : كنّا في جَنازةٍ في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرَة[2] فنكّس فجعل ينكت بمِخْصرته ثمّ قال : ما فيكم من أحدٍ وما من نفسٍ منفوسةٍ إلاّ كُتِب مكانُها من الجنّة والنّار وإلا قد كُتِبَتْ شقيّةً أو سعيدة . قال رجل : يا رسول الله ، أفلا نَتَّكِلُ على كِتابنا ونَدَعُ العمل ، فمن كان منّا من أهل السّعادة فسيصير إلى عمل أهل السّعادة ، ومن كان منّا من أهل الشّقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشّقاوة . قال : أمّا أهل السّعادة فيُيَسَّرون لِعَمَلِ أهل السّعادة ، وأمّا أهل الشّقاوة فَيُيسَّرُون لِعَمَل أهل الشّقاوة ، ثمّ قَرَأ : ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحُسْنى﴾ الآية " .

---

(١) ٢٢١٢/٦ وانظر فتح البارى ٧٠٩/٨ حديث رقم ٤٩٤٨ .
(٢) المخْصرة ، بكسر الميم : ما يتوكّأ عليه كالعصا .

نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا
ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾
ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

فأنذرتكم ناراً تلظّى : فأنذرتكم أيّها النّاس ناراً ، تتوهّج وهي نار جهنّم[١] وقيل تلظّى ، وإنّما هي تتلظّى ، وهي في موضع رفعٍ لأنّه فعلٌ مستقبل . ولو كان فعلاً ماضياً لقيل : فأنذرتكم ناراً تلظّت[٢]

يا يصلاها إلاّ الأشقى: لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلاّ الأشقى[٣] بمعنى الشّقيّ[٤]

الّذي كذّب وتولّ : الّذي كذّب بآيات ربّه وأعرض عنها ولم يصدّق بها[٥]

وسيجنّبها الأتقى : وسَيُوقَى صِلِيَّ النّار الّتي تلظّى التّقيّ . ووضع أفعل موضع فعيل[٦] بمعنى التّقيّ[٧] .

الّذي يؤتى ماله يتزكّى : الّذى يعطى ماله في الدّنيا في حقوق الله الّتى ألزمه إيّاها ﴿يتزكّى﴾ يعنى يتطهّر بإعطائه ذلك من ذنوبه[٨]

وما لأحدْ عنده من نعمةٍ تجزى : وما لأحدٍ من خلق الله عند هذا الّذي يُؤْتِى

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٧١/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٥/٣٠ .
(٧) الجلالين .
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٦/٣٠ .

ماله في سبيل الله يتزكّى ﴿من نعمةٍ تجزى﴾ يعنى من يدٍ يكافئه عليها ، يقول : ليس ينفق ما ينفق من ذلك ويعطِى مجازاةَ إنسانٍ يجازيه على يدٍ له عنده ولا مكافأةٍ له على نعمةٍ سَلَفَتْ منه إليه أنعمها عليه . [1]

إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى : لكن يؤتيه في حقوق الله ابتغاء وجه الله . قال : وإلاّ في هذا الموضع بمعنى لكن[2]

ولسوف يرضى : ولسوف يرضى هذا المُؤْتِى مالَهُ في حقوق الله عزّ وجلّ يتزكّى بما يثيبه الله في الآخرة عِوَضاً ممّا آتى في الدّنيا في سبيله إذا لقي ربّه تبارك وتعالى[3]

يُنْذِرُ رَبُّ العزّة عباده ويخوّفهم نار جهنّم الّتى تشتعل وتتأجّج ، والّتى لا يدخلها فيصلى سعيرها إلاّ أشقى الأشقياء الّذي كذّب بآيات الله تعالى وأعرض عنها . وسَيُجَنَّبُ تلك النّار أتقى الأتقياء الّذي يؤتى ماله في سبيل الله تعالى يتزكّى به ويتطهّر. وليس عند هذا الّذي يُؤْتِى مالَه يدٌ عليه لأحدٍ فهو يكافئه عليها ، ولا نعمةٌ فهو يجزيه خيراً عنها ، ولكنّه يعطى ما يعطى من مالٍ ابتغاء وجه ربّه الأعلى جلّ وعلا ونيل مرضاته عزّ وجلّ . وفي المقابل سوف يَرْضَى هذا المؤتى بما يجزيه الله تعالى في الآخرة من ثواب ، جزاء تطهيره نفسه وما له بما آتى المستحقّين في الدّنيا من مال الله تعالى الّذي أعطاه جلّ وعلا إيّاه .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٦/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٦/٣٠ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٧٢/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٦/٣٠ .

سورة الضّحى

سورة الضّحى مكّيّة[1] وسبب نزولها تأخّر الوحي يومين أو ثلاثة أيّام وتطاول المشركين عليه صلّى الله عليه وسلّم وشماتتهم به لتأخّر به لتأخّر الوحي . إنّ ربّ العزّة والجلال يُقْسم بالضُّحَى وامتداد النّهار وانبساطه ، وباللّيل إذا هبط بظلامه وخيّم بسكونه ، بأنّه عزّ وجلّ ما وَدَّعَ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وتركَه ، وما قلاه وابغضه ، خِلافاً لما يزعم المشركون ويكذب الشّامتون . وَلَلْآخِرَةُ خيرٌ لك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من الحياة الأولى ، لأنّ في الجنّة ما لاعينٌ رأت ولا أذنق سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولسوف يعطيك ربّك العظيم ، يا أيّها الرّسول الكريم ، في الآخرة من الخير العظيم والنّعيم المقيم فَتَرْضَى وتَسْعَد . إنّ الّذي يَعِدُكص بهذا الفضل العظيم في الآخرة هو الّذي سَبَقَ فضله العظيم إليك ، فربّاك بِنِعَمه ! وغمرك بإحسانه. ألم يجدك ربّك ، أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العَظيم ، يتيماً بعد وفاة والدك وأنت في بطن أمّك فجعل لك مأوَى تَأْوِى إليه ، ومنزلاً تَنْزِلُه . ووراء ذلك وَوَجَدَك ربّك غير مهتدٍ لما سيق إليك من النّبُوَّة فهداك إلى الصّراط المستقيم المفضى على جنّات النّعيم . كما وَجَدَك ربّك فقيراً فأغناك برحمته من واسع فضله . وقد تَرَتَّبَ على التّنبيه على النِّعَم الثّلاث التّنبيه على واجب الشّكر لله تعالى في صورٍ ثلاث في آياتٍ كريماتٍ ثلاث . إنّ ثمّة نهياً عن قهر اليتيم قولاً وعملاً ، بمعنى أنّ المأمور به إكرام اليتيم . وإنّ ثمّة نهياً عن نَهْرِ السّائل المسكين وزَجْرِه ، بمعنى أنّ المأمور به الإحسان إلى السّائل قولاً وعملاً. ومن البيّن عَلاقَةُ النّهيين بإيواء الله تعالى

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٢١/٤ والجلالين والبحر المحيط ٤٨٤/٨ وتفسير القرطبي ٧١٨١ .

اليتيم محمّداً صلّى الله عليه وسلّم وإغناء الله تعالى إيّاه من وساع فضله . ولمّا كانت نعمة الهداية والإنقاذ من الضّلال كبرى النّعم خُتِمَت السّورة الكريمة بالأمر والشّكر لله تعالى على نعمه العظيمة وآلائه . ويكون الشّكر لله تعالى بإذاعة النِّعَم باللّسان وذلك بالثّناء على الله تعالى بما هو أهله ، كما يكون بالعمل بمقتضاها والحِرْص على بقائها والاستزادة منها بفعل الأوامر واجتناب النّواهي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾

والضّحى : الضّحى انبساط الشّمس وامتداد النّهار ، وسمّي الوقت به[١] يقول ابن جرير رحمه الله تعال رحمةً واسعة[٢] : "أَقْسَمَ ربّنا جلّ ثناؤه بالضّحى وهو النّهار كلّه . وأحسب أنّه من قولهم : ضَحَى فلانٌ للشّمس إذا ظهر . ومنه قوله : ﴿وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ أي لا يصيبك فيها الشّمس"

واللّيل إذا سجى : عن ابن عبّاس : واللّيل إذا أَقْبَل[٣] وقال آخرون : معناه إذا استوى وسكن قال ابن زيد : إذا سكن[٤] . قال : ذلك سَجْوُه كما يكون سكون البحر سَجْوَه[٥] ويقول الطّبرى[٦] : "وأَوْلَى هذه الأقوال بالصّواب عندى في ذلك قول من قال : معناه ، واللّيل إذا سَكَنَ بأهله وثَبَتَ بِظَلامه كما يقال : بحرٌ ساجٍ إذا كان ساكناً . وقال الفرّاء[٧] : "إذا أظلم وركد في طوله ، كما تقول : بحرٌ ساجٍ وليلٌ ساجٍ ، إذا ركد وسكن وأَظْلَمَ" . وجاء في لسان العرب[٨] : "الأصمعيّ : سُجُوّ اللّيل تغطيته للنّهار مثل ما يُسَجَّى الرّجل بالثَّوْب . وسَجا البحر وأَسْجَى إذا سكن . وسجا اللّيل

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ضحى" ٢٩٢ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٧/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٧/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٧/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٧/٣٠ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٧/٣٠ .
(٧) معاني القرآن ١٧٣/٣ .
(٨) "سجا" .

وغيره يسجو سُجُوّاً وسَجْواً : سَكَنَ ودام .... وامرأةٌ ساجية : فاترة الطّرف ... ساكنته"

.

ما ودّعك ربّك وما قلى : هذا جواب القَسَم . ومعناه : ما تركك يا محمّد ربّك وما أبغضك[1] : ﴿وما قلى﴾ يريد : وما قلاك ، فألقيت الكاف كما تقول : قد أعطيتك وأحسنت ، ومعناه : أحسنت إليك ، فتكتفى بالكاف الأولى من إعادة الأخرى ، ولأنّ رءوس الآيات بالياء ، فاجتمع ذلك فيه[2] .

ولسوف يعطيك ربّك فترضى : ولسوف يعطيك يا محمّد ربّك في الآخرة من فواضل نِعَمِهِ حتّى ترضى[3] فقال صلّى الله عليه وسلّم : إذن لا أَرْضَى وواحدٌ من أمّتى في النّار[4] ورَوَى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعودٍ قال : اضطجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على حصير فأثّر في جنبه فلمّا استيقظ جَعَلْتُ أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ، ألا أَذِنْتَنا حتّى نبسط لك على الحصير شيئاً ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مالى وللدّنيا ، إنّما مَثَلِى ومَثَلُ الدّنيا كراكبٍ ظَلّ تحت شجرةٍ ثمّ راح وتركها . ورواه التّرمذى وابن ماجه وقال التّرمذيّ : حسنٌ صحيح[5]

يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بالضّحى والمراد به النّهار إذا امتدّ ، وقوى ضوؤه واشتدّ ، وباللّيل إذا لفّ الكون بظلامه وبسكونه ، بأنّه جلّ وعلا ، وهو ربّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وربّ العالمين ، ما ودّع محمّداً صلّى الله وما قلاه ، ما تركه

---

(١) تفسير الطّبري ١٤٧/٣٠ .
(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٧٣/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٩/٣٠ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٢٢/٤ .

بتأخّر الوحي وما أبغضه ، خِلافاً لما يقول الكاذبون ، ويدّعى المغرضون . لَلْآخِرَةُ ونَعِيمُها المُقِيمُ في حَقِّه صلّى الله عليه وسلّم وفَضْلُ الله تعالى العظيم عليه صلّى الله عليه وسلّم خيرٌ له من هذه الحياة الأولى . وفي الآخرة سوف يعطى رَبُّ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم رَبُّ العالمين حَبِيبَهُ صلّى الله عليه وسلّم حتّى يَرْضَى . ولا يرضى الحبيب صلّى الله عليه وسلّم وواحدٌ من أمّته ممّن يشهد الاّ إله إلاّ الله محمّد رسول الله باقٍ في النّار وخالدٌ فيها .

وجاء عن سبب النّزول في صحيح البخارى[1] عن جُنْدُب بن سفيان[2] رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت أمرأةٌ فقالت : يا محمّد إنّ لأرجو أن يكون شَيْطانُك قد تركك ، لم أره قَرِبك[3] منذ ليلتين أو ثلاثاً . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿والضّحى . واللّيل إذا سجى . ما ودّعك ربّك وما قلى﴾

وهذه المرأة هي أمّ جميل بنت حرب امرأة أبي لَهَب[4] وهي حمّالة الحطب .

وإنّ من ألطفِ ما يجمل التّنبيه عليه أنّ السّياق يقول : ﴿وما قلى﴾ وليس : "وما قلاك" لِقَسْوَةِ هذا التّعبير وقُوَّةِ هذه الجملة بالقياس إلى القول : ﴿ما ودّعك ربّك﴾

---

(١) ٢١٣/٦ وانظر فتح البارى ٧١٠/٨ حديث رقم ٤٩٥٠ .
(٢) جندب بنسفيان البجلى . فتح البارى ٧١٠/٨ .
(٣) قَرِبك ، بكسر الرّاء ، يقال قرِبه يَقْرَ به بفتح الرّاء متعدّيا فتح البارى ٧١٠/٨ .
(٤) فتح البارى ٧١٠/٨ .

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

ألم يجدك يتيماً فآوى : فجعل لك مأوًى تأْوِى إليه ومنزلاً تَنْزِلُه[1]

ووجدك ضالاً فهدى الضّلال العدول عن الطّريق المستقيم ويضادّه الهداية. ويقال الضّلال لكلّ عدولٍ عن المنهج مُحَمَّداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً ، فإنّ الطّريق المستقيم الّذي هو المرتَضَى صَعْبٌ جدّاً . وإذا كان الضَّلالُ تَرْكَ الطّريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلاً كان أو كثيراً ، صحّ أن يُسْتَعْمَلَ لفظ الضّلال ممّن يكون منه خطأٌ ما . ولذلك نُسِبَ الضّلال إلى الأنبياء وإلى الكفّار ، وإن كان بين الضّلالين بونٌ بعيد ، ألا ترى أنّه قال في النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ووجدك ضالاً فهَدى﴾ أي غير مهتدٍ لما سيق إليك من النُّبُوَّة[2]

ووجدك عائلاً فأغنى : ووجدك فقيراً فأغناك ن يقال منه : عال فلانٌ يَعِيلُ عَيْلَةً وذلك إذا افتقر[3]

فأمّا اليتيم فلا تقهر : فلا تظلمه فتذهب بحقّه استضعافاً منك له[4]

وأمّا السّائل فلا تنهر : وأمّا من سألك من ذى حاجةٍ فلا تنهره ولكن أطعمه واقض له حاجته[5] .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٩/٣٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ضل" ٢٩٨ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٩/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٩/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٩/٣٠ .

ألم يجدك ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم يتيماً قد فقدت أباك قبل أن تولد[1] فآواك وجعل لك مَأْوًى تَأْوِى إليه ومنزلاً تنزله ووجدك ضالاً غير مهتدٍ لما سيق إليك من النّبوّة والرّسالة ، فهداك إلى الصّراط المستقيم والطّريق القويم ، ووجدك عائلاً فقيراً فأغناك برحمته من واسع فضله . وبشأن القول : ﴿فآوى﴾ ﴿فهدى﴾ ﴿فأغنى﴾ الأصل في كلّ ذلك كما تبيّن : فآواك ، فهداك ، فأغناك . وإنّ رءوس الآي أغنت عن هذه الزّيادة كما أغنت عن هذه الزّيادة في القول : ﴿ما ودّعك ربّك وما قلى﴾

ويلاحظ بشأن المعانى في الآيات الكريمات الثّلاث أنّها راعت ترتيب المعانى من الوجهة الزّمَنِيَّة فكأنّ اليُتْمَ متقدّمٌ زمناً وكأن الغِنَى بمعنى الاكتفاء واليسار متأخّرٌ زَمَنا.

وقد ترتَّبَ على هذه المعاني الثّلاثة وعلى الآيات الثّلاث معانٍ ثلاثة وآياتٌ ثلاث . وقد رُوعِيَ في ترتيب المعانى هذه المرّة الجانبان الزّمانِيّ والمعنويّ مَعاً . لقد كان ثمّة نهيٌ عن قَهْرِ اليتيم في أثناء الكالم معه والمعاملة له تمشّياً مع الحديث من ذِى قبل عن اليتيم أوّلاً . وكان ثمّة نهيٌ بعد ذلك عن نَهْرِ السّائل وزَجْرِ المحتاج تمشّياً مع الحديث من ذى قبل عن إغناء الله تعالى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إثر الحديث عن اليتيم وعن الضّلال . وكان ثمّة أمرٌ بالحَدِيثِ عن كلّ النّعم الّتى امتنّ الرّبّ جلّ وعلا بها على عبده ، وإذاعةِ هذه النّعم ، والقيام بواجب الشّكر لله تعالى عليها . وإنّما تأخّر الأمر بالحديث عن النّعمة لأنّها تعنى الهداية من الضّلال في المقام الأوّل،وهذه النّعمة أهمّ النّعم

---

(١) توفّى عبدالله بن عبد المطّلب والدا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بعد حَمْلِ والدته آمنة بنت وهب به صلّى الله عليه وسلّم بشهرين اثنين فكفله جدّه عبد المطّلب .

(٢) توفّى عبد المطّلب والرّسول صلّى الله عليه وسلّم ابن ثمان سنين فكفله أو طالب شقيق أبيه .

الثّلاث ، ولذلك تأخّر الحديث عنها ، هذا بالإضافة إلى أنّنا في هذه الآية الكريمة أمام أمر ، في حين كنّا في الآيتين الكريمتين أمام نهى في كلٍّ من الآيتين الكريمتين . وبذلك يضاف سببٌ إلى السَّبَبَيْن المذكورين من قبل وراء هذا التّرتيب الجديد للمعانى الثّلاثة في الآيات الكريمات الثّلاث الأخيرات .

سورة الشَّرْح

سورة "ألم نشرح" المكّيّة[1] من أهدافها تَثْبِيتُ فؤاد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، في تلك الفترة المكّيّة العصيبة ، الّتي يَسُومُ فيها كفّار مكّة المؤمنين سوء العذاب . إنّ ربّ العزّة يُلْقِي على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم مجموعة من الاسئلة التّقريريّة في معْرِضِ التّنْبِيهِ إلى مجموعة من النّعم تُقْدَرَ تلك النّعم حقّ قدرها ، ويَتِمَّ القِيامُ بالواجب من الشّكر لله تعالى عليها ، وبذلك يَكْمُلُ الإيمان بشطريه ، الشكر على النّعْماء ، والصّبر على الضّراء . إنّ الإيمان شطرٌ شكرٌ وشطرٌ صبر ، وقد قال تعالى[2] : ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ وقال تعالى[3] : ﴿وبشّر الصّابرين﴾

إنّ ربّ العزّة يسأل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم : ألم نشرح صدرك لدين الإسلام لله ربّ العالمين فكنت خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، ووضعنا عنك حِمْلَكَ الثّقيل ، المتعلّق بأوضار الجاهليّة وآثامها ، ذلك الحِمْلُ الّذي صَوَّتَ منه ظَهْرُك وكاد ينكسر لِثِقَلِه ، ورَفَعْنا لك ذكرك بأن يقال في الصّلاة وغير الصّلاة : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله . إنّ الجواب بالإيجاب ، فعليك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم بالشّكر لله تعالى تلك النّعم والآلاء ، وعليك كذلك بالصّبر : ﴿فإنّ مع العسر يسراً . إنّ مع العسر يسرا﴾ ولَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ واحدٌ يُسْرَين . فعليك بالإقبال على الله تعالى بالعبادة ، والتَّعَب في ذلك ، والرّغبة فيما عند ربّك جلّ وعلا مِنْ رِضاً عنك وثوابٍ جزيلٍ لك .

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٢٤/٤ والجلالين والبحر المحيط ٤٨٧/٤ وتفسير القرطبي ٧١٩٤ .

(٢) سورة إبراهيم ٧ .

(٣) سورة البقرة ١٥٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

ألم نشرح لك صدرك : أصل الشّرح بسط اللّحم ونحوه . يقال : شرحت اللّحم وشرّحته . ومنه شرح الصّدر ، أي بسطه بنور إلهيّ وسكينةٍ من جهة الله ورَوْحٍ منه[١] والمعنى : ألم نشرح لك يا محمّد للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ صدرك ، فَنُلِين لك قلبك ونجعله وعاءً للحكمة[٢]

ووضعنا عنك وزرك : وحططنا عنك ثِقْلَ أيّامِ الجاهليّة الّتي كنت فيها[٣] والوِزر : الحِمْل الثّقيل[٤] تشبيهاً بوَزَر الجبل[٥] والوزَر : الملجأ . وأصل الوَزَر الجبل المنيع . وكلّ مَعْقِل وَزَرَ[٦] والوزير : المتحمّل ثِقْلَ أميره وشُغْلَه[٧] .

الّذي أنقض ظهرك : الّذي أثقل ظهرك فَأَوْهَنَه[٨] وكِسَرَهُ حتّى صار له نَقِيض[٩] وفي الحديث : أنّه سمع نَقِيضاً من فوقه ، النَّقِيض : الصّوت[١٠] والنّقيض من الأصوات : يكون لمفاصل الإنسان والفَراريج والعقرب والضِّفدَع والعُقاب والنَّعام والسُّمانَى

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهان : "شرح" ٢٥٨ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٥٠/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٥٠/٣٠ .
(٤) لسان العرب : "وزر" .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "وزر" ٥٢١ .
(٦) لسان العرب : "وزر" .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "وزر" ٥٢١ . وانظر لسان العرب : "وزر" .
(٨) تفسير الطّبرى ١٥٠/٣٠ .
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "نقض" ٥٠٤ .
(١٠) لسان العرب : "نقض" .

والبازى والوَبْر والوَزَغ[1] وقد أَنْقَضَ ظهر فلان إذا سُمِعَ له نقيض[2] وأنقض الحِمْلُ ظهره: أثقله وجعله يُنْقِض من ثِقَلِه أي يصوّت . وفي التّنزيل العزيز : ﴿ووضعنا عنك وِزْرَك . الّذى أنقض ظهرك﴾ أي جعله يُسْمَع له نقيضٌ من ثِقَلِه[3] ومن الباب قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر قد أوهنه السّفر وأذهب لحمه هو نِقْضُ سَفَر[4] والنِّقض ، بالكسر : البعير الّذي أنضاه السّفر ، وكذلك النّاقة . والنِّقضِ : المهزولِ من الإبل والخيل . قال السّيرافى : كأن السّفر نَقَضَ بِنْيَتَه . والجمع أَنْقاض[5] .

ورفعنا لك ذكرك : فلا أُذْكَرُ إلاّ ذكرت معي ، وذلك قول : لا إله إلاّ الله . محمّد رسول الله[6] .

وفي مَعْرِضِ ومَنِّ ربِّ العزَّةِ والجلال . على حبيبه محمّد صلّى الله عليه وسلّم المصطفى المختار ، الّذى اختصّه بالكثير من النِّعَم والآلاء ، كي يقوم عليه الصّلاة والسّلام بما يجب عليه من شكرٍ لله تعالى كفاءها ، كي تبقى وتزيد ، يطرح السّياق مجموعةً من الأسئلة التّقريريّة عليه صلّى الله عليه وسلّم . ألم نشرح لك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم صدرك للهدى ، ونُوَسِّعْه لنور النّبوّة ، الم نليّن قلبك لدين الإسلام ونجعله وعاءً للحكمة والتّقوى . والمعروف أنّ لم حرف نفيٍ وجزمٍ وقلب . ومعنى القلب أنّها تقلب زمن الفعل المضارع فتجعله ماضياً . ومِنْ أَجْلِ هذه اللّطيفة جاء في الآية الكريمة الثّانية فما بعدها عطف الأفعال الماضية .

---

(١) لسان العرب : "نقض"
(٢) لسان العرب : "نقض" .
(٣) لسان العرب : "نقض" .
(٤) تفسير الطّبرى ١٥٠/٣٠ .
(٥) لسان العرب : "نقض" .
(٦) تفسير الطّبرى ١٥٠/٣٠ .

ومِنْ نِعَمِ الله تعالى الّتى امتنّ بها على حبيبه صلّى الله عليه وسلّم أنّه وضع عنه وزْرَه ، وحَطّ عنه حِمْلَهُ الثّقيل ، الّذي أثقل ظهره فَسُمِعَ لذلك الظّهر ، الّذي يستطيع بطبعه أن يحمل ما يَعْجِزُ عنه سائر أجزاء الجسم ، صوتٌ ونقيض ، حتّى كاد الحِمْل الثّقيل يَكْسِرُه . ونستطيع أن نفهم أنّ ذلك الحِمْل الثّقيل الّذى ناء به ظهر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هو أوضار الجاهليّة وأوساخها الّتى كان صلّى الله عليه وسلّم منصرف القلب عنها، وفي الوقت ذاته ليس لديه قَبْل النّبوّة دِرايَةٌ بالكتاب ولا الإيمان ، حتّى بعثه الله تعالى بالحقّ نبيّاً ورسولاً .

ومِنْ نِعَم الله تعالى على هذا النّبيّ الكريم والرّسول العظيم أنّ ربّ العزّة قد رَفع له ذكره وأعلا شأنه ويكفى أن يكون أَوَّلُ أركان الإسلام وأَهَمُّها الشّهادتين ، شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله . وممّا جاء في هذا المعنى قول حسّان ابنثابت رضي الله تعالى عنه[1] .

وضَمَّ الإله اسْمُ النَّبِيِّ إلى اسْمِهِ إذا قال في الخَمْسِ المُوزِّنُ أَشْهَدُ

والمراد كما هو واضح : أشهد ألاّ إله إلاّ الله . وأشهد أنّ محمّداً رسول الله . وما يقال عن الأذان يقال عن الإقامة وعن التَّشهّد وما إلى ذلك .

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ وديوان حسّان بن ثابت ٤٧ بيروت ١٣٨١هـ ١٩٦١م .

فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨

فإنّ مع العسر يسرا : العسر : نقيض اليُسْر[1] واليسر : اللّين والانقياد[2] عن الحسن قال : خرج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوماً والانقياد عن الحسن قال : خرج النّبي صلّى الله عليه وسلّم يوماً مَسْرُوراً فَرِحاً وهو يَضْحَكُ وهو يقول : لن يغلب عُسْرٌ يُسْرَيْن لن يغلب عسرٌ يسرين ، فإنّ مع العسر يسراً إنّ مع العسر يسراً[3] عن قتادة : قوله : ﴿فإنّ مع العسر يسرا﴾ ذكر لنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بَشَّرَ أصحابه بهذه الآية فقال : لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن[4] وجاء في لسان العرب[5] : "رُوِي عن ابن مسعود أنّه قرأ ذلك وقال : لا يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْن . وسُئِلَ أبو العبّاس عن تفسير قول ابن مسعودٍ ومراده من هذا القول فقال : قال الفرّاء : العَرَبُ إذا ذَكَرَتْ نَكِرَةً ثمّ أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين ، وإذا أعارتها بمعرفةٍ فهي هي ، تقول من ذلك : إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً . فالثّاني غير الأوّل . وإذا أعدته بالألف واللاّم فالثّاني هو الأوّل . قال أبو العبّاس : وهذا معنى قول ابن مسعود ، لأنّ الله تعالى لمّا ذَكَر العسر ثمّ أعاده بالألف واللاّم عُلِمَ أَنَّهُ هو . ولمّا ذكر يسراً ثمّ أعاده بلا ألف ولام عُلِمَ أنّ الثّاني غير الأوّل ، فصار العُسْرُ الثّاني العُسْرَ الأوّل وصار يُسْرٌ ثانٍ غير يُسرٍ بدأ بذكره . ويقال : إنّ الله جلّ ذكره أراد بالعسر في الدّنيا على المؤمن أن يبدله يُسْراً في الدّنيا ويُسْراً في الآخرة . والله تعالى أعلم" .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "عسر" ٣٣٤ و: "يسر" ٥٥١ .
(٢) لسان العرب : "يسر" .
(٣) تفسير الطّبريّ ١٥١/٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٥١/٣٠
(٥) : "عسر" .

فإذا فرغت فانصب : عن ابن عبّاس : ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ يقول : فإذا فرغت ممّا فُرِضَ عليك من الصّلاة فسل الله وارغب إليه وانصب له[1] يقول في الدّعاء[2] والنُّصْب والنَّصَب : التَّعَب[3] .

وإلى ربّك فارغب : يقول تعالى ذكره : وإلى ربّك يا محمّد فاجعل رغبتك دون من سواه من خلقه إذا كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد[4] .

بيّن معنى الآيتين الكريمتين : ﴿فإنّ مع العسر يسراً . إنّ مع العسر يسراً﴾ قول الحقّ جلّ وعلا[5] : ﴿سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْرا﴾ والحديث : لَنْ يَغْلِبض عُسْرٌ يُسْرَيْن ، فقد تبيّن أَنّنا في الآيتين الكريمتين أمام عُسْرٍ واحدٍ ويُسْرَيْنِ اثنين . ولا يَخْفَى الدَّوْرُ العظيم للتّسلية وتثبيت الفؤاد في تلك الفترة المكّيّة الحَرِجَة لكلٍّ من المصطفى صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين . وما المطلوب من المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الأسوة الحسنة لنا أجمعين في حال العسر واليُسْر؟ إنّه الإقبال على الله تعالى بأن يكون المسلم – والمسلمة– في العبادة حالاً مرتحلاً متحوّلاً من عبادَةٍ فَرَغَ منها إلى أخرى يُتْعِبُ نَفْسَهُ في أدائها ، وأنْ يَرْغَبَ إلى ربّه عزّ وجلّ ، ويَقْصِدَ مَرْضاتَهُ جلّ وعلا وَحْدَهُ دون سواه في كلّ ما يأتى ويَدَع .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٥١/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٥١/٣٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : "نصب" ٤٩٤ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٥٢/٣٠ .
(٥) سورة الطّلاق ٧ .

سورة التّين

سورة التّين المكّيّة[1] من أهمّ أهدافها تقرير حقيقة البعث ووجوب العمل لما بعد الموت . إنّ ربّ العزّة والجلال يُقْسم –والله تعالى أعلم– بالمكان الّذي فيه التّين والزّيتون ، وهو بيت المقدس الّذى بُعِثَ فيه عيسى عليه السّلام ، والمعروف أنّ عيسى عليه السّلام آخر الأنبياء بنى إسرائيل . كما يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بجبل الطّور في سَيْناء وهو الجبل الّذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السّلام وناداه . والمعروف أنّ موسى عليه السّلام كبير أنبياء بنى إسرائيل . كما يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بهذا البلد الأمين الحرام الآمن من مكّة المكرّمة . وقد بَعثَ الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بمكّة المكرّمة الّتى يشار إليها باسم الإشارة الدّالّ على القرب : "هذا" دليلاً على رِفْعَةِ هذا البلد الحرام ومكانته العالية عند ربّ الأنام عزّ وجلّ . ومن البيّن التّحوّل المطّرد إلى الدّرجة الأَعْلَى والمرتبة الأَسْمَى في حقّ هؤلاء الثّلاثة من أُولِى العزم من الرّسل عيسى وموسى ومحمّد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين . أمّا جواب المُقْسَم عليه فهو أنّ ربّ العزّة والجلال قد خَلَقَ جِنس الإنسان في أحسن تقويم . إنّ الإنسان أَجْمَلُ المخلوقات الأرضيّة صورةً ، وأَعْدَلُها قَواماً . ولمّا كان القليل من عباد الله تعالى هو الشّكور ، أمّا الكثير فكفور ، فقد تَحَوَّلَ السّياق إلى تقرير المصير السّيّء للإنسان المنحطّ في أقواله وافعاله . إنّ مأواه النّار ومقرّه أَسْفَلُ سافِلين في الدّرك الأسفل من النّار . أمّا الّذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصّالحات بجوارحهم فإنّ لهم أجراً غير مقطوع وثواباً غير منقوص . ويكون الاستفهام الإنكارى الموجَّهُ لذلك الّذى أنكر يوم الحساب والجزاء ، ويكون السّؤال التّقريريّ بأنّ الله تعالى هو أحكم الحاكمين وأقضى القاضين وأعدل العادلين .

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٥٢٦/٤ والبحر المحيط ٤٨٩/٨ وتفسير البسيط القرطبي ٧٢٠٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

والتّين والزّيتون : عن مجاهد في قول الله : ﴿والتّين والزّيتون﴾ قال : الفاكهة الّتى تأكل النّاس[1] عن قتادة في قوله : ﴿والتّين﴾ قال : الجبل الّذي عليه دمشق ﴿والزّيتون﴾ الّذي عليه بيت المقدس[2] عن عكرمة : ﴿والتّين والزّيتون﴾ قال : هما جبلان[3] وقال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم : ﴿والزّيتون﴾ هو مسجد بيت المقدس . وقال مجاهد وعكرمة : هو هذا الزّيتون الّذي تَعْصِرُون[4] .

وطور سينين : الطّور ، بالضّم ثمّ السّكون وآخره راء ، في كلام العرب : الجبل . وقال بعض أهل اللّغة : لا يُسَمَّى طُوراً حتّى يكون ذا شَجَر ولا يقال لِلْأَجْرَدِ طُور[5] والطّور: اسم جبل مخصوص[6]وطور سينين هو طور سيناء. قال تعالى[7]: وشجرةً تخرج من طور سَيْناءَ تَنْبُت بالدّهن وصِبْغٍ للآكلين﴾والمراد بالشّجرة هنا شجرة الزّيتون[8]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٥٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٥٣/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٥٤/٣٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢٥٦/٤ وانظر فتح البارى ٧١٣/٨ .
(٥) معجم البلدان : "طور" .
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى : "طور" ٣٠٩ .
(٧) سورة المؤمنون ٢٠ .
(٨) الجلالين .

وقرىء سيناء بالفتح والكسر[1]سيناء بكسر أوّله ويُفْتَح: اسم موضع بالشّام يضاف إليه الطّور فيقال طور سيناء . وهو الجبل الّذى كلّم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السّلام ونُودِيَ فيه ، وهو كثير الشّجر[2] عن قتادة : ﴿وطور سينين﴾ قال : جبل بالشّام مباركٌ حَسَن[3] .

وهذا البلد الأمين : عن ابن عبّاس : قوله : ﴿وهذا البلد الأمين﴾ قال : مكّة[4] وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النَّخَعي وابن زيد وكعب الأحبار ولا خِلافَ في ذلك[5] والأَمِين بمعنى الآمن[6] .

ومن البيّن الإِجْماعُ على معنى طور سينين والبلد الأمين ، واختلاف العلماء بشأن معنى التّين والزّيتون . إنّ من العلماء من ذهب إلى أنّ المراد بالتّين والزّيتون الطّعامان المأكولان المعرفان ، وإنّ من العلماء من نظر إلى الآيات الكريمات الثّلاث معاً. فيما أنّ طور سينين الجبل الّذى كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السّلام ، وأنّ مكّة المكرّمة البلد الأمين الّذى بَعَثَ الله تعالى فيه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فإنّ التّين والزّيتون يصحّ أن يراد بهما المكان الّذي بَعَثَ الله تعالى فيه عيسى ابن مريم عليه السّلام ، وكأنّ المراد المكان الّذى يوجد فيه التّين والزّيتون أو الجبل . يقول –مثلاً– ابن كثير في تفسيره[7]: "وقال بعض الأئمّة : هذه مجالٌ ثلاثةٌ بَعَثَ الله في كلّ واحدٍ منها

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهان : "سين" ٢٥١ .
(٢) معجم البلدان : "سينا" .
(٣) تفسير الطّبرى ١٥٥/٤ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٥٥/٣٠ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٢٦/٤ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٥٥/٣٠ . ومعاني القرآن للفرّاء ٢٧٦/٣ .
(٧) تفسير ابن كثير ٥٢٦/٤ .

نبيّاً مرسلاً من أولى العزم أصحاب الشرائعِ الكِبار . فالأُولى مَحَلَّةُ التّين والزّيتون ، وهي بيت المقدس الّتي بَعَثَ الله فيها عيسى ابن مريم عليه السّلام . والثّاني طور سينين ، وهو طور سَيْناء الّذى كلّم الله عليه موسى بن عمران . والثّالث مكّة ، وهو البلد الأمين الّذى مَنْ دخله كان آمنا ، وهو الّذى أُرْسِلَ فيه محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم . قالوا : وفي آخر التّوراة ذِكْرُ هذه الأماكن الثّلاثة . جاء الله من طور سَيْناء . يَعْنِي الّذى كلّم الله عليه موسى بن عمران . وأَشْرَق من ساعي . يَعْنِي جَبَلَ بَيْتِ المَقْدِس الّذى بَعَثَ الله منه عيسى . واستعلن من جبال فاران ، يعنى جبال مكّة الّتى أَرْسَل الله منها محمّداً صلّى الله عليه وسلّم . فذكرهم مخبراً عنهم على التّرتيب الوُجُوديّ بحسب ترتّبهم في الزّمان . ولهذا أقسم بالأَشْرَفِ ثم الأَشْرَفِ منه ثمّ بالأَشْرَفِ منهما"

ومن العلماء الّذين وَقَفُوا عند الجمع في نسقٍ بين هذه الأماكن الثّلاثة للنّبيّين الثّلاثة ، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . الإمام المهتدى السَّمَوْءَل بن يَحْيَى المَغْرِبيّ المُتَوَفَّى سنة ٥٧٠ في كتابه النّفيس إفحام اليهود[١] وممّا جاء في هذا الكتاب تحت العنوان المتعلّق بالتّوراة[٢] : ذِكْر الموضع الّذى أشير فيه إلى نبوّة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السّلام" القول : "قال : إنّ الله تعالى من سَيْناء تَجَلَّى ، وأَشْرَقَ نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسى[٣] .

---

(١) إفحام اليهود وقصّة إسلام السّموءل بن يحيى المغربى (٥٧٠هـ) تقديم تحقيق تعليق الدّكتور محمّد عبدالله الشّرقاوى ، طبع ونشر الرّئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد. الرّياض . المملكة العربية السّعوديّة ١٤٠٧هـ .

(٢) إفحام اليهود ١١٨ وقد تحدّثنا في هذه المسألة في كتابنا : دحض بعض أفتراءات دائرة المعارف اليهوديّة ٧٨– ٨٠ رابطة العالم الإسلامي ١٤١١ .

(٣) جاء في نظم الدّرر للبقاعى ١١١/٨ : "ومعه ربوات ، أي جماعات الأطهار .

وهم يعلمون أنّ جبل سيعير هو جبل الشّراة الّذى فيه بنو العيص الّذين آمنوا بعيسى عليه السّلام . بل في هذا الجبل كان مقام المسيح ، عليه السّلام . ويعلمون أنّ سَيْناء ، هو جبل الطّور ، لكنّهم لا يعلمون أنّ جبل فاران هو جبل مكّة .

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثّلاثة الّتى كانت مقام نبوّة هؤلاء الأنبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدّى إلى الأمر باتّباع مقالتهم .

فأمّا الدّليل الواضح من التّوراة على أنّ جبل فاران هو جبل مكّة ، فهو أنّ إسماعيل لمّا فارق أباه الخليل عليه السّلام ، سكن إسماعيل في برّيّة فاران . ونَطَقَتِ التّوراة بذلك في قوله .... تفسيره " وأقام في برّيّة فاران ، وانكحته أمّه امرأةً من أرض مصر . فقد ثبت في التّوراة أنّ جبل فاران مسكنٌ لآل إسماعيل .

وإن كانت التّوراة قد أشارت في الآية الّتى تَقَدَّمَ ذكرها إلى نبوّة تنزل على جبل فاران ، لزم أنّ تلك النّبوّة على آل إسماعيل ، لأنّهم سكّان فاران . وقد علم النّاس قاطبةٌ أنّ المشار إليه بالنّبوّة من ولد إسماعيل محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم ، وأنّه بُعِث من مكّة الّتى كان فيها مقام إسماعيل .

فدلّ ذلك على أنّ جبال فاران هي جبال مكّة ،وأنّ التّوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوّة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وبَشَّرَتْ به" إلاّ أنّ اليهود لجهلهم وضلالهم لا يُحْسِنُون الجمع بين هاتين الآيتين ، بل يسلّمون المقدّمتين ويجحدون النّتيجة لفرط جهلهم . وقد شَهِدَتْ عليهم التّوراة بالإفلاس من الفِطْنَةِ والرَّأْي.... ذلك قوله تعالى .....تفسيره إنّهم كَشَعْبٌ عادم الرّأي وليس فيهم فِطانة" .

ومن العلماء الّذين وقفوا عند هذه المسألة مليّاً وبيّنوا أنّ التّوراة حينما أشارت إلى هؤلاء الثّلاثة من أولى العزم من الرّسل ، موسى وعيسى ومحمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد راعت التّرتيب الزّمنى ، وأنّ القرآن الكريم في إشارته في سورة التّين إلى هؤلاء الثّلاثة من المُصْطَفَيْن الأَخْيار قد أقسم بها على وجه التّدريج درجةً بعد درجة فختمها بأعلى الدّرجات ، من هؤلاء العلماء ابن تيمية في الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح[١] وابن القيّم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى[٢] وممّا قال ابن تيمية بشأن آية التّوراة[٣] : "ذكر هذا بالتّوراة على التّرتيب الزّمانى ، فذكر إنزال التّوراة ، ثمّ الإنجيل ، ثمّ القرآن . وهذه الكتب نور الله وهداه " وممّا قال ابن تيمية أيضاً بشأن سورة التّين[٤] : "فأقْسَمَ بالتّين والزّيتون ، وهو الأرض المقدّسة الّتى يَنْبُتُ فيها ذلك . ومنها بعث المسيح وأنزل عليه فيها الإنجيل . وأَقْسَمَ بِطُورِ سينا ، وهو الجبل الّذى كلّم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشّجرة . وأَقْسَمَ بالبلد الأمين وهي مكّة ، والبلد الّذى أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمّه ، وهو الّذي جعله الله حَرَماً آمِناً ويُتَخَطَّفُ النّاس مِنْ حَوْلِهِمْ ، وجعله آمناً ، خَلْقاً وأمراً ، قَدَراً وشرعاً . فإنّ إبراهيم حرّمه ودعا لأهله" .

لقد خلقنا الإنسان في أحسن ت قويم : هذا جواب القسم[٥] عن ابن عبّاس :

---

(١) الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفّى سنة ٧٢٨هـ مطبعة المدنى بالقاهرة بدون تاريخ ٦/٢ و ١٧١ و ٢٩٩/٣-٣١٤ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى للإمام ابن قيّم الجوزيّة المتوفّى سنة ٧٥١ طبع في مؤسّسة مكّة للطّباعة والإعلام ، من مطبوعات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة سنة ١٣٩٦هـ ص٥٣ .

(٣) الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح ٣٠١/٣ .

(٤) الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح ٣٠٢/٣ .

(٥) تفسير الطّبرى ١٥٥/٣٠ وقال ابن كثير في التفسير ٥٢٧/٤ : "هذا هو المُقْسَمُ عليه "

﴿في أحسن تقويم﴾ قال : في أعدل خلقٍ[١] وعن مجاهد : في أحسن صورة[٢]

ثمّ رددناه أسفل سافلين : عن مجاهد : ﴿ثمّ رددناه أسفل سافلين﴾ قال : النّار[٣] وقال الحسن : جهنّم مأواه[٤] ثمّ بعد هذا الحُسْنِ والنَّضارة مصيره إلى النّار إن لم يطع الله ويتّبع الرّسل[٥] والسُّفْل : نقيض العُلْو في التَّسَفُّل والتَّعَلِّي . والسّافلة : نقيض العالية في الرّمح والنّهر وغيره . والسافل : نقيض العالى . والسِّفْلة نقيض العِلْية . والسَّفال : نقيض العَلاء . قال ابن سيده : و الأسفل نقيض الأعلى ، يكون اسماً وظَرْفاً[٦]

فلهم أَجْرٌ غير ممنون : عن ابن عبّاس في قوله : ﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ يقول : غير منقوص[٧] وقيل غير مقطوع[٨] .

فما يكذّبك بعد بالدّين : بعد ظرف مَبْنِيٌّ على الضّمّ في محلّ نصب متعلّق بـ : ﴿يكذّبك﴾ . وأصل الكلام : ما يكذّبك بعد ذكر خلق الإنسان وردّه[٩] بالدّين : بالجزاء والحساب . ومنه قولهم : كما تَدِينُ تُدان[١٠]

أليس الله بأحكم الحاكمين : أليس الله يا محمّد بأحكم من حكم في أحكامه

---

(١) تفسير الطّبرى ١٥٦/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٥٦/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٥٧/٣٠ وانظر معانى القرآن للفقراء ٢٧٧/٣ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٥٧/٣٠ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤ وطبعة دار الشّعب ٤٥٧/٨ .
(٦) لسان العرب : "سفل" .
(٧) تفسير الطّبرى ١٥٩/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبرى ١٥٩/٣٠ .
(٩) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٠٥/١٣ .
(١٠) تفسير الطّبرى ١٦٠/٣٠ .

وفصل قضائه بين عباده[1]لا يجور ولا يظلم أحداً . ومِنْ عَدْلِهِ أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدّنيا ممّن ظلمه[2] ذُكِرَ لنا أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا قرأها قال : بَلَى وأنا على ذلك من الشّاهدين[3]

يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال ، والله تعالى أعلم ، ببيت المقدس ، المكان المشهور بزراعة التّين الفاكهة المعروفة ، والزّيتون ، الطّعام المعروف ، والمكان الّذي بَعَثَ الله تعالى فيه عيسى ابن مريم عليه السّلام . كما يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال بطور سينين وهو جبل الطّور في شبه جزيرة سيناء .

وهذا الجبل الكثير الشّجر قد كلّم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السّلام ونودي فيه . كما يُقْسِمُ ربّ العزّة بهذا البد الأمين الآمن الحرام مكّة المكرّمة الّتى بَعَثَ فيها خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم الّذى كان آنذاك بمكة المكرّمة البلد الأمين . ومن هنا كان لاسم الإشارة الدّالّ على القرب : "هذا" أبلغ الأثر في تبيين قرب هذا البلد والحبيب الّذى فيه صلّى الله عليه وسلّم مكاناً ومكانةً .

أمّا جواب القَسَم وأمّا المُقْسَمُ عليه فالقول : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ والمعنى أنّ ربّ العزّة والجلال قد خَلَق الإنسان في أحسن صورةٍ وأعدل قوم . والمفروض في هذا الإنسان أن يقوم بما يجب عليه من شكرِ لله تعالى على نعمه وآلائه

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٠/٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٦٠/٣٠ وانظر تفسير ابن كثير ٥٢٧/٤ .

عليه . ولمّا كان الكثير من عباد الله تعالى هو الكافر الكفور فقد أشارت الآية الكريمة : "ثمّ رددناه أسفل سافلين﴾ إلى هذا الجنس من النّاس . إنّه الّذى انحط في النّار إلى أسفل سافلين وأحطّ الدّركات بسبب انحطاط عمله في الحياة الدّنيا وسلوكه أسفل سافلين وأحطّ الدّركات .

ويَسْتَثْنِي السّياق الّذين آمنوا بقلوبهم وعمل الصّالحات بجوارحهم إنّ لهؤلاءِ أجْراً غير مقطوت وثواباً غير ممنوع .

ولمّا كان القادِرُ على الخلق ابتداءً قادراً على الخلق عَوْدَةً كان ثمّة تحوّلٌ إلى ذلك الإنسان الجنس الكافر والمستكبر وسؤالٌ أنكاريّ له : مالّذي يحملك على التّكذيب بيوم الجزاء وإنكار الحساب بعدما تَقرّر من عمليّات الخلق والأمر والتّدبير والجزاء . إنّ لسان الحال يطلب من كلّ إنسان" أن يُسْلِمَ الله تعالى ربّ العالمين .

والله سبحانه وتعالى الّذى يحاسب وَحْدَهُ لا شريك له يوم القيامة عباده لا يظلم أحداً بحذف سنةٍ أو إضافة سيّئة . إنّه جلّ وعلام هو أحكم الحاكمين ، وأَقْضىَ القاضِين ، وأعدل العادلين

سورة العَلَق

سورة العَلَق المكّيّة[1] تُعْنَى كسائر المكّيّ من القرآن الكريم بأسس العقيدة . وإنّ الآيات الخمس الأُوَل من السّورة الكريمة أوّل ما نزل من القرآن الكريم على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وفي هذه الآيات الكريمات الخمس عنايةٌ فائقةٌ بالقراءة ، والكتابة أو الخطّ بالقلم ، وبالعلم . وفي ذلك كَبِيرُ دلالةٍ على عناية الإسلام الفائقة بالعِلْم . وممّا لفتت السّورة الكريمة الانتباه له في مجال الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم النّصّ على إحْدى مراحل خَلْقِ الإنسان في بطن أمّه ، وهي مرحلة كونه عَلَقَةً وقطعةً من الدّم جامدةً عالِقَةً بالرَّحِم ، والنّصّ على النّاصية الكاذبة الخاطئة دليلاً على كذب صاحبها أبي جهل وخطئه . إنّ نصّ القرآن الكريم على العَلَقَةِ وعلى النّاصية الكاذبة الخاطئة قبل أربعة عشر قرناً من مظاهر إعجاز هذا الكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد " إنّ أطوار الجنين في بطن أمّه وإنّ دور النّاصية ، ويراد بها أساساً موضع نموّ شعر النّاصية ، في سلوك الإنسان ، وإنّ تأثيرها بإرادة الله تعالى في صفاته ، لم يتبيّن العلم الحديث كلّ ذلك إلاّ في القَرْنَيْن الأخِيرَيْن . والمعروف أنّ عهد البعثة المحمّديّة عهد الرّكود العلميّ عالَمِيّاً ممّا هو دليلٌ على أنّ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة موحًى بهما من ربّ العالمين . إن السّياق يأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وكلّ مسلمٍ لِلّه ربّ العالمين أن يقرأ باسم ربّه جلّ وعلا الّذى خَلَقَ كلّ شيءٍ وحيّ وخَلَقَ الإنسان من عَلَق . وهكذا تكون القراءة في الإسلام مقرونةً باسم الله تعالى من أجل أنبل

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير الطّبرى ١٦١/٣٠ وتفسير ابن كثير ٥٢٧/٤ والجلالين وصحيح البخاري ٢١٤/٦ و٣/١ وصحيح ١٩٧/٢ وفتح البارى ٧١٤/٨٧ و ٢٣/١ وأسباب النّزول ٥٣١ والبحر المحيط ٤٩١/٨ وتفسير القرطبى ٧٣٠٧ .

غاية وأسمى هدف . وإذا كانت صِفَةُ الخَلْقِ في حقِّ الذّات العليّة قد اقترنت بأمر القراءة الأوّل فإنّ صِفَة الكَرَم قد اقترنت بأمر القراءة الثّانى . وإذا كانت صفة الخلق قد اختارت مظهراً من أهم مظاهر هذه الصّفة وهي خلق الإنسان ، فإنّ صفة الكَرَم قد اختارت هي الأخرى مظهراً من أهم مظاهر هذه الصّفة وهي تعليم الله تعالى الإنسان الخَطَّ بالقَلَم والكتابة ، وتَعْلِيمُهُ ما لم يعلم . ولمّا كان ربّ العزّة إنّما خلق الجنّ والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له وكان مفهوم العبادة في الإسلام واسعاً إلى أبعد الدّرجات بحيث إنّه يشمل كلّ عملٍ صالحٍ يريد به الإنسان وجه ربّه الأَعْلَى ، بما في ذلك القراءة والكتابة وطلب العلم ، لذا كان ثمّة تنبيهٌ لذلك الإنسان الّذى ظنّ غير ذلك وتقريرٌ بأنّ جنس الإنسان غَيْرِ الموصول بالله تعالى ليطغى لأن رأى نفسه استغنى . إنّ عليه أن يعلم أنّ إلى الله تعالى الرّجوع والمصير ، وأن يعمل وفق ذلك العِلْم . ولا يكاد العجب ينتهى من أي جهل وأمثاله من الضّالين المضلّين حينما ينهى أبو جهل عليه لعنة الله تعالى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عبد الله تعالى ورسوله عن الصّلاة والسّجود لربّ العالمين . كما لا يكاد العجب ينتهى من كون المنهيّ عن الصّلاة هو الّذى على الهُدَى ، والّذى يأمر الآخرين بتقوى الله تعالى . ولا يكاد العجب ينتهى كذلك من ذلك الّذى يكذّب بآيات الله تعالى ويُعْرِضُ عنها . إنّ هذا الضّالّ المضلّ ومن هو على شاكلته عليه أن يعلم بأنّ الله تعالى يرى كلّ ما يقول ويفعل وسيجازيه على كلّ ذلك . إنّ الأمر ليس كما يظنّ الضّالّ المضلّ المنكر للبعث والجزاء ، وهو إن لم ينته عن تكذيبه وتعمّده ارتكاب الأخطاء والآثام لنجذبنّ بشدة شعر مقدّم رأسه فلنضعن جبهته وأنفه في الرَّغام . إنّ ناصية ذلك المكذّب الخاطىء كاذبةٌ مثله وخاطئة . وهو إذا كان يدعو قومه الكافرين للصَّدِّ عن سبيل الله

تعالى فإنّا سندعو زَبانِيَّة جهنّم وملائكة العذاب كي يذوق وبال أمره . إنّ الأمر ليس كما ظنّ ذلك الكافر الصّادّ عن سبيل الله تعالى النّاهي عن الصّلاة والمعروف بأنّ عبدنا سوف يطيعه إنّ عليك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم أن تسجد لنا وأن تقترب منّا بفعل الصّالحات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

هذه الآيات الخمس الأُوَل من سورة العَلَق أوّل ما نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من آي الذّكر

سبب النّزول

رَوَى البخاريّ في صحيحه[١] عن عروة بن الزّبير عن عائشة أمّ المؤمنين أنّها قالت: أوّل ما بُدِىءَ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي الرّؤيا الصّادقة[٢] في النّوم ، فكان يلا يَرَى رؤيا إلاّ جاءَتْ مثل فَلَق الصُّبح[٣] ثمّ حُبِّبَ إليه الخَلاء[٤] وكان يخلو بغار حِراء[٥] فيتحنّث فيه[٦] –وهو التّعبّد– اللّياليَ ذواتِ العَدَد[٧] قبل أن يَنْزِع[٨] إلى أهله ويتزوّد لذلك ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد عليها ، حتّى جاءه

---

(١) صحيح البخارى ٣/١ فتح البارى ٢٢/١ حديث رقم ٣ وانظر صحيح مسلم ١٩٧/٢ وتحقيق محمّد فؤاد عبدالباقى ١٣٩/١ حديث رقم ٢٥٢ .

(٢) الرّؤيا الصّادقة رواية الحديث في صحيح البخارى ٢١٤/٦ وفتح البارى ٧١٥/٨ حديث رقم ٤٩٥٣ والرّواية هنا : الرّؤيا الصّالحة .

(٣) مِثْلَ : منصوبٌ على الحال ، بمعنى مُشْبِهة . وفقل الصّبح ضياؤه . وخصّ بالتّشبيه لظهوره الواضح الّذي لا شكّ فيه . فتح البارى .

(٤) الخلاء بالمدّ الخلوة . والسّرّ فيه أنّ الخلوة فراغ القلب لما يُتَوَجَّهُ له . فتح .

(٥) حراء : جبل معروفٌ بمكّة . وهو أعلى جبالها . والغار نقبٌ في الجبل وجمعه غيران . فتح ومن غار حراء يُرَى البيت العتيق قبل التّوسعة الأخيرة .

(٦) التّحنّث إلقاء الحِنْث وهو ، كما قيل : يتأثّم ويتحرّج ونحوهما . وقيل هي بمعنى يتحنّف ، أي يتبع الحنيفيّة وهي دين إبراهيم ، والفاء تبدل ثاءً في كثير من كلامهم . فتح .

(٧) مدّة الخلوة شهرٌ ، هو شهر رمضان . فتح .

(٨) ينزع بكسر الزّاي أي يرجع ، وزناً ومعنًى . فتح .

(٩) التّزوّد : استصحاب الزّارد . فتح .

(١٠) خديجة هي أمّ المؤمنين ، بنت خويلد بن أسد بن عبدالعُزَّى . فتح .

الحقّ[١] وهو في غار حراء ، فجاءه المَلَك[٢] فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء[٣] قال : فأخذنى فغطّنى[٤] حتّى بلغ منّى الجَهْد ثمّ أرسلنى[٥] فقال : اقْرأ . قلت : ما أنا باقرىء . فأخذنى فغطّنى الثّانية حتّى بلغ منّى الجَهْد ثمّ أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطّنى الثّالثة ثمّ أرسلنى فقال : ﴿اقرأ باسم ربّك الّذى خلق . خلق الإنسان من عَلَق . اقرأ وربّك الأكرم . الّذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[٦] فرجع بها[٧] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَرْجُفُ فُؤادُه ، فدخل على خديجة بنت خويلدٍ ﵂ فقال : زمّلونى زمّلونى . فزمّلوه[٨] حتّى ذهب عنه الرَّوْع[٩] فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى[١٠] فقالت خديجة : كَلاَّ [١١] والله ما يُخْزِيك[١٢] اللهُ أبداً: إنّك لتصل الرَّحِم ، وتَحْمِلُ الكَلّ[١٣] وتَكْسِب

---

(١) حتّى جاءه الحقّ : أي الأمر الحق . فتح .
(٢) المَلَك : هو جبريل عليه السّلام . فتح . وقد ثبت في صحيح مسلم (انظر –مثلاً– ٢٠٨/٢ و ٢٠٩ فما بعدهما) وتحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي ١٤٣/١ الأحاديث ٢٥٥ – ٢٥٨ عن عائشة مرفوعاً : لكم أراه – يعنى جبريل – على صورته الّتى خُلِق عليها إلاّ مرّتين . وبيّن أحمد في حديث ابن مسعود أنّ الأُولَى كانت عند سؤاله إيّاه أن يريه صورته الّتى خلق عليها . والثّانية عند المعراج. وللتّرمذيّ عن عائشة : لم ير محمّدٌ جبريل في صورته إلاّ مرّتين ، مرّةً عند سدرة المنتهى ، ومرّةً في أجياد . فتح . وأجياد شرقيّ المسجد الحرام .
(٣) ما انا بقارىء : أي ما أُحْسِن القراءة . وما نافية . فتح .
(٤) الغط حبس النَّفس ، ومنه غطّه في الماء ، والمعنى : ضَمَّنى وعَقَرَنِى. انظر فتح . .
(٥) ثمّ أرسلنى : أي أطلقنى . فتح .
(٦) جاء هنا ثلاث آيات وجاء في حديث رقم ٤٩٥٣ خمس بيات . وقد أكملنا الآيات الكريمات
(٧) فرجع بها : أي بالآيات أو القصّة . فتح .
(٨) فزمّلوه : أي لفّوه . فتح . والمزّمّل : المتزمّل في ثوبه . مفردات الرّاغب : "زمل" .
(٩) الرّوع ، بفتح الرّاء : الفزع . فتح .
(١٠) خشيت على نفسى : الموت من شدّة الرّعب . فتح .
(١١) كلاَّ : معناها النّفي والإبعاد . فتح .
(١٢) ما يخزيك ، من الخِزْي ، (فتح) وهو انكسار النّفس . انظر مفردات الرّاغب : "خزى" .
(١٣) الكلّ ، بفتح الكاف ، هو من لا يستقلّ بأمره . فتح .

المعدوم[1] وتَقْرِى الضّيف ، وتُعين على نوائب الحقّ[2] فانطَلقت به خديجة حتّى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعُزّى –ابن عمّ خديجة– وكان امرءاً تنصَّرَ في الجاهليّة، وكان يكتب الكتاب العِبْرانيّ ، فيكتب من الإنجيل بالعِبرانيّة ما شاء الله أن يكتب[3] وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابنَ عمّ اسمع من ابن أخيك[4] فقال له ورقة : يا ابنَ أخى ماذا تَرَى ؟ فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبر ما رَأى . فقال له ورقة : هذا النّاموس[5] الّذي تزّل الله على موسى[6] يا ليتنى فيها جَذَعا[7] ليتنى أكون حيّاً إذ يُخْرِجك قومك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟[8] قال نعم ، لم يأت رجلٌ قطّ بمثل ما جئت به إلاّ عُودِى . وإن

---

(١) وتكسب المعدوم : جاء في صحيح مسلم بشرح النّووى ٢٠١/٢ : "وأمّا قولها : وتكسب المعدوم ، فهو بفتح التّاء ، هذا هو الصّحيح المشهور ، ونقله القاضى عِياض عن رواية الأكثرين قال : ورواه بعضهم بضمّها . قال أبو العبّاس ثعلب وابو سليمان الخطّابى وجماعاتٌ من أهل اللّغة : يقال : كسبت الرّجل مالاً وأكسبته مالاً لغتان أفصحهما باتفاقهم كسبته بحذف الألف . وامّا معنى تكسب المعدوم فمن رواه بالضّمّ فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إيّاه تبرّعاً فحذف أحد المفعولين ... وأمّا رواية الفتح .... وقيل معناها تكسب المال المعدومَ... وأمّا صاحب التّحرير فجعل المعدوم عبارةً عن الرّجل المحتاج المعدم العاجز عن الكسب" .

(٢) وتعين على نوائب الحقّ : كلمة جامعة لأفراد ما تقدّم ولما لم يتقدّم . فتح .

(٣) وإنّما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه لأنّ حفظ التّوراة والإنجيل كم يكن متيسّراً . فتح .

(٤) قالت ذلك لأنّ والد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عبدالله بن عبد المطّلب وورقة في عدد النّسب إل قُصَيّ بن كلاب الّذي يجتمعان فيه سوء ، فكان من هذه الحيثيّة في درجة إخوته . أو قالته على سبيل التّوقير لِسِنّه . فتح .

(٥) النّاموس صاحب السّرّ . والمراد به هنا جبريل عليه السّلام . فتح

(٦) لم يقل على عيسى مع كونه نصرانيّاً لأنّ كتاب موسى عليه السّلام مشتملٌ على أكثر الأحكام ، بخلاف عيسى . فتح .

(٧) الجَذَع ، بفتح الجيم والذّال المعجمة ، وهو الصّغير من البهائم ، كأنّه تمنّى أن يكون عند ظهور الدّعاء إلى الإسلام شابّاً ليكون أمكن لنصره . فتح .

(٨) استبعد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجوه لأنّه لم يكن فيه سببٌ يقتضى الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق الّتى تقدّم من خديجة وصفها . فتح .

يُدْرِكْنِي يَوْمُك[1]أنْصُرْك نَصْراً مؤزَّرا[2] ثم لم يَنْشَبْ[3]ورقة أن توفِّي وفَتَرَ الوحي[4] .

وحَكَى البيهقيّ أنّ مدّة الرّؤيا كانت ستّة أشهر . وعلى هذا فابتداء النّبوّة بالرّؤيا وَقَعَ في شهر مولده وهو ربيع الأوّل بعد إكماله أربعين سنة . وابتداء وحي اليقظَة وقع في رمضان . وليس المراد بفترة الوحي المقدّرة بثلاث سنين وهي ما بين نزول ﴿اقرأ﴾ و ﴿يا ايّها المدّثّر﴾ عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخّر نزول القرآن فقط[5]

اقرأ باسم ربّك الّذى خلق : اقرأ يا محمّد[6]

خلق الإنسان من عَلَق : العَلَق : الدّم الجامد ، ومنه العَلَقَة الّتى يكون منها الولد . والعَلَق التَّشَبُّث بالشّيء[7] والعَلَقَة القطعة اليسيرة من الدّم الغليظ[8]

يأمر ربّ العزّة والجلال في أوّل ما نزل عليه صلّى الله عليه وسلّم من قطرات غيث القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمات الخمس يأخر حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بأن يقرأ باسم ربّه جلّ وعلا خالق كلّ شيء . ومن البيّن أنّ هذا الأمر ينسحب على كلّ فردٍ من أفراد أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، لأنّ الإسلام دين العِلْم . وها هي

---

(١) يعنى يوم الإخراج . فتح .
(٢) مؤزّرا ، بهمزة ، أي قويّا ، مأخوذٌ من الأزر وهو القوّة . فتح .
(٣) ثمّ لم يَنْشَب : بفتح الشّين المعجمة أي لم يلبث . واصل النُّشُوب التّعلّق أي لم يتعلّق بشيءٍ من الأمور حتّى مات . فتح .
(٤) فتور الوحي عبارةٌ عن تأخّره مدّةً من الزّمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان صلّى الله عليه وسلّم وجدّه من الرَّوْع ، وليحصل له التّشوّق إلى العود . وقيل إنّ فترة الوحي ثلاث سنوات . فتح
(٥) فتح البارى ٢٧/١ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٦١/٣٠ .
(٧) مفردات الرّاغب الاصفهانى : "علق" ٣٤٣ .
(٨) الجلالين .

ذى جملة الأمر بالقراءة : ﴿اقرأ﴾ أوّل ما يَأْمُرُ به ربّ العزّة والجلال . ومن البيّن كذلك أنّ العادة جربَ بأن تكون القراءة هي السّابقة على الكتابة صِنْوِها ، والمعروف أنّه يكاد يكون كلّ كاتبٍ قارئاً ولا يكاد يكون كلّ قارىءٍ كاتباً . ولا نَنْسَى أنّ القراءة قد تكون من الذّاكرة وليس من الخَطِّ والكتابة ، ولا ننسى أنّ الخطاب يتّجه أساساً إلى الرّسول النّبيّ الأمّيّ صلّى الله عليه وسلّم .

والقراءة الّتي تَأْمُرُ بها الآية الكريمة ليست أيّ قراءة ولكنّها القراءة المبدوءة باسم الله تعالى العظيم . وبهذا يتبيّن أنّ القراءة المأمور بها في الإسلام هي القراءة النّافعة، وأنّ العِلْمَ المأمورين نحن المسلمين بطلبه هو العِلْمُ النّافع المقترن باسم الله تعالى . وبهذا يكون العِلْمُ في الإسلام وسيلةً نافعةً لغايةٍ شريقة ، ومن أجل ذلك كان طلب العلم في الإسلام فريضةً على كلّ مسلم ومسلمة . وحينما يريد الإنسان بطلبه العلم النّافع وجه ربّه الأَعْلَى يثعْتَبَرُ طلبه العلم عبادةً لله تعالى ينال عليها بإذن الله تعالى التّواب الجزيل . إنّ مفهوم العبادة واسعق في الإسلام إلى أبعد الدّرجات ، فكلّ عملٍ صالحٍ يريد به الإنسان وجه ربّه الأعلى يعتبر عبادة ، فكيف بطلب العلم النّافع ، وكيف إذا عَلِمْنا أنّ أوّ قَسَمٍ في القرآن الكريم كان بالقلم ، وكيف إذا علمنا أن العلم ومشتقاتٍ هذا اللّفظ جاء في القرآن الكريم أكثر من ثمانمائة مرّة .

وممّا يُقَوّى صفة الخيرية في حق العلم وسيلةً وغاية لَفْظُ الرّبّ في الآية الكريمة الّذي يستعمل في مواقف الخصوص ، والتّنبيه إلى نِعَمِ الله تعالى وتربية عباده بها ، ووجوب قيامهم بالشّكر لله تعالى عليها . وقد اختارت الآية الكريمة من بين نعوت الحقّ جلّ وعلا

الّتى لا تُحْصَى صفة الخَلْق . وهكذا نكون بصدد أَمْرٍ وخَلْق . والمعروف أن الله تعالى وحده لا شريك له بالخلق والأمر .

وإذا كانت جملة : ﴿خلق﴾ في الآية الكريمة الأولى تشير إلى خلق الله تعالى جميع المخلوقات فإنّ الآية الكريمة التّالية تشير إلى خلق الله تعالى الإنسان من عَلَق . إنّ الإنسان يأتى على رأس قائمة المخلوقات الارضيّة ، فقد خَلَقَه جلّ وعلا في احسن تقويم وكرّمه وحمله في البرذ والبحر ورزقه من الطّيّبات وفضّله على كثير مِمَّنْ خلق جلّ وعلا تفضيلاً . وإنّ الآية الكريمة هنا تشير إلى خلق الله تعالى جنس الإنسان من عَلَق ، أي من جمٍ جامد . وهذه المرحلة من مراحل خلق الإنسان في بطن والدته حينما مرّ بمرحلة الدّم الجامد العالق بالرّحم ، هذه المرحلة هي الّتى نصّت عليها بصريح اللّفظ إحدى الآيات الخمس الّتى نزلت ابتداءً على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . إنّ هذه المرحلة وغيرها من مراحل خلق الإنسان الّتى نصّت عليها آياتٌ كريمات ، ومنها آيات سورة الحجّ[1]والمؤمنون[2] لم يكن للإنسانيّة أدنى علم بها ، فإنّ عصور ما قبل بعثة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم كانت عصور تَخَلُّف في مجال العلم . وإنّ هذه المراحل الّتى يمرّ بها الإنسان في بطن أمّه لم يقف عليها العلم إلاّ بعد تَقَدُّمِهِ المذهل خلال القرنين الأخيرين. وإنّ الإنسانيّة لتقف خاشعةً أمام هذه الحقائق العلميّة في القرآن الكريم وفي السُّنَّة النّبويّة المطهّرة ، تلك الحقائق الّتى أفصح بها الوحي قبل أربعة عشر قرناً والّتى لم تتبيّن إلاّ

---

(١) الآية ٥ .
(٢) الآيات ١٢– ١٤ .

أخيراً. إنّ كثيراً من العلماء المنصفين من غير المسلمين لم يملكوا سوى إعلان دخولهم في الإسلام وشهادة ألاّ إله إلاّ الله لا يمكن أن تأتي إلاّ عن طريق الوحي .

وإذا كان الأمر الأوّل بالقراءة المقرونة باسم الله تعالى يصحّ أن يتعلّق بدرجةٍ كبيرةٍ بالسّماع والنّطق ، فإنّ الأمر الآخر بالقراءة يتعلّق هذه المرّة بدرجة كبيرةٍ بالقلم وبحاسّة البصر . ﴿اقرأ وربّك الأكرم . الّذى علّم بالقلم . علّم الإنسان مالم يعلم﴾

إنّ ربَّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وربَّ كلّ إنسان وكلّ مخلوق ، الأكرم من كلّ كريم ، يتجلّى كرمه في تعليم الإنسان الخَطَّ والكتابةَ بالقَلَم . ما أعظم القراءة، وما أعظم الكتابة بالقلم ، وما أكرم الله تعالى بتعليم عباده القراءة والكتابة وتعليمهم ما لم يعلموا سواسطة القراءة والكتابة اللّتين امتنّ الله تعالى عليهم بهما ، وبالعلم الّذى فضّل الله تعالى به آدم عليه السّلام على الملائكة الكرام البَرَرَة .

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦
أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي
يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ
۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ
يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ
۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ
ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩

كلاّ إنّ الإنسان ليطغى : ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان . أن يُنْعَمَ عليه ربّه بتسويته خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم وإنعامه بما لا كفء له ثمّ يكفر بربّه الّذى فعل به ذلك ويَطْغَى عليه[١]

أن رآه استغنى : إنّ الإنسان ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه فيكفر به لأن رأى نفسه استغنت[٢]

إنّ إلى ربّك الرّجعى : إنّ إلى ربّك يا محمّد مرجعه فذائقٌ من أليم عقابه ما لا قِبَلَ له به[٣] فالرُّجعى بمعنى الرُّجُوع[٤] .

أرأيت الّذى ينهى . عبداً إذا صلّى : جاء في صحيح البخارى[٥] عن عكرمة قال ابن عبّاس قال أبو جهل : لئن رأيت محمّداً يصلّى عند الكعبة لأطأنّ على عنقه ، فبلغ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : لوفعله لأخذته الملائكة .

أرأيت : في الثّلاثة مواضع للتّعجّب[٦] وكان يقال : لكلّ أمّةٍ فرعون ،

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢٧٨/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ .
(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : "رجع" ١٨٨ وتفسير ابن كثير ٥٢٨/٤ .
(٥) ٢١٦/٦ وفتح البارى ٧٢٤/٨ حديث رقم ٤٩٥٨ .
(٦) الجلالين وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢٧٨/٣ .

وفرعون هذه الأمّة أبو جهل[1] عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلذم يصلّى فجاءه أبو جهل فنهاه أن يصلّي فأنزل الله : ﴿أرأيت الّذى ينهى . عبداً إذا صلّى﴾ إلى قوله : ﴿كاذبةٍ خاطئة﴾[2]

أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتّقوى : أرأيت إن كان محمّد على الهدى ، يعنى على استقامةٍ وسداءٍ في صلاته لربّه : ﴿أو أمر بالتّقوى﴾ أو أمر محمّد هذا الّذى ينهى عن الصّلاة باتّقاء الله وخوف عقابه[3] .

أرأيت إن كذّب وتولّى : أرأيت إن كذّب أوب جهل بالحقّ الّذى بَعَث به محمّداص ﴿وتولّى﴾ يقول : وأدبر عنه فلم يصدّق به[4] .

كلاّ لئن لم ينته : ليس كما قال إنّه يطأ عنق محمّد . يقول : لا يقدر على ذلك ولا يصل إليه[5] .

لنسفعن بالنّاصية : سفع بناصيته ورجهل يَسْفَع سفعاً : جذب وأخذ وقبض . وفي التّنزيل : ﴿لنسفعن بالنّاصية . ناصيةٍ كاذبة﴾ ناصيته : مقدّم رأسه ، أي لنصهرنّها ولنأخذنّ بها أي لنُقْمِئَنَّه ولندلّنّه[6] والنّاصية : مقدّم الرّأس[7]

ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة : وصف النّاصية بالكذب والخطيئة ، والمعنى لصاحبها[8]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ وانظر أسباب النّزول ٥٣١ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٦٤/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٦٤/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٦٤/٣٠ .
(٦) لسان العرب : "سفع" .
(٧) معانى القرآن للفرّاء ٢٧٩/٣ وتفسير الطّبرى ١٦٤/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبرى ١٦٤/٣٠ .

وإنّ وصف الآية الكريمة النّاصية بأنّها كاذبة خاطئة ، والمراد صاحبها كما تبيّن ، لفت العلماء المعنيّين بالإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة إلى هذا التّعبير الفريد . إنّ النّاصية كما يقول الفرّاء هي مقدَّم الرّأس ، وكما يقول الأزهريّ : النّاصية عند العرب مَنْبِت الشّعر في مقدّم الرّاس ، لا الشّعر الّذى تسمّيه العامّة النّاصية . وسمّي الشّعر ناصية لنباته من ذلك الموضع[1] وهكذا يتبيّن أنّ النّاصية تُطْلق في الأصل على المكان الّذى ينبت فيه الشّعر في مقدّم الرّأس . ثمّ أطلق لفظ النّاصية على الشّعر نفسه في ذلك الموضع .. وما الّذى لفت الانتباه في الآية الكريمة : ﴿ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة﴾ ؟ نسبة الكذب وتعمّد ارتكاب الخطأ إلى النّاصية ذاتها . فما هو الشّىء الكامن وراء هذه النّاصية أي منطقة أَعْلَى الجهة؟ وما هو العضو الخفيّ هنالك المسئول عن شخصيّة الفرد والمتحكّم في تصرّفاته وأفعاله من صدقٍ وكذبٍ وصوابٍ وخطأ ، والّذى يمكن بالهَيْمَنَةِ عليه السّيطرة على الشّخص نفسه ؟ هذه هي الأسئلة الّتى طَرَحَها المختصّون[2] وبدراسة التّركيب التّشريحيّ لمنطقة أعلى الجبهة وجد أنّها يتكوّن من أحد عظام الجمجمة المسمّى العظم الجَبْهِيّ ، ومهمّته حماية الفَصّ الجبهيّ أو الأماميّ للمخّ ، وهو فَصٌّ كبير يحتوى على عدّة مراكز عصبيّة تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة[3] ويقال إنّ النّمو الضّخم لِلْفَصِّ الأماميّ للمخّ يميّز المخّ الآدميّ خاصّة .

---

(١) انظر لسان العرب : "نصا"

(٢) الإعجاز العلميّ في النّاصية ٧ المجلس الأعلى العالميّ للمساجد . هيئة الاعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة برابطة العالم الإسلاميّ بمكّة المكرّمة ٢٥– ٢٨صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٨–٢١ اكتوبر سنة ١٩٨٧م .

(٣) الإعجاز العلميّ في النّاصية ٨ .

وهذا يدلّ على أنّ مخّ الإنسان وَحْدَهُ هو الّذى يحتوى على فَصٍّ أماميّ كبير . ولا شىء غير الإنسان له هذه الخاصّة[1] وبذلك تكون القشرة الأماميّة الجبهيّة هي المُوَجِّهَة لبعض تصرّفات الإنسان الّتى تَنِمُّ عن شخصيّة ، مثل الصّدق والكذب والصّواب والخطأ إلخ . وهي الّتى تميّز بين بعض هذه الصّفات وبعضها الآخر ، وهي أيضاً الّتى تحثّ الإنسان – على المبادَأَة سواءً بالخير أو بالشّرّ . وهذه القشرة هي الّتى كانت تحثّ أبا جهل لعنه الله على أن يتوعّد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الصّلاة عند البيت .[2]

فليدع نادية : قومه[3] عن ابن عبّاس قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّى عند المقام فمرّ به أبو جهل بن هشام فقال : يا محمّد ، ألم أنهك عن هذا وتوّعده ، فأغلظ له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانتهره ، فقال : يا محمّد ، بأيّ شيءٍ تهدّدنى؟ أما والله إنِّى لأكثر هذا الوادى نادياً . فأنزل الله : ﴿فليدع ناديه ، سندع الزّبانية﴾[4]

سندع الزّبانية : الزّبانية : الملائكة[5] قال ابن عبّاس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال التِّرمذيّ : حسنٌ صحيح[6] .

كلاّ لا تطعه واسجد واقترب : لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصّلاة لربّك واسجد لربّك واقترب منه بالتّحبّب إليه بطاعته ، فإنّ أباجهل لن يقدر على

---

(١) الإعجاز العلميّ في النّاصية ١٠ .
(٢) الإعجاز العلميّ في النّاصية ١٢ .
(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٧٩/٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٦٥/٣٠ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ .

ضرّك ونحن نمنعك منه[1]

حقّاً[2] إنّ الإنسان الجنس ليطغى ، ويتجاوز قدره ويبغي ، لأن رأى نفسه استغنى بقليلٍ من مالٍ أو سلطان . ويخاطَبُ هذا الإنسان الكفور للنّعم الكنود بأنّ إلى ربّه جلّ وعلا المرجع والمصير يوم القيامة . ويضرب أبو جهل المثل على ذلك الإنسان الكافر والكفور إلى الحدّ الّذى يُتَعَجَّبث من إصراره على الخطأ وعلى السّير في الطّريق الّذى يفضى به إلى الهاوية في نار الجحيم ، كما يُتَعَجَّبُ من إصراره على الصّدّ عن سبيل الله تعالى وعلى التّكذيب والإعراض . إنّ السّياق بخاطب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وكلّ مسلمٍ لله تعالى ربّ العالمين ثلاث مرّاتٍ بجملة : "أرأيت" الّتى تفيد التّعجّب . أرأيت أبا جهلٍ الّذى ينهى عبداً من عبادنا هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم إذا صلّى الله ربّ العالمين . أرأيت إن كان هـ ذا المنهيّ هو الّذى على طريق الهدى وأمر الآخرين بتقوى الله تعالى . أرأيت إن كان هذا النّاهي قد كَذَّبَ بآيات الله تعالى وأَعْرَضَ عمّن دعاه إلى الله تعالى وهداه إلى الصّراط المستقيم ، وذلكم الدّاعي والهادى محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم . ألم يعلم هذا المكذِّب المعرض بأنّ الله تعالى يرى ما صدر منه ويعلم كفره وصدّه عن سبيل الله تعالى وسيجازيه ويعذّبه . حقّاً إنّ الأمر ليس كما يظنّ ذلك النّاهي الآثم بأنّه ليس ثمّة حسابٌ ولا جزاء . إنّه إن لم ينته عن سَفَهِه ويكفّ عن كفره وصدّه لنأخذنّ بناصيته أخذاً ، ولَنُمَرِّغَنَّ أنفه في الرَّغام ، ولنجزّنّ تلك النّاصية الكاذبة الخاطئة فكان صاحبُها المكذّبض والمتعمّد لارتكاب الأخطاء والحريص على مواصلة السّير في طريق الضّلال . فليدع ذلك الكافر الصّادّ عن سبيل الله تعالى قومه الضّالين عن

(١) تفسير الطّبرى ١٦٦/٣٠ .
(٢) الجلالين .

سواء السّبيل على شاكلته ، فإنّا في المقابل سندعو زبانية جهنّم وملائكة العذاب كي يأخذوه أخذاً شديداً ، ويعذّبو عذاباً أليماً . وفي مقابل ناصية أبي جهل الّتى تحمله على الكذب وارتكاب الخطأ والّتى تثوضَعُ رغماً عن صاحبها في الرَّغام بوضع جبهته ووجهه فيه ، يقرّر السّياق أنّ الأمر ليس كما يزعم أبو جهل ذو النّاصية الكاذبة الخاطئة ، فعلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عبدالله تعالى الّذى هو على الهدى ألاّ يطيع ذا النّاصية الكاذبة الخاطئة وأن يسجد الله تعالى في الصّلاة وفي غير الصّلاة بوضع أنفه وجبهته ومنبت ناصيته على الأرض ، وأن يقترب من الله تعالى بإتيان كلّ ما يحبّه الله تعالى ويَرْضاه .

سورة القَدْر

سورة القَدْر من المكّيّ من القرآن الكريم[1] وإنّ ربّ العزّة والجلال ليبيّن في أسلوب العظمة باستعمال ضمير جماعة المتكلّمين مرّتين اثنتين في الآية الكريمة الأولى أنّه هو جلّ وعلا الّذى أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر العظيمة الشّأن من شهر رمضان المبارك . والقَدْرُ بمعنى الحكيم والقضاء ، وبمعنى عظمة المنزلة ورفعة الشّأن . وكما أفاد ضمير جماعة المتكلّمين عظمة الشّأن في حقّ الذّات العلِيّة ، أفاد ضمير المفرد الغائب العائد إلى القرآن الكريم الّذى يلم يَسْبِقْ له ذِكْر ، وأفاد السّؤال في الآية الكريمة : ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ إنّ ثواب قيام ليلة القدر وصيام نهارها وعمل الصّالحات خيرٌ من ثواب عمل الصّالحات لألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر . إنّ جبريل عليه السّلام والملائكة الكرام البررة تنزّلون بإذن ربّهم جلّ وعلا بسبب كلّ أمر يَقْضِى به الخليم الخبير في تلك اللّيلة المباركة الّتى يُفْرَقُ فيها ويُفْصَلْ كلّ أمر حكيم . إنّ تلك اللّيلة المباركة الجليلة الشّأن سلامٌ وأمنٌ وطمأنينةٌ وخيرٌ ونعمة حتّى وقت طلوع الفجر .

ثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : من قام ليلة القدر إيماناص واحتساباً غُفِرَ لَهُ ما تقَدّم له من ذنبه[2]

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ والجلالين وتفسير القرطبى ٧٢١٩ والبحر المحيط ٤٩٥/٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٣١/٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٧﴾

إنّا أنزلناه : يقول تعالى ذكره : إنّا أنزلنا هذا القرآن[١]

في ليلة القدر : القدر أي الشّرف والعِظَم[٢] ابن سيده : القَدْر والقَدَر القضاء والحُكْم ، وهو ما يُقَدِّرُهُ الله عزّ وجلّ من القضاء ، ويحكم به من الأمور . قال الله عزّ وجلّ : ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ أي الحكم كما قال تعالى[٣] : ﴿فيها يُفْرَقُ كلّ أمرٍ حكيم﴾ وأنشد الأخفش لهُدْبة بنِ خَشْرَم :

ألا يا لَقومِى لِلنَّوائِبِ والقَدْرِ ولِلْأَمْرِ يَأْتِى المَرْءَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِى[٤]

يُخْبِر تعالى : أنّه أنزل القرآن ليلةَ القدر ، وهي اللّيلة المباركة الّتى قال فيها الله عزّ وجلّ[٥] : ﴿إنّا أنزلناه في ليلةٍ مباركة﴾ وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان ، كما قال تعالى[٦] : ﴿شهر رمضان الّذى أنزل فيه القرآن﴾ قال ابن عبّاس وغيره : أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا ثمّ نَزَل مُفَصَّلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنةً على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٧] قيل السّرّ

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٦/٣٠ .
(٢) الجلالين .
(٣) سورة الدّخان ٤ .
(٤) لسان العرب : "قدر"
(٥) سورة الدّخان ٣ .
(٦) سورة البقرة ١٨٥ .
(٧) تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ وانظر هنا الإتقان ١٤٦/١ فما بعدها .

في إنزاله جملةً إلى السّماء تفخيم أمره وأمر من نَزَل عليه بإعلام سكّان السّماوات السّبع أنّ هذا آخر الكتب المنزلة على خاتمِ الرّسل لأشرف الأمم ، قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم . ولولا أنّ الحكمة الإلهيّة اقْتَضَتْ وصولَه إليهم منجَّما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جُمْلَةً كسائر الكتب المنزّلة قبله . ولكنّ الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين ، إنزاله جملة ، ثمّ إنزاله مفرّقاً ، تشريفاً للمنزَّل عليه . ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز[١] .

وما أدراك ما ليلة القدر : كلّ ما كان في القرآن من قوله : ﴿وما أدراك﴾ فقد أدراه . وما كان من قوله : ﴿وما يدريك﴾ فلم يدره[٢] ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ وما أشعرك يا محمّد أيّ شيءٍ ليلة القدر[٣] على جهة التّعظيم لشأن ليلة القدر الّتى اختصّها بإنزال القرآن العظيم فيها[٤] والتّعجيب منه[٥] .

ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر : عَمَلُها وصِيامُها وقيامُها خيرٌ من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . رُوِيَ هذا عن مجاهد وقتادة بن دعامة والشّافعيّ وغير واحد[٦] والألف شهر عبارةٌ عن ثلاثٍ وثمانين سنةً وأربعة أشهر[٧] .

تنزّل الملائكة : بحذف إحدى التّاءين من الأصل[٨]

---

(١) الإتقان ١٤٩/١ .
(٢) معانى القرآن للفرّاء ٢٨٠/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٦٧/٣٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ .
(٥) الجلالين .
(٦) انظر تفسير ابن كثير ٥٣١/٤ وتفسير الطّبرى ١٦٧/٣٠ .
(٧) تفسير ابن كثير ٥٣٠/٤.
(٨) الجلالين .

والرّوح : جبريل عليه السّلام[1] أي يكثر تنزّل الملائكة والرّوح في هذه اللّيلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزّلون م تنزّل البركة والرّحمة . كما يتنزّلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بِحَلَقِ[2] الذّكر ويضعون أجنحتهم لطالب العِلْمِ بصدقٍ تعظيماً له[3] .

فيها : في اللّيلة[4] .

من كلّ أمر : قضاه الله فيها لتلك السّنة إلى قابل . و: "من" سببيّة بمعنى الباء[5]

سلامٌ هي حتّى مطلع الفجر : سلامٌ ليلة القدر من الشّرّ كلّه من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها[6] عن قتادة : ﴿سلامٌ هي﴾ قال : خيرٌ حتّى مطلع الفجر[7] ﴿حتّى مطلع الفجر﴾ إلى مطلع الفجر[8] والمَطْلَعُ بالفتح هو الطّلوع[9] جعلت سلاماً لكثرة السّلام فيها من الملائكة ، لا تمرّ بمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إلاّ سلّمت عليه[10]

يبيّن ربّ العزّة والجلال ، باستعمال أُولَى آيات السّورة الكريمة ضميرَ جماعة المتكلّمين على جهة التّفخيم والتّعظيم ، أنّه عزّ وجلّ أنزله ، أي القرآن الكريم ، الّذى يُومَأُ إليه ، على جهة التّنويه لشأنه ، بضمير المفرد الغائب ، في ليلة القَدْرِ وجليل

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٨/٣٠ والجلالين وتفسير ابن كثير ٥٣١/٤ .
(٢) الحَلق بفتح الحاء واللّام وبكسر الحاء وفتح اللّام جمع حَلْقة وهو كلّ شيءٍ استدار . لسان العرب : "حلق" .
(٣) انظر تفسير ابن كثير ٥٣١/٤ .
(٤) الجلالين .
(٥) الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٦/١٣ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٦٨/٣٠ .
(٧) تفسير الطّبرى ١٦٨/٣٠ .
(٨) تفسير الطّبرى ١٦٨/٣٠ .
(٩) تفسير الطّبرى ١٦٨/٣٠ ومعانى القرآن للفرّاء ٢٨١/٣ .
(١٠) الجلالين .

الشّأن ، في ليلة الحكم الفصل والقضاء والعَدْل ، في اللّيلة المباركة الّتى يُفْرَق فيها كلّ أمرٍ حكيم ويُفْصَل ، من شهر رمضان المبارك . إنّ ربّ العزّة والجلال أَنْزَل القرآن الكريم أوّل الأمر جملةً واحدةً من اللَّوْح المحفوظ إلى بيت العِزَّةِ من السّماء الدّنيا ليلة القدر من شهر رمضان المبارك . ثمّ أنزله ربّ العزّة والجلال على قلب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم مُفَرَّقاً بِحَسَبِ الوقائع ومقتضيات الأموال خلال ثلاثٍ وعشرين سنة .

وما أدراك أيها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ما ليلة القدر ؟ ومن البيّن أنّنا بِصَدَدِ ثلاثةٍ من مظاهر التّفخيم والتّشريف . اسم ضمير جماعة المتكلّمين في موضعين اثنين واسم ضمير المفرد الغائب العائد على القرآن الكريم الّذى لم يَسْبِقْ له ذِكْرٌ وذلك في القول : ﴿إنّا أنزلناه﴾ والمظهر الثّالث في القول : ﴿وما أدراك﴾ وإنّ ربّ العزّة والجلال يُبَيّن للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم ليلة القدر الجليلة الشّأن . إنّها ليلةٌ ، قِيام ليلها وصِيامُ نهارها وعَمَلُ الصّالحات فيهما خيرٌ من عَمَل الصّالحات خلال ألف شهر ليس فيها لَيْلَةُ القَدْر . بمعنى أنّ ثواب عمل الصّالحات في تلك اللّيلة بفضل الله تعالى أكثر من ثواب عمل الصّالحات في ثلاثٍ وثمانين سنةً وأربعة أشهر ! ما أعظم فضل الله تعالى الّذى اختصّ به أشرف المرسلين وخاتم النّبيّين وأكرم به الأمّة المحمّديّة .

في ليلة القدر المباركة يَكْثُرُ نُزُولُ جبريل عليه السّلام والملائكة الكرام بإذن ربّهم جلّ وعلا بسبب كلّ أمرٍ قضاه الله تعالى وقَدَّرَهُ في تلك السَّنَةِ من رزقٍ وأجلٍ وغير ذلك . إنّها ليلةٌ كلُّها سَلامٌ وأمنٌ وطمأنينة حتى وقت طلوع الفجر لتلك اللّيلة المباركة العظيمة القدر الجليلة الشّأن .

سورة البَيِّنَة

سورة البَيِّنَة من المدنيّ من القرآن الكريم[1] الّذى نَزَلَ بعد هجرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنوّرة . إنّ هذه السّورة المدنيّة الكريمة تقرّر أنّ الّذين كفروا من أهل الكتاب وهم اليهود والنّصارى ومن المشركين عبّاد الأصنام لم يكونوا منتهين عمّا هم عليه من كُفْرٍ وضلال حتّى تأتيهم الحجّة البيّنة . وهذه الحجّة البيّنة رسولٌ من الله تعالى ، هو محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، يقرأ صُحُفاً مطهّرةً من الباطل ويتلو آي الذّكر الحكيم . وهذه الصّحف المطهّرة فيها كتبٌ قيّمة من كتب الله تعالى المُوحَى بها إلى النّبيّين السّابقين ، فإنّ في القرآن الكريم كُلُّ الخير المبثوث في الكتب السّماوية السّابقة ، هذا إلى ما خَصَّ الله تعالى به هذا الكتاب العزيز من نُعُوت . وما تَفَرَّقَ الّذين أوتوا الكتاب وما اختلفوا فِرَقاً وأحزاباً إلاّ من بعد ما جاءتهم الحجّة البيّنة عن طريق ما أَوْحَى الله تعالى به لكلٍّ من موسى وعيسى عليهم السّلام من وَحْي . وما أُمِر كلٌّ من اليهود والنّصارى إلاّ ليعبدوا الله تعالى وَحْدَهُ لا شريك له مخلصين له الدّين حنفاء عادلين عن كلّ شركٍ إلى توحيد الله تعالى ، وأن يُقِيمُوا الصّلاة عماد العبادات البدنيّة ، ويؤتوا الزّكاة عماد العبادات الماليّة . إنّ ذلك هو دين الملّة المستقيمة . إنّ الّذين كفروامن أهل الكتاب ومن المشركين في نار جهنّم خالدين فيها وأولئك هم شرّ خلق الله تعالى . وإنّ الّذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصّالحات بجوارهم أولئك هم خير خلق الله تعالى . جزاؤهم عند ربّهم جلّ وعلا يوم القيامة جناتُ إقامةٍ تجرى من تحتها الأنهار المختلفة من ماءٍ ولبنٍ وخمرٍ وعَسَل خالدين فيها أبداً . لقد رضي الله تعالى عنهم لعملهم الصّالحات ، ورضُوا عنه جلّ وعلا لجزيل الثّواب . إنّ ذلك النّعيم المقيم لمن خشي ربّه جلّ وعلا مربّيه بالنّعم والآلاء .

---

(١١) تفسير الطّبري ٣٠/٦٠ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

والمشركين : عبدة الأوثان والأصنام[١] .

منفكّين : منتهين[٢] وزائلين عمّا هم عليه[٣] .

حتّى تأتيهم البيّنة : أي الحجّة الواضحة وهي محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٤]

رسولٌ من الله : استؤنف قوله رسولٌ من الله وهي نكرةٌ على البيّنة وهي معرفةٌ كما قيل[٥] : ﴿ذو العرش المجيد . فقال﴾ فقال : حتّى يأتيهم بيان أمر محمّد أنّه رسول الله ببعثة الله إيّاهم إليهم[٦] .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ والجلالين .
(٢) تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ وتفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ .
(٣) الجلالين .
(٤) الجلالين وتفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ .
(٥) سورة البروج ١٥ و ١٦ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٨٢/٣ .

يتلو صحفاً مطهّرة : يقرأ صحفاً مطهّرةً من الباطل[1] يعنى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم وما يتلوه من القرآن العظيم الّذى هو مكتوبٌ في الملأ الأَعْلَى في صحفٍ مطهّرةٍ كقوله[2] : ﴿في صحفٍ مكرّمة . مرفوعةٍ مطهّرة . بأيدى سفرة . كرامٍ برة﴾[3]

فيها كتبٌ قيّمة : قال ابن جرير : أي الصّحف المطهّرة كتبٌ من كتب الله قيّمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأٌ لأنّها من عند الله عزّ وجلّ[4]

قتادة : يَذْكُرُ القرآن بأحسن الذّكر ويُثْنِي عليه بأحسن الثّناء[5]

وما تفرّق الّذية أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البيّنة : كقوله[6] : ﴿ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ يعنى بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعدما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تفرّقوا واختلفوا في الّذى أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافاً كثيراً كما جاء في الحديث المرويّ من طرق : إنّ اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة . وإنّ النّصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة . وستفترق هذه الأمّة على ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلّها في النّار إلاّ واحدة . قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : من أنا علية وأَصْحابِي[7]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ .
(٢) سورة عبس ١٣-١٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ وانظر أصل الكلام في تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٦٩/٣٠ .
(٦) سورة آل عمران ١٠٥ .
(٧) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ .

حنفاء:الحَنَف هو مَيْلٌ عن الضّلال إلى الاستقامة[١]والأحنف من في رِجْلِهِ مَيْل[٢]

وذلك دين القيّمة : ﴿ذلك دين﴾ الملّة[٣] المستقيمة العادلة[٤]

شرّ البريّة : هم شرّ من بَرَأَهُ الله وخَلَقَه[٥] وشرّ الخليقة الّتى بَرَأَها الله وذَرَأها[٦]

يبيّن ربّ العزّة والجلال في هذه السّورة المدنيّة الكريمة الّتى نزلت بعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة واحْتكاك المصطفى صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين بأهل الكتاب بعامّة ، بنى إسرائيل بخاصّة ، يبيّن ربّ العزّة والجلال أنّ الّذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى والمشركين عبدة الأصنام والأوثان ، لم يكونوا لِيَنْتَهُوا عن ارتكاب الذّنب الّذى لا يغفره الله تعالى وهو الإشراك مع الله تعالى سواه حتّى تأتيهم من الله تعالى الحجّة البَيّنَةُ ، والآية الدّامِغَة .

وهذه الآيات البيّنة والحجّة البالغة رسولٌ من الله تعالى ، هو محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، يتلو صحفاً مطهّرةً من الباطل ، ويقرأ آياتٍ بيّناتٍ من القرآن الكريم والذّكر الحكيم ، مبرّأةً من كلّ عيب ، مُسَلَّمَةً من كلّ زيادةٍ أو نقصان . وفي هذه الصّحف المطهّرة كتبٌ من كتب الله تعالى السّابقة المُوحَى بها إلى النّبيّين السّابقين ، وهي كتبٌ مستقيمةٌ على الحقّ ، وذات قيمة رفيعة ، "فإنّ القرآن مَجْمَعُ ثمرة كتب الله تعالى المتقدّمة"[٧]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : "حنف" ١٣٣ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : "حنف" ١٣٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٤ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٧٠/٣٠ .
(٥) تفسير الطّبرى ١٧٠/٣٠ وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢٨٢/٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٣٨/٤ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قوم" ٤١٧ .

وما تفرّق الّذين أوتوا الكتاب السّماويّ وهم اليهود الّذين أَوْحَى الله تعالى التّوراة إلى رسوله جلّ وعلا إليهم ، وهو موسى عليه السّلام ، والنّصارى الّذين أَوْحَى الله تعالى الإنجيل إلى رسوله جلّ وعلا إليهم وهو عيسى عليه السّلام ، إلاّ من بعد ما جاءتهم من الله تعالى ووصلت إليهم فِعْلاً الآية البيّنة ، والحجّة القائمة بأنّ الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . إنّ كلاًّ من الفريقين ما أُمِرُوا على لسان الرّسولين الكريمين ، وهما أولى العزم من الرّسل الخمسة ، إلاّ ليعبدوا الله تعالى وَحْدَهُ لا شريك له ، مخلصين له الدّين ، مسلمين له جلّ وعلا وَحْدَه لا شريك له ، حُنَفاء مائلين عن كلّ شرك ومنحرفين عنه متّجهين إلى دين الإسلام قاصدين الحنيفيّة السّمحة الكاملة الّتى بَعَث الله تعالى بها أخيراً محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، والّتى بَعَث الله تعالى بها أوّلاً إبراهيم عليه السّلام ، أبا الأنبياء ، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . كما أُمِرَ كُلٌّ من اليهود والنّصارى على لسان كلٍّ من موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام . وعن طريق التّوراة والإنجيل ، بأن يقيموا الصّلاة أهم الأركان في مجال العبادات ، ويؤتوا الزّكاة ، أهم الأركان في مجال المال ، وذلك هو دين الملّة المستقيمة العادلة دين الإسلام لله برّ العالمين .

إنّ الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، وأشركوا مع الله تعالى في العبادة سواه ، وكذّبوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم والوَحْيَ الّذى خَصَّهُ الله تعالى به ، ودين الإسلام في صورته الأخيرة الّتى بَعَثَه الله تعالى بها ، وماتُوا على ذلك ، في نار جهنّم خالدين فيها لا يحولون ولا يزولون ولا يموتون . إنّ أولئك هم شرّ من بَرَأَهُ اللهُ تعالى وخَلَقَه . وإنّ الّذين آمنوا بالله تعالى بقلوبهم وعَمِلُوا الصّالحات الّتى أَمَرَ بها محمّد صلّى الله عليه وسلّم المُوحَى إليه من ربّ العالمين ، إنّ أولئك هم خير من بَرَأَهُ الله تعالى وخَلَقَه. إنّ

جزاء هؤلاء يوم القيامة عند ربّهم جلّ وعلا جَنّاتُ عَدْنٍ وإقامة ، تجرى من تحت أشجارها الأنهار خالدين فيها أبداً ، لا يحولون ولا يزولون ولا يموتون . لقد رَضِيَ الله تعالى عنهم بسبب أعمالهم الصّالحة ، ورَضُوا عنه بسبب الثّواب الجزيل الّذى أكرمهم الله تعالى به . إنّ كلّ ذلك الأجر العظيم والنّعيم المقيم ، لِمَنْ خَشيَ رَبّه جلّ وعلا ، بأن امتلأ قلبه بحبّ الله تعالى ، والطّمع في ثوابه عزّ وجلّ ، والخوف من عقابه.

جاء في صحيح البخاريّ[1] عن أنس بن مالك . ﷺ . قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لِأُبَيّ : إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿لم يكن الّذين كفروا﴾ قال : وسَمّانِى؟ قال : نَعَمْ فَبَكَى .... عن قتادة عن أنس ﷺ قال : قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لِأُبَيّ : إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن . قال أُبَيّ : آلله سمّاني لك؟ قال : الله سمّاك لي ، فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِى . قال قتادة : فأنبئت أنّه قرأ عليه : ﴿لميكن الّذين كفروا من أهل الكتاب﴾ .... عن أنس بن مالك أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأُبَيّ بنِ كَعْب : إنّ الله أمرنى أن أُقْرِئَكَ القرآن . قال آلله سمّانى لك ؟ قال : نعم . قال: وقد ذُكِرْتُ عند ربّ العالمين؟ قال : نعم . فَذَرَفَتْ عَيْناه . جاء في فتح البارى[2] : "فقيل: الحكمة في تخصيصها بالذِّكْرِ لأنّ فيها : ﴿يتلو صحفاً مطهّرة﴾ وفي تخصيص أُبَيّ بنِ كَعْب ، التَّنْوِيهُ بِهِ في أنّه اَقْرَأُ الصَّحابة . فإذا قرأ عليه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع عظيم منزلته كان غيره بطريق التّبع له .... قوله : "أَنْ أُقْرِئَك" أَيْ أُعَلِّمَك بقراءتى عليك كيف تَقْرَأ.... قوله : "فَذَرَفَت" بفتح الرّاء وقبلها الذّال معجمة ، أي تساقطت بالدّموع" .

---

(١) صحيح البخارى ٢١٦/٦ و ٢١٧ .
(٢) ٧٢٥/٨ و ٧٢٦ .

سورة الزَّلْزَلَة

سورة الزّلْزَلة من المدنيّ من القرآن[1] وفيها يُبَيّنُ السِّياقُ أنّه إذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها إيذاناً بقيام السّاعة ، ورُجَّتْ رَجّاً عنيفاً خاصاً بها في ذلك الموقف العصيب ، وإذا أَخْرجَتِ الأرض من باطنها إلى ظاهرها أثقالها وموتاها أَحْياءً بإذن الله تعالى للحساب والجزاء ، وإذا قال الإنسان الكافر المنكر للبعث مستنكراً : ماذا دَهَى الأرض حتّى إنّها فعلت كلّ ذلك ، في ذلك اليوم تُحَدِّثُ الأرض أخبارها ، وتقول أَنباءها ، بسب أنّ ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم وأيّها الإنسان قد أَوْحَى إليها وأَذِنَ لها بأن تقول وتشهد للنّاس بعملهم الصّالحات وعليهم بعمل السّيّئات . في ذلك اليوم يَصْدُرُ النّاسُ ويَرْجِعُون من موقف الحساب أشتاتاً متفرّقين ، لِيُرَوْ أعمالَهم ، فآخذٌ منهم ذات اليمين إلى الجنّة والنّعيم المقيم ، وآخذٌ ذات الشِّمال إلى النّار وبِئس القرار . فمن يَعْمَلْ في الدّنيا وزن أصغر نَمْلَةٍ من خير ير جزاءه ويَنَلْ ثوابه في الجنّة ، ومن يعمل وزن أصغر نملة من شرّ ير جزاءه ويَنَلْ عِقابَه في النّار : ﴿ولا يظلم ربّك أحداً﴾ [2]

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٣/١ و ٤٤ والبحر المحيط ٤٩٩/٨ وتفسير القرطبي ٧٢٣٦ وقيل إنّ السّورة الكريمة مكّيّة . والله تعالى أعلم .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

إذا زُلزلت الأرض : لِقِيام السّاعة[١]

زلزالها : فَرُجَّت رجّا . والزِّلزال مصدر إذا كسرت الزّاي . وإذا فتحت كان اسماً . وأضيف الزّلزال إلى الأرض وهو صفتها كما يقال : لأكرمنّك كرامتك ، بمعنى لأكرمنّك كرامة . وحسن ذلك في زلزالها لموافقتها سائر رءوس الآيات الّتي بعدها[٢]

وأخرجت الأرض أثقالها : وأخرجت الأرض ما في بطنهامن المَوْتَى أحياء . والميت في بطن الأرض ثِقْلٌ لها . وهو فوق ظهرها حيّاً ثِقْلٌ عليها[٣] عن ابن عبّاس : ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ قال : الموتى[٤]

وقال الإنسان : يعنى به ههنا الكافر[٥]

مالها : "ما" : اسم استفهام في محلّ رفع مبتدأ . "لها" جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر ما[٦] وقال النّاس ما لِلْأَرْض وما قِصَّتُها[٧]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٧١/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٧١/٣٠ وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢٨٣/٣ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٧١/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٧١/٣٠ و ١٧٢ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٨٣/٣ .
(٥) معانى القرآن للفرّاء ٢٨٣/٣ وانظر تفسير الطّبرى ١٧٢/٣٠ .
(٦) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٣/١٣ .
(٧) تفسير الطّبرى ١٧٢/٣٠ .

يومئذٍ تحدّث أخبارها : "يومئذٍ" ظرف زمان منصوب – أو مبنيّ – مضاف إلى اسم ظرفيّ متعلّق بجواب إذا ، فهو بدلٌ منه . والتّنوين في "إذا" عوضٌ من محذوف ، أي يوم إذا زلزلت الأرض[1] يقول : يومئذٍ تحدّث الأرض أخبارها . وتحديثها أخبارها على القول الّذى ذكرنا" عن عبدالله بن مسعود أن تتكلّم فتقول : إنّ الله أمرنى بهذا وأَوْحَى إليّ به وأَذِنَ لي فيه[2]

بأنّ ربّك أوحى لها : "بأنّ" بسبب أنّ[3] يقال : أَوْحَى لها ، وأوحى إليها ، ووَحَى لها ووَحَى إليها واحد[4] رَوَى أحمد والتّرمذي والنّسائي عن أبي هريرة قال : قَرَأَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذه الآية : ﴿يومئذٍ تحدّث أخبارها﴾ قال : أتدرون ما أخبارها؟ قالوا : الله ورسوله أَعْلَم . قال : فإنّ أخبارها أن تشهد على كلّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها أن تقول : عَمِلَ كذا وكذا يوم كذا وكذا . فهذه أخبارها . ثمّ قال التّرمذيّ : هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريب[5] قال ابن عبّاس : أَوْحَى لها ، أي أوحى إليها . والظّاهر أنّ هذا مضمّن بمعنى أَذِنَ لها[6] .

أشتاتاً : متفرّقين فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنّة ، وآخذٌ ذات الشِّمال إلى النّار[7] ليروا أعمالهم : فَيَرَى المحسن في الدّنيا المطيع لله عمله وما أعدّ الله له يومئذٍ

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٣/١٣ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٧٢/٣٠ .
(٣) الجلالين .
(٤) فتح البارى ٧٢٦/٨ وصحيح البخارى ٢١٧/٦ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٣٩/٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٣٩/٤ .
(٧) تفسير الطّبرى ١٧٣/٣٠ .

من الكرامة على طاعته إيّاه كانت في الدّنيا . ويَرَى المسيء العاصى لله عمله وجزاء عمله وما أعدّه الله له من الهوان والخِزْيِ في جهنّم على معصيته إيّاه كانت في الدّنيا وكفره به .[١]

مثقال ذرّة : وَزْن ذرّة[٢] والذّرّة دودةٌ حمراء ليس لها وزن[٣] وَزِنَة نملة صغيرة[٤]

وإذا زلزلت الأرض زلزالها المتعلّق بها إيذاناً بيوم القيامة ، ورُجَّتِ الأرض رَجّاً عَنِيفاً ،وأَخْرَجَتْ من باطنها إلى ظاهرها أثقالها من المَوْتَى أحياء بإذن الله تعالى ، وقال الإنسان الكافر مستنكراً : ماذا جَرَى للأرض وما الّذي دحاها حتّى إنّها تفعل كلّ ذلك . في ذلك اليوم تُحَدِّثُ الأَرْضُ أَخْبارَها ، وتقول أنباءها بسبب أنّ ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم وأيّها الإنسان قد أَوْحَى إليها وأَذِنَ لها بأن تَتَحَدَّثَ وتنطِقَ وبأن تشهد للإنسان أو عليه بما عمل عليها في الحياة الأُولَى مِنْ خَيْرٍ أو شَرّ . في ذلك اليوم يَصْدُرُ النّاسُ عن موقف الحساب ويَرْجِعُون[٥] أشتاتاً متفرّقين لِيُرَوا أعمالهم ويَقِفُوا على ثوابها أو عقابها . فمن يعمل في الحياة الأُولى وَزْنَ أَصْغَرِ نَمْلة خيراً وصالحاً ير جزاءه ويَنَلْ ثوابه في الجنّة ، ومن يعمل وزن أصغر نملةٍ شَرّاً وسَيِّئاً ير جزاءه وينل عقابه في النّار ، ولا يُظْلَمُ أحدٌ بحذف حسنةٍ أو إضافة سيّئة .

في صحيح البخاريّ عن عَدِيٍّ مرفوعاً : اتّقوا النّار ولو بِشِقِّ تمرةٍ ولو بكلمة طيّبة . وله أيضاً في الصّحيح : لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفْرِغَ من دلوك في إِناءِ المُسْتَسْقِى ، ولو أن تَلْقَى أخاك ووَجْهُكَ إليه مُنْبَسِط[٦] .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٧٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٧٣/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٧٥/٣٠ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٣٩/٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤ .

سورة العاديات

سورة العاديات المكّيّة[1] تُعْنَى بالجِهاد في سبيل الله تعالى وكأنّها في هذه الفترة المكّيّة تُهَيِّئُ المؤمنين لإعداد العَدة للجهاد في سبيل الله تعالى مُسْتَقْبَلاً ، كما تُعْنَى بتبيين صفات الجنس الكفور من النّاس ، وبالحَثِّ على الاستعداد للبعث بعد الموت ولِلْحِسابِ والجزاء . وكأنّ السّورة الكريمة تتألّف من ثلاثة أقسام بينها أَكْثَرُ من رباط . إنّ ربّ العزّة والجلال يُقْسِمُ بخَيْلِ الجِهاد في سبيله جلّ وعلا الّتى تَعْدُوا وتَشْتَدُّ في عَدْوها حتّى تَضْبَحَ ويَخْرُجَ من صدرها الصّوت : أَخْ أَخْ دليلاً على فَرْطِ حَماسَتِها المُسْتَمَدَّةِ من حَماسة فرسانها المجاهدين في سبيل الله تعالى . وهذه الخيل تُورى بِحَوافِرِها النّار نتيجةً لِقَدْحِ هذه الحوافر واصْطكاكِها بالحجارة في أثناء العَدْوِ الشَّدِيد ، وتُغِيرُ على الأعداءِ صُبْحاً بعد التّأكّد من عدم سماع أَذانِ الفجر ، وتُثِيرُ في الصَّباح غُباراً ، وتَتَوَسَّطُ في ذلك الصّباح جَمْعَ الأَعْداء . وإنّ مَجِيءَ الفاء العاطفة أَرْبَعَ مَرّاتٍ في أَرْبَعِ آياتٍ كريماتٍ دليلٌ على تَتَابُع المَعاني وتَلاحُقِها وتَرَتُّبِ لاحِقِها على سابِقِها . أَمّا المُقْسَمُ عليه فإنّه الإنسان الكنود الكفور لنعم ربّه جلّ وعلا عليه ، وإنّه على كُفْرِ النّعمة لشهيدٌ بلسان الحال أو المقال ، وإنّه لِحُبِّ المالِ لَشَدِيد . أفلا يعلَم هذا الإنسان إذا ما أُثِيرَ ما في القبور من أَمْواتٍ فخرجوا أَحْياء ، وجُمِعَ ما في الصّدور والقلوب والنّفوس من خيرٍ أو شرّ . إنّ ربّ النّاس بهم يوم . القيامة لخبير يَعْلَمُ بَواطِنَ أمورهم كما يعلم ظواهرها، ويجازى كلاًّ بعمله وقوله ونيّته . ونستطيع أن نتبيّن رِباطَ الحركة بين الأقسام الثّلاثة، فجعل الجهاد في سبيل الله تعالى مندفعة بفرسانها ، والكفور مندفعٌ عن الصّراط

---

(١) انظر –مثلاً– الإتقان ٤٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٤١/٤ والجلالين وتفسير القرطبى ٧٢٤٣ .

المستقيم إلى مهَاوى الرَّدَى والنّاس يوم القيامة مندفعون من قبورهم . ووراء ذلك ثمّة رِباطُ التّقابل في الصّفحات . فالخَيْلُ غَيْرُ المُكَلَّفَةِ تُطيعُ الإِنْسانَ المخلوق ، والإِنْسانُ المُكَلَّفُ يَعْصِي الخالق!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

والعاديات ضبحاً : عن ابن عبّاس في قوله : ﴿والعاديات ضَبحاً﴾ قال : الخيل[١] ضبحاً : هو صوت أجوافها إذا عَدَتْ[٢] عن عطاءٍ قال : سمعت ابن عبّاس يصف الضَّبْح : أَحْ أَحْ[٣]

فالموريات قدحاً : هي الخيل تُورِى النّارَ بحوافرها[٤] يقال : وَرَتِ النّارُ تَرِى وَرْياً ورِيَةً حسنة . وَوَرِي الزَّنْدُ يَرِى ، وَوَرَى يَرِى ، وأَوْرَيْتُهُ أنا[٥] والقَدْح : قَدْحُك بالزَّنْدِ وبالقَدّاح لِتُورِى . وقَدَح . بالزَّنْد يَقْدَحُ قَدْحاً واقتدح : رام الإِيراءَ به[٦] سُئِلَ عكرمة عن قوله : ﴿فالموريات قدحا﴾ قال : أَوْرَتْ وَقَدَحَتْ[٧] والمعنى أنّ الخيل تُورِى النّارَ قَدْحاً بِحوافِرِها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة باللّيل[٨] يَعْنِي اصطكاك نِعالِها للصّخر فَتَقْدَحُ منه النّار . [٩]

فالمغيرات صبحاً : عن ابن عبّاس قال : سألني رجلٌ عن المغيرات صبحاً فقال :

---

(١) تفسير الطّبرى ١٧٦/٣٠
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبرى ١٧٧/٣٠ وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢٨٤/٣ .
(٤) تفسير الطّبرى ١٧٧/٣٠ وانظر معانى القرآن للفرّاء ٢٨٤/٣ .
(٥) انظر لسان العرب : "ورى" .
(٦) لسان العرب : "قدح" .
(٧) تفسير الطّبرى ١٧٧/٣٠ .
(٨) الجلالين .
(٩) تفسير ابن كثير ٥٤١/٤ .

الخيل تغير في سبيل الله[1] يعنى الإغارة وقت الصّباح كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغير صباحاً ويستمع الأذان ، فإن سمع أذاناً وإلاّ أغار[2]

فأثرن به نقعاً : فرفعن[3] وهيّجن[4] به : الضّمير في به عائدٌ على الصّبح[5] والنّقع : الغبار[6] يقال : ثار الغبار والسّحاب ونحوهما يثور ثَوْراً وثَوَرانا انتشر ساطعاً وقد أثَرْتُه[7]

فوسطن به جمعاً : أي صرن وسطه[8] يقال : وسطت القوم بالتّخفيف ووسّطته بالتّشديد وتوسّطته بمعنًى واحد[9] يقال : وسَطْتُ القَوْمَ أَسِطُهُمْ وَسْطاً وسِطةً أي توسّطتهم . ووَسَطَ الشّيءَ وتَوَسَّطَهُ صار في وَسَطِه[10] والضّمير في به عائدٌ على الصّبح[11] والجمع : ضمّ الشّيء بتقريب بعضه من بعض ، يقال : جَمَعْتُهُ فاجتمع[12] والمرد الجمع من العَدُوّ[13]

يُقْسِمُ رَبُّ العِزَّةِ والجلال بخيل الجهاد في سبيل الله تعالى الّتى تَعْدُو وتجْتَهد في

---

(١) تفسير الطّبرى ١٧٨/٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥٤١/٤ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٧٨/٣٠ .
(٤) الجلالين والبحر المحيط ٥٠٤/٨ .
(٥) البحر المحيط ٥٠٤/٨ وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٧/١٣ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٧٨/٣٠ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "ثور" ٨٤ .
(٨) الجلالين .
(٩) تفسير الطّبرى ١٧٩/٣٠ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٨٥/٣ .
(١٠) لسان العرب : "وسط" .
(١١) انظر البحر المحيط ٥٠٤/٨ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٧/١٣ .
(١٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "جمع" ٩٦ .
(١٣) الجلالين .

في عَدْوِها حتّى إنّها لَتَضْبَحُ ويَخْرُجُ من أجوافها الصّوت : أَحْ أَحْ ، والّتى تَقْدَحُ حَوافرها وتصطكّ بالحجارة حتّى تُورِيَ ناراً وتطير شَرراً ، والّتى تغير صبحا وعليها المجاهدون الّذين يَتَحَرَّوْنَ أذان الفجر فَيَحْجُمُون وإلاّ هاجموا أعداء الله تعالى وباغَتُوهُمْ ، والّتى أثارت بذلك الصّباح غُباراً ، والّتى صارت بذلك الصّباح وَسْطَ جمع الأعداء . ويلاحظ ابتداء الآيات الأربع الأخيرات بفاء العطف في المواضع الأربعة[1] الدّالّة على التّرتيب مع التّعقيق وتتابع المعانى وتلاحق المشاهد .

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٧/١٣ .

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ٱلَّذِي۬

إن الإنسان لربّه لكنود : عن ابن عبّاس قوله : ﴿إنّ الإنسان لربّه لكنود﴾ قال: لكفور[١] وهذا هو المُقْسَمُ عليه[٢]

وإنّه على ذلك لشهيد : يعنى لشاهد[٣] وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل[٤] ومن معانى الشّهيد الأمين في شهادته والّذي لا يَغِيبُ عن عِلْمِهِ شَيْءٌ[٥].

وإنّه لحبّ الخير لشديد : وإنّ الإنسان لحبّ المال لشديد[٦] .

يُقْسِمُ ربّ العزّة والجلال على أنّ جنس الإنسان لَكَنُودٌ وكَفُورٌ لِلنِّعم ، وأنّه على ذلك لشهيد ، هكذا صيغة المبالغة ، بأنّه كفورٌ لِلنِّعَم بِلِسان الحالِ إن لم يكن بلسانِ المقال ، وأنّه لحبّ المال لشديد .

ومعروفٌ أنّ الإنسان المسلم لله ربّ العالمين شكورٌ لله تعالى ممتثلٌ لأوامره جلّ وعلا ونواهيه .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٧٩/٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٥٤٢/٤ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٨٠/٣٠ .
(٤) لسان العرب : "شهد" .
(٥) انظر لسان العرب : "شهد" .
(٦) تفسير الطّبرى ١٨٠/٣٠ .

أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩
وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١

أفلا يعلم إذا بُعْثِر ما في القبور : أفلا يعلم هذا الإنسان الّذى هذه صفته إذا أثِيرَ ما في القبور وأُخْرِجَ ما فيها من المَوْتَى[1]

وحصّل ما في الصّدور : التّحصيل إخراج اللُّبِّ من القُشُور كإخراج الذَّهَبِ من حَجَر المَعادِن والبُرِّ من التِّبْن . قال الله تعالى : ﴿وحصّل ما في الصّدور﴾ أي أُظْهِرَ ما فيها وجُمِعَ كإظهار اللُّبِّ من القِشْر وجَمْعِه[2] يقول : ومُيِّزَ وبُيِّنَ فَأُبْرِزَ ما في صدور النّاس من خَيْرٍ وشَرّ[3].

أفلا يعلم جِنس الإنسان إذا أُثير ما في القبور وأُخرج ما فيها من الموتى ، وأُظهر ما في الصّدور ، وأخْرج ما في القلوب ، وأُبْرِزَ ما في النّفوس . إنّ ربّ النّاس بهم يوم القيامة لخبير يعلم بواطنَ الأمور كظواهرها ويُجازِى كُلاًّ بِعَمَلِه إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٨١/٣٠ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "حصل" ١٢١ .
(٣) تفسير الطّبرى ١٨١/٣٠ .

سورة القارعة[1]

سورة القارعة المكّيّة بإجماع العلماء تُعْنَى بيوم القيامة ووجوب العمل ليوم البعث والحساب . إنّ القارعة الّتى تَقْرعُ القلوب بأهوالها والسّاعة الّتي تضرب النّفوس بعظيم بلائها يجيء في السّورة الكريمة الاستفهام عنها : ﴿ما القارعة﴾ على جهة التّهويل لشأنها والتّعظيم لِأَمْرِها . وما أدراك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم مالقارعة ؟ ويجيء في السّورة الكريمة الجواب على هذا السّؤال والتّبيين لفحواه ، إنّه السّاعة ويوم القيامة الّذى يكون النّاس فيه كالفراشِ المبثوث الهائج المتهافت على النّار . وتكون الجبال المختلفة الهيئات والألوان كالصُّفوف المَنْفُوشِ المَنْدُوف في الهيئات وفي الألوان . فأمّا من ثَقُلَتْ بالحَسَناتِ موازينه فهو في عيشةٍ مَرْضِيّةٍ له في الجنّة .

أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى

كلاّ إنّ الإنسان ليطغى : ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان . أن يُنْعَمَ عليه ربّه بتسويته خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم وإنعامه بما لا كفء له ثمّ يكفر بربّه الّذى فعل به ذلك ويَطْغَى عليه[1]

---

(٤) تفسير الطّبرى ١٦٣/٣٠ .

حادِيَ عشر
سورة المُرْسَلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ
فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا
ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ
أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ
مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ
﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ
﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ
﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا
يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل))

الآيات (١-١٥)

أُقْسِمُ بالرّياح الرّخاء المرسلات المتتابعات كالشَّعْر على عنق الفَرَس، فالرّياح العاصفات بشدّة، والرّياح النّاشِرات السّحاب والمطر. وأُقْسِمُ بالملائكة الّتي تَفْرُقُ بين الحقّ والباطل، والّتي تبلّغ الرّسل وحي الله تعالى، إعذاراً من الله تعالى إلى خلقه وإنذاراً لهم. إنّما توعدون أيّها النّاس من البعث بعد الموت لواقع.

فإذا النّجوم ذهب ضوؤها. وإذا السّماء انشقّت. وإذا الجبال نُسِفَتْ من أصلها فكانت هباءً منبثّا. وإذا الرّسل جُمِعَتْ لوقتٍ معلوم. لأيّ يومٍ أُجِّلت الرّسل. ليوم الفصل بين النّاس يوم القيامة. وما أدراك يا محمّد ويا أيّها الإنسان ما يوم الفصل العظيم هَوْلُه ! عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

(٢)

((بعض مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث))

الآيات (١٦-٢٨)

ألم نهلك الأوّلين المكذّبين. ثمّ نلحق بهم المكذّبين اللّاحقين. كذلك نفعل بالمجرمين بعد ذلك مثل كفّار مكّة ومن شاكلهم. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

ألم نخلقكم أيّها النّاس من ماءٍ مهين ضعيف. فجعلناه فى رحمٍ استقرّ فيها الماء فتمكّن. إلى وقتٍ معلومٍ يخرج فيه الجنين فى أحسن تقويم. فقدرنا فنعم القادرون نحن على فعل كلّ شيءٍ أردناه. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

ألم نجعل الأرض وعاءً لكم وموضعاً. أحياءً على ظهرها. وأمواتاً فى بطنها. وجعلنا فيها جبالاً ثابتاتٍ شاهقاتٍ. وأسقيناكم من السّماء ماءً عذباً.عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

(٣)

((بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة))

الآيات (٢٩-٥٠)

انطلقوا أيّها الكافرون إلى ما كنتم به تكذّبون من البعث والعذاب، انطلقوا إلى دخانٍ ذى ثلاث فرقٍ إذا خرج من جهنّم وعلا عليها، إنّه لا يظلّ من الحرّ ولا يحمى من لهب النّار. إنّ جهنّم ترمى بشرارٍ كالقصر العظيم حجم الشّرارة الواحدة منه، كأنّ الشّرار الجِمالُ السُّودُ اللّون المائل إلى الصّفرة. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هذا يوم لا ينطق فيه الّذين كانوا ينكرونه فى الدّنيا، ولايُسْمَحُ لهم بالقول فيعتذرون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هذا يوم الفصل بين النّاس جَمَعْناكُمْ فيه أيّها المكذّبون، وجمعنا فيه المكذّبين السّابقين. فإن كان لكم حيلةٌ كي تدفعوا العذاب عنكم فافعلوا وهيهات. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

إنّ المتّقين فى ظلال أشجارٍ وفى عيونٍ متدفّقة. وفواكه ممّا يشتهون أكله. كلوا هنيئاً، واشربوا مريئاً بما كنتم تعملون فى الحياة الدّنيا من صالح الأعمال. إنّا فى مثل هذه الطّريقة نجزى المحسنين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

كلوا وتمتّعوا قليلاً فى الحياة الدّنيا إنّكم مجرمون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

وإذا قيل لهم صلّوا مع المصلّين لا يصلّون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

فبأيّ حديثٍ بعد هذا الكتاب العزيز يؤمنون!

التَّفْسِير

(١)

((أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل))

الآيات (١-١٥)

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧

والمرسلات عرفا: والرّياح المرسلات يتبع بعضها بعضا[١] كَعُرْف الفَرَس يَتْلُو بعضه بعضا[٢] وعرف الفرس بضمّ العين وسكون الرّاء شَعْر عُنُق الفَرَس[٣]

فالعاصفات عصفا: فالرّياح الشّديدة[٤]

والنّاشرات نشرا: والرّياح تنشر المطر [٥] أو السّحاب[٦] أو والملائكة الّتى تنشر الرّياح[٧]

فالفارقات فرقا: فالملائكة الّتى تفرق بين الحقّ والباطل[٨] والهُدَى والغَيّ والحلال والحرام[٩]

فالملقيات ذكرا: فالملائكة المبلّغات وحي الله رسله[١٠]

عذراً أو نذرا: فالملقيات ذكراً إلى الرّسل إعذاراً من الله إلى خلقه وإنذاراً منه لهم[١١]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٠/٢٩.
(٢) الجلالين.
(٣) المعجم الوسيط: "عرف".
(٤) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٤١/٢٩وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٥) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٤٢/٢٩وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نشر"٦٣٦/٢.
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نشر"٦٣٦/٢وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٢/٢٩.
(٩) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(١١) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.

وتلقى إلى الرّسل وحياً فيه إعذارٌ إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره[١]

والرّياح المرسلات المتتابعات تتابع الشَّعْر على عنق الفَرَس، والرّياح الشّديدات العاصفات الّتي تجعل ما تعصف به عَصْفاً وحُطامَ نبت متكسّر[٢] والرّياح النّاشرات للسّحاب والمطر نشرا. فالملائكة الفارقة بين الحقّ والباطل، الحلال والحرام فرقاً، فالملقيات إلى رسل الله تعالى ذكراً ووحيّا، إعذاراً من الله تعالى إلى خلقه وإنذاراً منه لهم. إنّما توعدون أيّها النّاس من البعث بعد الموت والحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب، لواقعٌ لا محالة.

:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٣]:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧ ﴾[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "عصف" ٤٣٨/٢.

(٣) سورة المائدة ١٩.

(٤) سورة الأنعام ١٥٥-١٥٧.

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

فإذا النّجوم طمست: فإذا النّجوم ذهب ضياؤها[١]

وإذا السّماء فُرِجَتْ: وإذا السّماء شُقِّقَتْ وصُدِّعَتْ[٢]

وإذا الجبال نسفت: وإذا الجبال نسفت من أصلها فكانت هباءً منبثّا[٣]

وإذا الرّسل أقّتت: وإذا الرّسل أجّلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة[٤] وجمعت لوقت[٥]

لأيّ يومٍ أجّلت: لأيّ يومٍ أجّلت الرّسل ووقّتت. ما أعظمه وأهوله[٦]

ليوم الفصل: يوم يفصل فيه بين النّاس بأعمالهم إلى الجنّة وإلى النّار[٧]

وما أدراك ما يوم الفصل: وأيّ شيءٍ أدراك يا محمّد ما يوم الفصل. معظِّماً بذلك أمره وشدّة هوله[٨]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٧) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩

فإذا النّجوم ذهب ضوؤها وانظفأت. وإذا السّماء انشقّت. وإذا الجبال نُسِفَتْ نسفاً وغدت هباءً منثورا. وإذا الرّسل جُمِعَت لوقتٍ معلوم، ويومٍ مشهود. لأيّ يومٍ مهيب ووقتٍ عصيب أُجّل موعد اجتماع الرّسل. ليوم الفصل بين النّاس بأعمالهم والأخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة، أو ذات الشّمال إلى النّار. وما أدراك يا محمّد ويا أيّها الإنسان ما يوم الفصل بين النّاس يوم القيامة. ما أعظمه وأشدّ هوله. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين رسل الله تعالى إليهم وبالبعث بعد الموت والحساب والجزاء.

(٢)

((بَعْضُ مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث))

الآيات (١٦-٢٨)

أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

ألم نهلك المكذّبين السّابقين. ثمّ نُلْحِقْ بهم المكذّبين المتأخرّين عنهم زمناً. وكما أهلكنا المجرمين السّابقين نفعل بالمجرمين اللّاحقين من كفّار مكّة ومن شاكلهم من المكذّبين الضّالّين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيد للمكذّبين فى كلّ زمانٍ ومكان.

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

من ماءٍ مهين: من نطفةٍ ضعيفة[1]

فجعلناه فى قرارٍ مكين: فجعلنا الماء المهين فى رحمٍ استقرّ فيها فتمكّن[2] معدٌّ لذلك، حافظٌ لما أُودِعَ فيه من الماء [3]

إلى قَدرٍ معلوم: إلى وقتٍ معلوم– لخروجه من الرّحم–عند الله [4]

فقدرنا فنعم القادرون: فملكنا فنعم المالكون[5]

ألم نخلقكم أيّها النّاس من ماءٍ مهين ونطفةٍ ضعيفةٍ تخرج من صلب الرّجل. فجعلنا ذلك الماء الضّعيف فى رحم استقرّ فيها فتمكّن. إلى وقتٍ معلوم وموعدٍ محدّد ينتهى فيه الحمل ويخرج الجنين بإذن الله تعالى فى أحسن تقويمٍ، وأجمل صورة. فقدرنا على فعل ذلك الخلق العجيب، فنعم القادرون نحن، فلا يعجزنا شيءٌ أردناه، إنّما نقول له كن فيكون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٣/٨.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.

أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ألم نجعل الأرض كفاتا: ألم نجعل الأرض وعاء. تقول: هذا كِفْتُ هذا[1] وكَفِيتُه[2] إذا كان وعاءه[3]

أحياءً وأمواتا: أحياءً على ظهرها وأمواتاً فى بطنها[4]

رواسي: جبالاً ثابتات[5]

شامخات: شاهقات[6]

وأسقيناكم ماءً فراتا: العرب تقول إذا سقت الرّجل ماءً شربه أو لبناً أو غيره سقيته، بغير ألف، إذا كان لسقيه. وإذا جعلوا له ماءً لشرب أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته. وكذلك إذا استسقت له قالوا: أسقيته واستسقيته[7]

فراتاً: عذبا[8]

ألم نجعل الأرض وعاءً وموضعاً لأحيائكم على ظهرها، ولموتاكم فى بطنها. وجعلنا فى الأرض جبالاً راسخاتٍ شاهقات. وأسقيناكم ماءً عذباً نازلاً من السّماء أساسا. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) كفت بكسر الكاف وسكون الفاء. لسان العرب: "كفت".
(٢) كفيت: بفتح الكاف وكسر الفاء. لسان العرب: "كفت".
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٤) الجلالين ولسان العرب: "كفت".
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٧) تفسير الطّبرى ١٦/١٤.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.

(٣)

((بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة))

الآيات (٢٩-٥٠)

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

انطلقوا إلى ظلّ: انطلقوا إلى ظلّ دخان[١]

ذى ثلاث شعب: دخان جهنّم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق أو ثلاث شعب لعظمته[٢]

لا ظليل: لا هو يظلّهم من حرّها [٣]

ولا يغنى من اللّهب: ولا يكنّهم من لهبها[٤] ولا يردّ عنهم شيئاً[٥]

إنّها ترمى بشرر: الشَّرر الشّرار والواحدة شَرَرة. والشّرر أجزاءٌ صغيرة متوهّجة تنفصل عادةً من جسمٍ يحترق[٦] وشرار النّار ما تطاير منها. وسمّيت بذلك لاعتقاد الشّرّ فيه[٧]

كالقصر: العظيم[٨] ومن البناء فى عِظَمِه وارتفاعه[٩]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٢) انظر تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩ والجلالين .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٥) الجلالين.
(٦) المعجم الوسيط: " شرر".
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "شرر" ٣٣٩/١.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٩) الجلالين.

كأنّه جمالة: جمع جمل[١] أي أينق[٢]

صفر: أي أينق سود. وقالوا الصّفر فى هذا الموضع بمعنى السّود. قالوا: وإنّما قيل لها صفر وهي سود لأنّ ألوان الإبل سود تضرب إلى الصّفرة، ولذلك قيل لها صفر. كما سمّيت الظّباء أدماً لما يعلوها فى بياضها من الظّلمة[٣]

انطلقوا أيّها المجرمون إلى ما كنتم به تكذّبون من عذاب يوم القيامة. انطلقوا إلى دخان جهنّم الّذى إذا ارتفع افترق لعظمته إلى ثلاث فرق. لا هو يظلّهم من حرّ جهنّم ولا هو يحميهم من لهبها. إنها ترمى بشرارٍ يتطاير منها كأنّ الشّرارة الواحدة القصر الكبير. وكأنّ الشَّرار الجِمالُ السّودُ المائلة إلى الصّفرة شكلاً ولوناً. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطّبرى ١٤٧/٢٩.

(٣) تفسير الطّبرى ١٤٧/٢٩.

هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

هـذا يـوم لا ينطـق المجرمـون فى بعـض أجزائـه لطولـه وشـدّة هولـه. ولا يـؤذن لهـم فيتكلّمون ويعتذرون عمّا بَدَرَ منهم في الحياة الدّنيا من سوء اعتقادٍ وعمل. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

هـذا يـوم الفصـل بـين النّـاس جمعنـاكم فيـه أيّهـا المكـذّبون مـع المكـذّبين السّـابقين للحساب والجزاء. فإن كان لكم كيدٌ كي تتخلّصوا من الحساب فافعلوا، أو كان لكم حيلةٌ كي تنجوا من العذاب فهلمّوا. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

إنّ الّذين اتّقوا عذاب الله تعالى بفعل الطّاعات واجتناب المعصيات فى ظلال أشجار باسقات، وفى عيون ماءٍ متدفّقات. وفى فواكه ممّا يشتهون أكله ويطلبون. ويقال لهم: كلوا هنيئاً واشربوا مريئاً بسبب ما كنتم تعملون فى الحياة الدّنيا من أعمالٍ صالحة. إنّا كما جزينا هؤلاء المتّقين نجزى كلّ المحسنين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

كلوا وتمتّعوا قليلاً فى الحياة الدّنيا أيّها المجرمون المكذّبون المنكرون للبعث. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

وإذا قيل لهؤلاء المكذّبين فى الحياة الدّنيا اركعوا مع المؤمنين المصلّين لا يركعون ولا يصلّون دليلاً على الإدبار عن الصّراط المستقيم والإقبال على طريق الجحيم. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

فبأيّ حديثٍ بعد القرآن الكريم، كلام ربّ العالمين، الّذى نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، على الرّسول العظيم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم يؤمنون ويهتدون. إنّهم إذا كان على قلوبهم الأقفال الّتى تمنع نور القرآن الكريم من الاستقرار فى تلك القلوب، فَأَحْرىَ بهم إلاّ يؤمنوا ويهتدوا بأيّ حديثٍ غيره، وأيّ كلامٍ سواه.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة المرسلات من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة خمسون آيةً كريمة[٢] وعدد كلماتها مائةٌ وإحدى وثمانون كلمة. وعدد حروفها ثمانمائة وستّة عشر حرفا[٣]

٣. رَوَى البخاريّ في صحيحه[٤] عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى غارٍ (بمنى)[٥] إذ نزلت عليه : ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ﴾ فإنّه ليتلوها وإنّ لأتلقّاها من فيه، وإنّ فاه لرطبٌ بها، إذ وثبت علينا حيّة. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: اقتلوها. فابتدرناها فذهبت. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: وُقِيَتْ شرّكم كما وقيتم شرّها.

٤ .رَوَى مسلم فى صحيحه[٦] عن ابن عبّاس قال: إنّ أمّ الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴾ فقالت: يا بُنَيّ، لقد ذكّرتنى بقراءتك هذه السّورة. إنّها لآخر ما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ بها فى المغرب.

---

(١) انظر–مثلاً–الإتقان ٤٢/١والجلالين وتفسير ابن كثير ٣٢٠/٨وفى ظلال القرآن ٣٧٨٨وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٦/٢٩والكشّاف ٣٠١/٣والبحر المحيط ٤٠٢/٨والمحرّر الوجيز ١٩٦/١٦وتفسير القرطبى ٦٩٤٤وفتح البارى ٦٨٨/٨ وحديث رقم ٤٩٣٤و٦٨٩.

(٢) المصحف الشّريف والكشّاف ٣٠/٣والبحر المحيط ٤٠٢/٨ وتفسير القرطبى ٦٩٤٤.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٦/٢٩.

(٤) فتح البارى ٦٨٨/٨حديث رقم ٤٩٣٤و٦٨٥ حديث رقم ٤٩٣٠و٤٩٣١.

(٥) فتح البارى ٦٨٨/٨ حديث رقم ٤٩٣٤ وص ٦٨٩.

(٦)١/ ٣٣٨ حديث رقم ٤٦٢

٥.المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة البعث بعد الموت. والسّورة الكريمة شأنها شأن السّور المكّيّة الّتى تُعْنَى بأسس العقيدة.

٦. فى السّورة الكريمة عددٌ من الألفاظ والصّيغ الّتى لم تأت فى غيرها من سور القرآن الكريم. نذكر منها: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾:﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾:﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾:﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ﴾:﴿ نُذْرًا ﴾:﴿ طُمِسَتِ ﴾: ﴿ فُرِجَتِ ﴾ ﴿ نُسِفَتِ ﴾:﴿ أُقِّتَت ﴾:﴿ أُجِّلَت ﴾:﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ ﴾:﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ ﴿ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾:بالتّعريف ﴿ شَٰمِخَٰت ﴾:﴿فُرَانًا ﴾:﴿ ٱنطَلِقُوٓا ﴾:في موضعين اثنين ﴿ شُعَبٍ ﴾:﴿ ظَلِيلٍ ﴾:﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾ بتعريف القصر. ﴿ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ ﴿ جَمَعْنَٰكُمْ ﴾: ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾

٧.جاء القول: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرّات وهي الآيات الكريمات ١٩,١٥ ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

٨. نودّ أن نبيّن بإيجاز أخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض. يقسم الحقّ جلّ وعلا بالرّياح وبالملائكة بأنّ يوم القيامة واقعٌ لا محالة. ثمّ يكون الحديث عن بعض الأمور المتعلّقة بيوم القيامة دليلاً على قيام السّاعة حسّاً، وذلك بذهاب ضوء النّجوم وانشقاق السّماء ونسف الجبال، ومعنًى، وذلك بجمع الرّسل لوقتٍ معلوم هو يوم الفصل بين الخلائق. ثمّ تتحدّث السّورة الكريمة عن بعض الأدلّة على قدرة الله تعالى كي يستدلّ المكذّبون على قدرة الله تعالى على إعادة الحياة إلى الخلائق يوم القيامة. ومن الأدلّة على قدرة الحقّ جلّ وعلا المطلقة إهلاك المكذّبين، وخلق الإنسان من ماءٍ مهين، وجعل الأرض وعاءً للنّاس، أحياءً على ظهرها وأمواتاً فى بطنها، وجعل الجبال الشّامخات فى الأرض لإرسائها، وإنزال الماء العذب من السّماء من أجل النّاس فى المقام الأوّل. ثمّ

يكون الحديث عن بعض مظاهر عذاب الكافرين فى النّار، يوم الفصل بين النّاس، وعن بعض مظاهر ثواب المؤمنين. وتنعى السّورة الكريمة فى ختامها على الكافرين الّذين يأكلون ويتمتّعون كما تتمتّع الأنعام الغافلة عن مصيرها الأليم، والّذين لا يصلّون مع المصلّين، والّذين لا يؤمنون بهذا القرآن الكريم كلام ربّ العالمين.

وصلّى الله عليه وسلّم علي سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة: الرّصيفة.
مساء يوم الاثنين ١٤٢٣/١٢/٣٠هـ
الموافق ٢٠٠٣/٣/٣م
السّاعة العاشرة والنّصف مساءً
وكانت بداية كتابة هذا التّفسير
عام ١٤٠٣هـ أي قبل ما يزيد
على عشرين عاماً ولله الحمد والمنّة.

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنية البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة
ورئيس لجنة تحكيم مسابقة الملك
عبد العزيز الدّولية لتلاوة القرآن
الكريم وتجويده وتفسيره.

ملحوظة :

بفضل الله تعالى تمّ تفسير
الجزء الثّلاثين سابقاً ، وقد كتبت
مقدّمته صبيحة يوم الاثنين ٣٠/ ١٢/ ١٤١٥هـ
الموافق ٢٩/ ٥/ ١٩٩٥م وتمّ استلال عملين منه ،
أوّلهما التّفسير المبسّط وقد طُبع سنة ١٤١٧هـ
كما أنّي سجّلته بصوتي للمِطْبَعَة . وآخرهما التّفسير الميسّر وهو مخطوط .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصّفحة
المقدّمة		٣
أوّلاً : سورة المُلْك		٥
بين يدي التَّفْسِير		٧
التَّفْسِير		١٤-٤١
١ – تَمَجَّدَ الله تعالى الّذي خلق الموت والحياة والسّماوات السّبع ، وزيّن السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً	١-٥	١٥
٢ – للّذين كفروا عَذابُ السّعير ، وللّذين يخشون ربّهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير ، وإلى الله تعالى العليم الرّزّاق النُّشور	٦-١٥	٢١
٣– ما أَشَدَّ إنذارَ اللهِ تعالى البصير بكلّ شيءٍ للكافرين وإنْكارَهُ عليهم ، وما أشدّ ذُلَّهم في الأُولَى وخِزْيَهُمْ في الآخرة	١٦-٢٤	٢٧
٤–الكافرون عمي البصر والبصيرة يستعجلون بعذاب	٢٥-٣٠	٣٤
تعقيب		٣٧
ثانياً: سورة القَلَم		٤٢
بين يدي التَّفْسِير		٤٥
التَّفْسِير		٥٠-٨٣
١ – محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم ذو الخُلُقِ العظيم ليس بمجنون. ولا تُطِعْ يا محمّد المكذّبين الضّالّين	١-١٦	٥١

٢– اِبْتَلَى الله تعالى كفّار مكّة بالسّنين كما ابتلى أصحاب الجنّة بذهاب الثّمر، فعليهم أن يتوبوا وإلاّ كان العذاب الأكبر في الآخرة	١٧–٣٣	٦٠
٣–لا يستوى المتّقون أصحاب الجنّة والمجرمون أصحاب النّار	٣٤–٤٣	٦٦
٤ –اِصبر يا محمّد لِحُكْمِ ربّك في المكذّبين لك وللقرآن الكريم، ولا تكن في نفاد الصّبر كصاحب الحوت	٤٢–٥٢	٧١
تعقيب		٧٨
ثالثاً: سورة الحاقّة		٨٤
بين يدي التَّفْسِير		٨٧
التَّفْسِير		٩١–١١٣
١–أهلك الله تعالى الطّغاة الّذين عَصَوْا رسل ربّهم جلّ وعلا	١–١٢	٩٢
٢– بعض ملابسات يوم القيامة، وثَوابُ من أُوتِيَ كتابه بيمينه، وعِقابُ من أُوتِيَ كتابه بِشِمالِه	١٣–٣٧	١٠٠
٣– الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس شاعراً ولا كاهنا، والقرآن الكريم حقّ اليقين	٣٨–٥٢	١٠٧
تعقيب		١١١
رابعاً:سورة المعَارِج		١١٤
بين يدي التَّفْسِير		١١٧
التَّفْسِير		١٢١–١٣٥

١– يَسْأَلُ الكافرون عن يوم القيامة على سبيل الاستهزاء، وما أَصْعَبَ ذلك اليَوْمَ عليهم	١–٨	١٢٢
٢– بعض نعوت المؤمنين المصلّين الّذين يكرمهم الله تعالى في جنّات النّعيم	١٩–٣٥	١٢٨
٣– بعض صفات الكافرين، وبعض مظاهر عذابهم يوم القيامة	٣٦–٤٤	١٣١
تعقيب		١٣٤
خامساً:سورة نُوحٍ عليه السّلام		١٣٦
بين يدي التَّفْسِير		١٣٨
التَّفْسِير		١٤٢–١٥٦
١– نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى الله تعالى في كلّ الأوقات والأحوال	١–١٤	١٤٣
٢– نوحٌ عليه السّلام يذكّر قومه المعاندين بِخَلْقِ الله تعالى السّماوات والأرض وخلقهم،وتسخير ما في السّماوات والأرض لهم،وبالبعث بعد الموت	١٥–٢٠	١٤٨
٣– يُصِرُّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر وعبادة الأصنام فيدعو الله تعالى عليهم فيغرقهم ويحرقهم في نار جهنّم وينجّى الله تعالى المؤمنين والمؤمنات	٢١–٢٨	١٥٠
تعقيب		١٥٤
سادساً:سورة الجِنّ		١٥٧
بين يدي التَّفْسِير		١٦٠

التَّفْسِير		١٦٤-١٨٥
١- الجِنُّ يَسْتَمِعُون القرآن الكريم فيؤمنون به ويوحّدون الله تعالى ويؤمنون بالبعث وينذرون قومهم	١-١٥	١٦٥
٢- الله تعالى يبلونا بالشّرّ والخير فتنة، وليس على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلاّ البلاغ، وعذاب الكافرين شديدٌ في الأولى والآخرة .	١٦-٢٨	١٧٣
تعقيب		١٨٠
سابعاً:سورة المزّمّل		١٨٦
بين يدي التَّفْسِير		١٨٩
التَّفْسِير		١٩٤-٢١٢
١- قِيامُ اللَّيْلِ أَشَدُّ مُوافَقَةً للقلب، فقم اللّيل أيّها المتزمّل، واعبد ربّك، وأنذر قومك، وليؤمنوا بيوم القيامة قبل فوات الأوان	١-١٩	١٩٥
٢- اِقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ من القرآن الكريم في القيام وغير القيام، وأقيموا الصّلاة وآتُوا الزّكاة وافعلوا الخير واستغفروا الله تعالى	٢٠	٢٠٥
تعقيب		٢٠٨
ثامناً: سورة المدّثّر		٢١٣
بين يدي التَّفْسِير		٢١٦
التَّفْسِير		٢٢٢-٢٤٨

١– يا أيّها المتدثّر قم فأنذر قومك يوم القيامة العسير، وأنذر العنيد الّذى زعم أنّ القرآن الكريم قول البشر	١–٢٥	٢٢٣
٢– خَزَنَةُ جهنّم الّتى لا تُبْقِى ولا تذر ملائكة،وجهنّم إحدى الدَّواهى العظام	٢٦–٣٧	٢٣٣
٣– بعض أسباب دخول المجرمين جهنّم، ومنها فِرارُهُمْ من سماع القرآن الكريم، وعَدَمُ الإيمان بالبعث، وعَدَمُ الاتّعاظ بالقرآن الكريم	٣٨–٥٦	٢٣٩
تعقيب		٢٤٥
تاسعاً: سورة القِيامة		٢٤٩
بين يدي التَّفْسِير		٢٥١
التَّفْسِير		٢٥٦–٢٨٤
١– الله تعالى قادرٌ يوم القيامة على إعادة خلق الإنسان المنكر للبعث، وعلى عقابه، فعليه أن يؤمن بالبعث وأن يعمل للآخرة	١–١٥	٢٥٧
٢– إنّ علينا يا محمّد جَمْعَ القرآن الكريم فى صدرك،وإقراءَك إيّاه،وتبيينَ معناه	١٦–١٩	٢٦٤
٣– يوم القيامة وجوه المؤمنين مشرقة، ووجوه الكافرين كالحة، فاحذروا شدّة آخر ساعات الدّنيا وأُولَى ساعات الآخرة، واعملوا لما بعد الموت	٢٠–٤٠	٢٦٨
تعقيب		٢٧٩

عاشراً: سورة الإنسَان		٢٨٥
بين يدي التَّفْسِير		٢٨٨
التَّفْسِير		٢٩٣-٣١٦
١- خَلَقَ الله تعالى آدم عليه السّلام من طين،وخَلَقَ ذرّيّته من ماءٍ مهين، وهداهم السّبيل، فمنهم الشّكور وله أجرٌ عظيم، ومنهم الكفور وله عذابٌ أليم	١-٦	٢٩٤
٢- بعض نعوت الأبرار، وبعض جزائهم يوم القيامة	٧-٢٢	٣٠٠
٣- لقد نزّلنا عليك يا محمّد القرآن الكريم، فاصبر على البلاء والطّاعات، وثواب المهتدين، وعذاب الظّالمين	٢٣-٣١	٣٠٩
تعقيب		٣١٣
حاديَ عشر: سورة المرسلات		٣١٧
بين يدي التَّفْسِير		٣٢٠
التَّفْسِير		٣٢٤-٣٤٢
١- أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل	١-١٥	٣٢٥
٢- بَعْضُ مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث	١٦-٢٨	٣٣٠
٣- بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة	٢٩-٥٠	٣٣٤
تعقيب		٣٤٠
فهرس الموضوعات		٣٤٣